موت اللغة

تأليف

البروفسور ديفيد كريستال

ترجمة

د. فهد بن مسعد اللهيبي

مـوتُ اللّـغة

تأليف

البرفسور ديفيد كريستال

ترجمة

د. فهد بن مسعد اللهيبي

موت اللغة

تعرض العديد من لغات الأقليات في العالم للخطر وموتها بصورة سريعة أصبح مثاراً للاهتمام على نطاق واسع، ليس فقط بين اللسانيين وعلماء الإنسان، بل وبين المهتمين بقضايا الهوية الثقافية وسط ثقافة عالمية متزايدة. ديفيد كريستال David Crystal، وهو كاتب له شعبية واسعة، ومعلق رائد على قضايا اللغة، يطرح السؤال الجوهري التالي: "لماذا يكون موضوع موت اللغة من الموضوعات ذات الأهمية البالغة؟" ويسرد أسباب هذه الأزمة ويحقق فيما يمكن عمله لتقليل عواقبها.

وفقاً لبعض الإحصاءات، فإن ٦٠٠ لغة فقط من أصل ٦٠٠٠ لغة في العالم في "مأمن" من التهديد بالانقراض. وفي بعض التقديرات، فإنّ عدداً قليلاً من اللغات الرئيسة سيسيطر على العالم، و يتحكم فيه، نهاية القرن الحادي و العشرين. ويؤدي كتاب "موت اللغة" دوراً مهماً في تفسير هذه الأزمة ويقدم أرقاماً و حقائق مفيدة ومثيرة للتفكير في ظاهرة كونية تشبه الدمار الواسع النطاق للبيئة. وهي ظاهرة غريبة ومعاصرة وتتزايد على مستوى العالم. والكتاب لا يحوي نقاشاً فكرياً فقط؛ بل يحوي، إضافة إلى ذلك، وصفاً لافتاً للانتباه لتراجع لغات معينة وزوالها، كما يحوي نُصحاً قابلاً للتطبيق لكل شخص مهتم بمتابعة هذا الموضوع مستقبلاً.

ديفيد كريستال أحد أهم علماء اللغة في العالم، وهو مؤلف أحد الموسوعات الناجحة جداً في اللغة: *Cambridge Encyclopedia of Language* "موسوعة كامبردج للغة" (١٩٨٧م، والطبعة الثانية ١٩٩٧م)، و *Cambridge Encyclopedia of the English Language* "موسوعة كامبردج للغة الإنجليزية" (١٩٩٥م)، و *English as a global Language* "اللغة الإنجليزية بوصفها لغة عالمية" (١٩٩٧م). البروفسور ديفيد كريستال من خلال شهرته العالمية كونه كاتباً مشهوراً، ومحرر مجلات، ومحاضراً وإذاعياً، نال رتبة الإمبراطورية البريطانية OBE عام ١٩٩٥م؛ تقديراً لخدمته للغة وتعليمها. وهو أيضاً محرر *the Cambridge Encyclopedia* "موسوعة كامبردج" (١٩٩٠م، والطبعة الثانية ١٩٩٤م، والطبعة الثالثة ١٩٩٧م، والطبعة الرابعة ٢٠٠٠م). و *the Cambridge paperback Encyclopedia* "موسوعة كامبردج الغلاف الورقي" (١٩٩٣م، والطبعة الثانية ١٩٩٥م، والطبعة الثالثة ١٩٩٩م). و *the Cambridge biographical Encyclopedia* "موسوعة كامبردج للسير الذاتية" (١٩٩٤م، والطبعة الثانية ١٩٩٧م). و *the Cambridge factfinder* "كامبردج مكتشف الحقيقة" (عام ١٩٩٤م، والطبعة الثانية عام ١٩٩٧م، والطبعة الثالثة عام ١٩٩٨م، والطبعة الرابعة عام ٢٠٠٠م).

المحتويات

مقدمة المترجم ٨

تمهيد ١٧

الفصل الأول: ما هو موت اللغة؟ ٢٣

تجمع اللغة ٢٥

حجم المشكلة ٣٧

مستويات الخطورة ٤٩

خاتمة ٥٦

الفصل الثاني: لماذا علينا أن نهتم؟ ٥٩

لأننا في حاجة إلى التنوع ٦٦

لأنّ اللغات تعبر عن الهوية ٧٢

لأنّ اللغات مستودعات للتاريخ ٧٨

لأنّ اللغات تسهم في تلخيص المعرفة البشرية ٨٣

لأن اللغات في حدّ ذاتها ممتعة ٩٨

خاتمة ١١٩

الفصل الثالث: لماذا تموت اللغات؟ ١٢٢

عوامل تعرض الناس للخطر جسدياً ١٢٦

عوامل تغير ثقافة شعب ١٣٦

خاتمة ١٥٣

الفصل الرابع: من أين نبدأ؟ ١٥٧

تأسيس الأولويات الأهم ١٥٨

رعاية مواقف المجتمع الإيجابية ١٧٣

تعزيز أصالة المجتمع كاملاً ١٩٠

رؤية اللغة على أنها جزء من الثقافة ١٩٥

الفصل الخامس: ماذا يمكن عمله؟ ٢٠٦

١. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا عزّز المتحدثون بها هيبتهم داخل الجماعة المهيمنة..... ٢٠١١

٢. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا زاد متحدثوها من ثرائهم مقارنة بالجماعة المهيمنة..... ٢١٤
٣. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا استطاع المتحدثون بها تعزيز شرعيتهم أمام الجماعةالمهيمنة..... ٢١٥
٤. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا امتلك المتحدثون بهاحضوراً قوياً في النظام التعليمي..... ٢١٩
٥. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا كان المتحدثون بها يستطيعون كتابتها..... ٢٢٣
٦. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا استطاع المتحدثون بها الاستفادة من التقنية الإلكترونية..... ٢٢٨

دور اللساني ٢٣٣
فريق الإحياء ٢٤٧
خاتمة ٢٦٠

ملحق: بعض المنظمات ذات العلاقة ٢٦٦
المراجع ٢٧٠
فهرس اللهجات واللغات والعائلات اللغوية والمجموعات العرقية ... ٢٩٤
فهرس المؤلفين والمتحدثين ٣٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

هذا الكتاب، الذي أقدمه مترجماً إلى العربية، يمتاز بطرح أهم القضايا المتعلقة بموت اللغات ومناقشتها؛ إذ يورد مؤلفه فيضاً من المعلومات القيمة التي تعين على تحجيم الأخطار المحدقة باللغات في شتى أنحاء العالم. ويقدم الكتاب سرداً مفصلاً عن سبل الحفاظ على اللغات المهددة بالانقراض، وينبّه إلى ضرورة وضع معايير واضحة يجب تطبيقها على اللغات كافة؛ لمعرفة مدى حاجتها إلى جهود علمية، أو سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، تساعدها على البقاء. كما يبيّن دور اللسانيات عامة، واللسانيات الاجتماعية على وجه الخصوص، في تبني المعايير التي تساعد اللغة المهدَّدة من خلال تعرف التغيّر الذي تمر به اللغة، قبل موتها.

مؤلف هذا الكتاب، ديفيد كريستال David Crystal الذي يعد أحد أشهر اللسانيين المعاصرين المهتمين بقضايا اللغات كافة، يؤكد أنّ اللغة تتأثر بعوامل كثيرة تؤدي إلى ضعفها وانحطاطها، وربما موتها وأنّ أكثر الحالات شيوعاً هي أن يبدأ أبناء الأمة التحدث بلغة أخرى غير لغتهم الأصلية؛ وشيئاً فشيئاً، تتحول الأمّة كلها إلى حالة ثنائية اللغة؛ لأسباب اقتصادية واجتماعية، ثم تفتك اللغة الأجنبية باللغة الأصلية حين تُستعمل الأجنبية في الحياة اليومية والمجالات المهمة التي تلبي طموحات الأجيال الشابة.

الكتاب يفنّد الأخطاء التي يقع فيها كثير من الناس، حين يظنون أنّ قلة عدد اللغات في العالم تؤدي إلى تعزيز التواصل والانسجام، كما تؤدي كثرتها إلى الصراع والخلاف، متناسين أنّ حروباً أهلية قد قامت في بلدان يتحدث سكانها لغة واحدة، وفي المقابل هناك بلدان تتعدد لغات سكانها ويعيش الناس فيها بسلام. وقد يتبادر إلى الأذهان، كذلك، أنّ اللغة ذات العدد الأكبر من المتحدثين هي الغالبة دائماً؛ لكن العوامل المؤثرة في حياة اللغات أكثر تعقيداً من ذلك؛ فتتشابك العوامل الاقتصادية مع العوامل السياسية، والاجتماعية، ومعدلات نمو السكان، وتوزيعهم الجغرافي.

قسم المؤلف كتابه إلى خمسة فصول، يسبقها تمهيد بيّن فيه أهمية اللغات، وما يجب على المنظمات الدولية تجاهها؛ لأنّ خسارة أيّ لغة خسارة للبشرية. وأشار إلى الجهود التي تبذلها اليونسكو، والمؤسسات الأخرى ذات العلاقة في شتى أنحاء العالم، نحو هذا الهدف، مبيناً أنّ العصر الحاضر تواجه فيه اللغات تحدياتٍ أكبر، وأخطاراً أعظم، وأنّ الطبقة المثقفة، في كثير من المجتمعات، لا تعلم شيئاً عن هذه الأخطار. وجعل المؤلف عناوين الفصول على صورة أسئلة يطرحها ثم يجيب عنها بالتفصيل.

في الفصل الأول يجيب المؤلف عن سؤال: ما هو موت اللغة؟ ويبدأ بتوضيح حتمية موت اللغة عندما يموت جميع المتحدثين بها، موضحاً سرعة موت بعض اللغات التي يقل متحدثوها. ثم يتطرق إلى أعداد اللغات الحية؛ فيذكر أنّ من الشائع بين الباحثين أنها بين ستة آلاف وسبعة آلاف لغة. ويشير إلى شح الدراسات الاستقصائية في هذا المجال حتى منتصف القرن العشرين،

وصعوبة التفريق بين اللغة واللهجة، وأثر ذلك في العدد الإجمالي للغات. ويطرح المؤلف ما يجب على علماء اللسانيات عمله نحو اللغات، وفي سبيل ذلك لابد من تبني منظور واضح يمهّد لتعرف جميع اللغات، ومن ثم تعرّف عدد المهددة منها بالانقراض، وتلك التي ماتت فعلاً. ويتناول هذا الفصل مستويات الخطر، وأساليب تجنبها، وضرورة ملاحظة المهام الوظيفية لكل لغة، ونوعية التغيير فيها، وكيف يبدأ الخطر حين تتجه الجماعة اللغوية إلى التقليل من وظائف اللغة الأصلية؛ فتموت بعض المهام الوظيفية، أو تقوم لغة أجنبية ببعض تلك المهام.

يجيب المؤلف في الفصل الثاني عن سؤال: "لماذا علينا أن نهتم؟" ويقدم موضوعات تناقش سبل اهتمامنا ببقاء اللغة، أهمها: ربط النقاش عن التنوع الأحيائي بالنقاش عن التنوع اللغوي. ففي علم البيئة لا يوجد جنس له أهمية بمفرده، إنما تعيش المخلوقات في شبكة من العلاقات المتبادلة. وإذا كان التنوع مطلباً لحياة المجتمعات؛ فإنّ الحفاظ على التعدد اللغوي يعد ضرورياً لحياة البشرية. ثم ينتقل المؤلف إلى كيفية تعبير اللغات عن الهوية؛ فيوضح أنّ فقدان لغة ما يعد مأساة؛ لأنها تمثل خلاصة فكر شعب كامل؛ كون المجتمع يعتمد كثيراً على اللغة في التواصل بين أفراده، وأن اللغة منجز ضخم تعاقبت الأجيال على الإسهام في بنائه، وهي مستودعات التاريخ وذاكرة الإنسانية. بعد ذلك يبيّن أنّ اللغات تسهم في تلخيص المعرفة البشرية، وأن معرفة اللغات تعد مصدراً عظيماً من مصادر المعرفة. والبشرية تستفيد كثيراً من أيّ تعبير جديد عنها بلغة ما، وكل لغة تعطي لمحة عن نشاط عقول الناطقين بها ومعرفتهم. وفي نهاية الفصل

يؤكد المؤلف مدى متعة اللغات، ويبين أنّ اللسانيات تهدف إلى التعريف بالملكة اللسانية عند الإنسان، ومدى الإمكانات التي يسمح بها الدماغ البشري لاستعمال اللغات. وفي هذا السياق، فإننا بحاجة إلى تعرّف أكبر عدد ممكن من اللغات، بما في ذلك اللغات التي انقرضت، من خلال الآثار المكتوبة. وهنا تبدو أهمية دراسة تاريخ اللغات، لرسم صورة أكمل للخيارات اللغوية عند الإنسان.

لم يغفل المؤلف أسباب موت اللغات، بل خصص لها الفصل الثالث تحت عنوان: "لماذا تموت اللغات؟" يوضح فيه أنّ أعداداً كبيرة من اللغات ماتت في الماضي، لكن من الصعب الحصول على تقديرات دقيقة لأعدادها في ظل غياب المواد المكتوبة والسجلات، وأنّ الكوارث الطبيعية، والحروب الطاحنة، والأمراض التي تعرض الشعوب للأخطار والموت تؤدي إلى موت عدد من اللغات. ولا تغيب عن أذهاننا المجاعات والاستغلال الاقتصادي الذي يمارسه المستعمرون على الأمم الفقيرة؛ ففي حالة الاستعمار الثقافي قد يعيش شعب، وتموت لغته، بسبب هيمنة الثقافة الغالبة على مفاصل الحياة اليومية للشعب المغلوب. وفي هذا الفصل يؤكد المؤلف أنّ محاولات علماء اللسانيات الاجتماعية لتحديد الطريقة التي يتحول بها الناس من لغة إلى أخرى لازالت محل خلاف، والأسباب المؤدية لموت اللغات كثيرة ومتنوعة، تبدو في مقدمتها حاجة الناس لاكتساب اللغة المهنية التي قد تساعد في الحصول على لقمة العيش، وكل ذلك على حساب ثقافة الأمة المغلوبة وتقاليدها.

في الفصل الرابع يعرض المؤلف إجابات متعددة عن السؤال المهم: "من أين نبدأ؟" مشيراً في بداية الفصل إلى نمو الوعي الدولي بالحقوق اللغوية لكل الأمم والشعوب، مبيناً التطور الكبير الذي شهده حقل اللسانيات، مما يساعد على جمع المعلومات المؤدية إلى حقائق يمكن الاعتماد عليها، وينادي بضرورة وجود إطار منهجي، وبنية نظرية، تساعدنا على الانطلاق نحو العمل المنظم. ويشير المؤلف إلى أنّ قضايا اللغة في حاجة إلى أن تصبح جزءاً من الاهتمام بالبيئة؛ فكما نجحت كثير من البلدان في تبني حملات التوعية بالمناخ، وعلم الأحياء والتراث، كان لابد لها اليوم من تبني حملات مشابهة للتوعية بأهمية اللغة. كما يشير المؤلف إلى ضرورة رعاية مواقف المجتمع الإيجابية نحو اللغة من أجل الحفاظ عليها، فالباحثون يلاحظون مجتمعات لا يهتم أفرادها ببقاء لغتهم. وعلى الرغم من أهمية كل اللغات البشرية في نظر اللسانيات إلا أنّ شُح الموارد قد يوجه الدعم نحو تلك اللغات التي يرغب أهلها في حفظها. ونظراً لارتباط اللغة بالمجتمع، فإنه لا يمكن أن تبقى اللغة وتتطور دون مشاركة أفراد المجتمع كافة، وتوزيع الأدوار فيما بينهم؛ فالمتحدثون باللغة من الشباب تكمن قوتهم في القدرة على نقل اللغة للأجيال القادمة. وكبار السن يمكن أن يشكلوا مصدراً للقوة بما لهم من مكانة اجتماعية واقتصادية. أما ارتباط اللغة بالثقافة فهو الجزء الأخير من هذا الفصل، ويوضح المؤلف فيه وجود موقفين: أحدهما يؤكد التطابق بين اللغة والثقافة؛ لأن اللغات تمثل الهوية والتاريخ. والآخر يؤكد وجود توافق محدود بين اللغة والثقافة؛ لأن ثقافة المجتمع –في نظر داعمي هذا الموقف– تعد أوسع من اللغة.

في الفصل الخامس (الأخير) يعرض المؤلف الأسباب التي يمكن الأخذ بها لإنقاذ لغة ما من خطر الانقراض، فتحت عنوان: "ماذا يمكن عمله؟" يبيّن أنّ معظم حالات اللغات المهددة بالانقراض لا يمكن تعرف عناصر قوتها بسهولة، فقد تستمر لغات في الحياة دون أن نتعرف أسباب ذلك. وقد ناقش المؤلف ستة عوامل مهمة تجعل اللغة أداةً للاتصال بين الأجيال. في مقدمة هذه العوامل تعزيز هيبة الجماعة، التي تتحدث اللغة، عند الآخرين، وفي المجتمع الأوسع، والظهور الإعلامي المناسب. يأتي بعده ثراء المتحدثين باللغة مقارنة بالجماعة المهيمنة؛ إذ يمثّل المال قوة فريدة تدعم موقف المتحدثين باللغة، لكنه لا ينمو إلا في بيئة مزدهرة. وإذا استطاع المتحدثون باللغة تعزيز شرعيتهم أمام الجماعة المهيمنة؛ فإنّ ذلك يُعد عاملاً يسهم في حماية اللغة؛ ولاسيما، في ظل نمو الوعي العالمي بشأن الحقوق اللغوية والثقافية. أما النظام التعليمي فيتضح دوره من خلال ازدهار حقل اللسانيات التربوية. وإذا نجح المتحدثون باللغة في تعزيز حضور لغتهم في النظام التعليمي، فإنّ ذلك يعد عاملاً قوياً يحمي اللغة؛ لأن المدرسة لها الدور الأعظم في حفاظ الطفل على لغته الأم. وتمثل الكتابة عاملاً تقليدياً من عوامل الحفاظ على اللغة، لكنها ليست جواز سفر لها للبقاء، إذ انقرضت لغات في الماضي، وتعرفناها من خلال آثارها المكتوبة. أما تسخير وسائل التقنية الحديثة فيعده المؤلف عاملاً حاسماً، فمع توسع الشبكة العنكبوتية أصبح الناس سواسية في القدرة على نشر لغاتهم وثقافتهم، والناس يستطيعون الحفاظ على هوية لغوية ما من خلال المتحدثين باللغة من جميع أنحاء العالم. يؤكد المؤلف دور اللساني المعاصر في الحفاظ على اللغات، إذ عليه ألا يكون متفرجاً على كل هذه

الفرضيات بل يجب عليه أن يسهم بتبني لغة تسخر لوصف اللغة metalanguage فهناك مهام تتعلق بالتشخيص، وأخرى بالوصف والتحليل، وثالثة بالتدخل. ويؤكد المؤلف أنّ اللسانيات يجب أن تتدخل للحفاظ على اللغات، كما يتدخل الطب للحفاظ على صحة الجسد.

موضوع الكتاب يجعله متعدد الاهتمام، إذ لا يقتصر على اللسانيات فقط، إنما يربطها بحقول أخرى، مثل: علم الإنسان، والآثار، والسياسة، والاقتصاد، والبيئة. والمؤلف ينقل القارئ بين قارات العالم وبلدانه مختلفة اللغات، من إفريقيا إلى آسيا، وأوروبا، وأمريكا، وأستراليا، باحثاً عن لغات الأقليات المهددة بالانقراض. فالمهتمون باللسانيات خصوصاً، والقراء عموماً، سيجدون في هذا الكتاب متعة التجول الفكري الواسع التي تنبع من أهم ظاهرة يتميز بها الإنسان، وهي اللغة.

إنّ هذا الكتاب جهد مكمل لما تحظى به اللغات من اهتمام العلماء قديماً وحديثاً؛ لأنّ الإنسان أدرك منذ القدم، أنه لايستطيع أن يصبح عضواً فاعلاً في مجتمعه ما لم يوظف اللغة. ومن نعم الخالق عز وجل على الإنسان أن جعله قادراً على إجادة اللغة، وإجادة فنّ التواصل مع الآخرين. في العقود القليلة الماضية تطور حقل اللسانيات الاجتماعية، وكان اهتمامه منصباً على تأثير جميع نشاطات المجتمع في اللغة، بما فيها طرق استعمال اللغة، والتواصل ضمن المعايير الثقافية، والبيئة التي تعيش فيها اللغات، والتوقعات المستقبلية لكل لغة، والتي تُبنى عادة على أسس ومعايير وثيقة الصلة بالمجتمع، كالدين، والعرق، والجنس، والمستوى الثقافي،

وأعمار المتحدثين. وتعرّف أكبر قدر ممكن من قدرات الذهن البشري ينبغي أن يكون من خلال أكبر قدر ممكن من اللغات البشرية.

يغلب الوضوح على لغة المؤلف بصورة توحي بأنه لا يريد الكتابة للمختصين في اللسانيات فقط، إنما يمكن أن يفيد من الكتاب المختصون في الحقول الأخرى، والقراء بوجه عام؛ وبناء عليه اختصرت تعليقاتي على القضايا التي تبدو غير واضحة للقارئ العربي. أمّا المصطلحات اللسانية الواردة في الكتاب فترجمتها بما هو شائع بين الدارسين في وقتنا الحاضر وحرصت على أن تكون مقرونة بالمصطلح الإنجليزي الأصلي نظراً لدقتها. وفي هذا السياق لا يفوتني أن أشير إلى أنّ اللسانيات العربية لا زالت تعيش مشكلة ترجمة المصطلحات، فما هو شائع في المغرب قد لا يقبل في المشرق، والعكس صحيح أيضاً. وكثير من المفاهيم الشائعة في اللسانيات المعاصرة لم يتفق العرب بعد على مصطلحات عربية تقابلها، وأحياناً قد نجد اللفظ لكننا نشعر أن المفهوم غير شائع في التفكير اللغوي العربي المعاصر. وقد لا يعرف أبعاد هذه المعضلة بوضوح إلا من يسهم في ترجمة الكتب اللسانية.

وفي الختام، أودّ أن أشكر كل من أسهم، ولو بدعم معنوي يسير، في إنجاز هذا العمل، وإخراجه بصورته الحالية. وأخص بالشكر معالي مدير جامعة تبوك الدكتور عبدالعزيز بن سعود العنزي، وسعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي الأستاذ الدكتور فالح بن رجاء الله السلمي على دعمهما وتشجيعهما المستمر، وزملائي الكرام في جامعتي الملك عبدالعزيز وتبوك، وأخص بالذكر منهم: الأستاذ الدكتور محمد العلي، والدكتور فلاح العنزي، والدكتور

الزين إبراهيم، والدكتور سالم الخماش، والأستاذ عبدالرحمن إدريس، والدكتور أحمد المرازيق، والأستاذ أحمد قميرية، والأستاذ خالد البلوي. فقد ساعدني كل أولئك الزملاء بالرأي، والمشورة، والنقاش الهادف، والمراجعة، وتصويب الأخطاء، واقتراح مصطلحات مناسبة لم أتنبّه إليها.

كما أودّ أن أشكر دار النشر التي أصدرت الكتاب باللغة الإنجليزية وهي Cambridge University Press على سماحها لي بترجمته إلى اللغة العربية.

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل، إنّه سميع مجيب.

المترجم

فهد بن مسعد اللهيبي

جدة ٢٤ رمضان ١٤٣٤هـ

تمهيد

في عام ١٩٩٢م اتفق اللسانيون المشاركون في المؤتمر الدولي للسانيات في كيبيك Quebec على ما يأتي:

> **بما أنّ اختفاء أيّ لغة يمثّل خسارة كبيرة لا تستطيع البشرية تعويضها؛ فإنّ على اليونسكو واجباً عظيماً وطارئاً للاستجابة لمثل هذه الحالة بالتبني، ولو أمكن، بالدعم لبرامج المنظمات اللغوية لوصف أنماط القواعد، وإعداد المعاجم والنصوص، بما في ذلك تسجيل الآداب الشفهية لكثير من اللغات التي لم تحظ بالدراسة، أو تلك التي وثقت بشكل غير كاف، وهي عرضة للانقراض والموت.**

استجابة لذلك عقدت اليونسكو مؤتمراً في نوفمبر عام ١٩٩٣م تبنّت خلاله الجمعية العامة "مشروع اللغات المهددة بالانقراض" متضمناً "الكتاب الأحمر للغات المهددة"، وبعد عدة شهور صدر تقرير لوحظ فيه التقدم التالي:

> **على الرغم من عدم تحديد مجال موت اللغات، وعدم تعرّفه بدقة، إلا أنه من المؤكد أنّ كثيراً من اللغات في أجزاء كثيرة من العالم مهددة بالانقراض؛ مما يعطي أهمية قصوى للدور اللساني المهني، ويتطلب مضاعفة الجهد في وصف اللغات.**

وتبع ذلك عدة أحداث سريعة و مهمة؛ فافتُتح مركز دولي لتبادل المعلومات عن اللغات المهددة بالانقراض Clearing House of Endangered Languages في جامعة طوكيو عام ١٩٩٥م. وفي العام نفسه، أُسس مركز لتمويل اللغات المهددة بالانقراض في الولايات المتحدة الأمريكية. و كانت الكلمة الافتتاحية للجنة التمويل صريحة جداً:

> **ماتت اللغات عبر التاريخ، ولكننا لم نواجه هذا الانقراض الهائل الذي يهدد العالم هذه الأيام. ونحن من واقع أننا لسانيون، فإننا أمام حقيقة ساطعة هي: أنّ معظم ما ندرسه الآن، لن يكون متاحاً للأجيال القادمة. إنّ التراث**

الثقافي للعديد من الشعوب ينهار ونحن ننظر إليه نظرة المتفرج. فهل نحن راغبون في تحمل عبء اللوم كوننا وقفنا وقفة المتفرج ولم نفعل شيئاً؟

وكذلك في عام ١٩٩٥م أُسست مؤسسة اللغات المهددة بالانقراض Foundation for Endangered Languages في المملكة المتحدة، وفي نشرتها الثانية لخّصت آفاق المشكلة، وقدّمت تقديراً غير رسمي لحجم المشكلة:

هناك اتفاق بين اللسانيين الذين تدارسوا هذا الموضوع على أنّ هناك أكثر من نصف لغات العالم في حالة احتضار، أيّ غير قادرة على الانتقال إلى الجيل القادم؛ لذا نعيش نحن وأطفالنا حقبة من تاريخ البشرية، وربما بين هذين الجيلين تموت معظم اللغات في العالم.

إنه حقاً أمر مهم بدأ يأخذ مكانه، ولم يحصل في ذاكرتي مثل هذا التزايد المفاجيء الذي هو محل الاهتمام اللساني المحترف. لكن على الرغم من أنّ الحقائق والأسباب الكامنة وراءها أصبحت محتملة الوضوح، إلا أنّ معظم الطبقة المتعلمة – وهي الطبقة التي عادة ما تكون معنية بدرجة عالية، باللغة والبيئة – لا زالت تجهل أنّ العالم يواجه أزمات لغوية ذات مستوى غير مسبوق.

بعض الناس لا يستطيعون أن يؤمنوا أو لن يؤمنوا بما نذهب إليه، وأذكر أنني أوائل عام ١٩٩٧م كتبت مقالاً "قطعة" لصحيفة الغارديان عن كتابي الذي كان في طريقه للصدور ذلك الوقت "اللغة الإنجليزية بوصفها لغة عالمية". *English as a global language* وكان تطلعاً إلى الوراء لتعرّف العوامل التي عززت انتشار اللغة الإنجليزية في جميع أنحاء العالم. وفي تلك المقالة، المكونة من ألفي كلمة، أضفتُ جملة كسؤال تأملي؛ فقلت: تخيّل ما يمكن أن يحدث إذا

الإنجليزية لا تزال تنمو كما حصل فعلاً، ربما في يوم من الأيام ستكون هي اللغة الوحيدة التي تركت للتعلم. إذا حدث ذلك، فإنّ النتيجة ستكون أكبر كارثة فكرية عرفها كوكب الأرض.

كانت مسألة عرضية، لكن لعددٍ من القراء كان الأمر وكأنني لم اكتب أبداً ما بقي من المقال. محرر الصحيفة جعله الموضوع الرئيس في ملخصه، ومعظم الرسائل التي نشرت فيما بعد ركزت على قضية موت اللغة. و كان جميلاً أن نرى كثيراً من الناس يقظين ومهتمين. لكن ردة الفعل الرئيسة على شكل مقال تعقيبي لأحد الصحفيين لم تكن جيدة جداً، ونفى جملة وتفصيلاً الفكرة القائلة بأنّ اللغات الإنسانية يمكن أن تكون في خطر على المستوى العالمي. وكان قد عاد لتوه من زيارة إلى إفريقيا، كان سعيداً جداً لكونه وجد تعدداً لغوياً هناك؛ فخلص إلى أنّ لغات العالم آمنة، و"أنّ الألفية ذات اللغة الواحدة لن تأتي أبداً".

عند ذلك قررتُ أنه لا بد من تأليف هذا الكتاب، وهو مكمل في بعض جوانبه لكتاب "اللغة الإنجليزية بوصفها لغة عالمية". والحاجة ملحة للحصول على معلومات عن فقدان لغة ما؛ لأنّ الاقتباسات من الجماعات المهنية المختلفة تشير إلى أننا في لحظة حرجة من التاريخ اللغوي البشري، ومعظم الناس لا يعلمون.

موت اللغة أمر حقيقي. هل يهمّ ذلك؟ هل علينا أن نهتمّ لذلك؟ هذا الكتاب يطرح للنقاش وجوب اهتمامنا كما ينبغي،و يهدف إلى تأسيس الحقائق بقدر ما هي معروفة ومتاحة، ومن ثَم شرحها: ما هو موت اللغة تحديداً ؟ أيّ اللغات تحتضر؟ لماذا تموت اللغات؟ ولماذا الآن

بالتحديد؟ هذا يتناول ثلاثة أسئلة صعبة: لماذا موت اللغة مهمّ جداً؟ وهل بالإمكان فعل أيّ شيء؟ وهل يجب القيام بأيّ شيء؟ إنّ آخر سؤالين بالتحديد تصعب الإجابة عنهما ويحتاجان إلى حوار حذر وحساس، ولكن في ذهن هذا المؤلف: الأجوبة لابد أن تتمحور حول "نعم" و "نعم". إنّ حالة اللغات العالمية المهددة بالانقراض يجب أن تكون على رأس أيّ جدول أعمال معني باللسانيات البيئية، وقد آن الأوان لتشجيع اللسانيات البيئية الجديدة ولنحاكي مقولةً قديمةً، تلك المليئة بالألوان وشمولية الوعي التي تُوقظ الأفكار الخضراء* (انظر صفحة٥٤-٥٥) . وهذا التشجيع يجب أن يكون على نحو عاجل وكبير؛ لأنّ اللغات تحتضر بينما أكتب الآن. على الجميع أن يهتم؛ لأنها خسارة للجميع. و هذا الكتاب للمساعدة في تبني الوعي الذي لن ينمو دون اهتمام عالمي.

كان من الممكن أن يُنجز هذا الكتاب عام ١٩٩٧م لو لم أُشغل عنه بموضوع مختلف، لكنه ذو صلة نتج عنه مبدئياً سيرة أدبية على شكل مسرحية بعنوان *Living on* "الحياة إلى الأمام" حاولت التقاط بعض القضايا العاطفية خيالياً، لكلٍ من اللسانيين وآخر المتكلمين للغات المنقرضة والحديث يدور في موضوع موت اللغة. ولا يمكنني القول فيما إذا كان العمل مسرحياً أو مجابهة علمية يمكن أن تحدث تأثيراً أكبر. كل ما أعرفه هو أن القضية تمثل تحدياً كبيراً لم يسبق له مثيل في ضخامته، و يتطلب منا تعاوناً من كل الأطراف: علماء، وصحفيين،

* يشير المؤلف هنا إلى اللون الأخضر الذي يتخذه أنصار البيئة عادة شعاراً لهم. (المترجم).

وسياسيين، وممولين، وفنانين، وممثلين، ومديرين ..... إذا أردنا أن نزيد وعي العامة (فضلاً عن الضمير) بصورة كافية تؤدي إلى التمكين لأمر مثمر؛ فإنه قد فات الأوان على مئات اللغات. أما اللغات الأخرى؛ فحان الوقت الآن.

سيكون واضحاً، خلال تكرار الاقتباسات والمراجع في هذا الكتاب، أنني اعتمدت بشكل كبير على جيش صغير من العمال الميدانيين المعنيين، بشكل فعال، بحماية اللغة حول العالم. وقد طُبعت مادة كافية لتزوّد منظومة من الأمثلة والتوضيحات التي يحتاجونها في أثناء الحديث العام عن هذا الموضوع. وقد سنحت الفرصة لي في رحلات قريبة مناقشة هذه الأمور مع عدة باحثين يعملون في تلك الميادين. و استفدت كثيراً من التعليقات على مسودة هذا الكتاب التي كتبها كل من: بيتر تردجيل **Peter Trudgill** و كارل جيمس **Carl James** و جين آيتشيزون **Jean Aitchison**. لم أكن أستطيع، بدون هذه المساعدات، أن أُكمل كتابة هذا النوع من النظرة العامة؛ لذا سخّرت كثيراً من الهوامش المكثفة والواضحة اعترافاً لهم بالجميل على دورهم المهم الذي قاموا به، وهو العمل الحقيقي فعلاً. وآمل ألا أكون قد أزعجتهم. وبالرغم من أنني شخصياً لم أخصص أكثر من ساعات قليلة للعمل مع مجتمعات اللغة المهددة بالانقراض خارج البلاد إلا أنني قضيت مدة طويلة من حياتي أعمل على إصلاح" الويلزية" في الوطن. وأود أن أعتقد أنني طوّرت حساً حقيقياً لهذه القضايا على الصعيدين الثقافي والعاطفي.

إحدى هذه القضايا هي مسالة الاستغلال: غالباً ما تُثار أسئلة (كما سنرى في الفصل الخامس) من بعض أعضاء المجتمعات الأصلية عن الحد الذي ينتفع به الباحثون الأجانب مالياً من مشكلتهم. هذه القضية، على ما يبدو لي، لا تنطبق فقط على العاملين في مشاريع اللغات المهددة بالانقراض، بل على مؤلفي كتب عامة تتعامل مع هذا الموضوع على وجه الخصوص. ومن ثم فإنّ ريع مثل هذا الكتاب ينبغي أن يحول جميع حقوق المؤلف من المبيعات إلى مؤسسة اللغات المهددة بالانقراض (انظر الملحق)، وذلك على أمل أن مهمة كتابته سيكون لها نتائج عملية بالإضافة إلى النتائج الفكرية.

ديفيد كريستال **David Crystal**

هوليهيد **Holyhead**

١ ما هو موت اللغة؟

تبدو عبارة "موت اللغة" صارخةً وقاطعة، وتحمل دلالات وأصداء مماثلة لأيّ عبارة تحوي تلك الكلمة غير المرغوب فيها. فقولنا: إنّ لغةً ما ميتة يشبه تماماً القول: إنّ شخصاً ما ميت؛ لأنّ اللغات لا وجودَ لها دون البشر.

تموت اللغة عندما لا يتحدثها أحد. ومن الصعب تصوّر مثل هذا الاحتمال عند الناطقين بلغة هذا الكتاب (الإنجليزية) أو أيّ لغة أخرى حية*؛ لكن هذه الحقيقة يمكن توضيحها بسهولة. انظر إلى هذا المثال الذي تناوله بروس كونيل Bruce Connell في صفحات النشرة الإخبارية لمؤسسة المملكة المتحدة للغات المهددة بالانقراض (FEL) ، بعنوان "الوفيات"[١]:

> صادفتُ في أثناء العمل الميداني في إقليم مامبيلا Mambila في مقاطعة أداماوا Adamawa في الكاميرون، عدداً من اللغات تُحتضَر في عام ١٩٩٤م–١٩٩٥م... عُثر على متحدث واحد بلغة اسمها كاسابي Kasabe إحدى هذه اللغات المحتضرة (يقال لها أيضاً "لوو Luo" من الناطقين باللغات المجاورة، كما ورد في تقاريري السابقة) هذا المتحدث اسمه بوجون Bogon. (وهو نفسه لا يعرف أي ناطق بهذه اللغة غيره). وعندما عدت في نوفمبر ١٩٩٦م إلى منطقة مامبيلا Mambila كان من ضمن جدول أعمالي أن أجمع بعض المعلومات عن لغة كاسابي، لكن بوجون كان قد مات في ٥ نوفمبر ١٩٩٥م وأخذ لغة كاسابي معه. وترك وراءه أخته التي يقال: إنها تفهم لغة كاسابي لكنها لا تستطيع التحدث بها، كما ترك عدداً من الأبناء والأحفاد لا أحد منهم يعرف هذه اللغة.

---

* كذلك، قد يصعب على المتحدثين بالعربية تصوّر موت اللغات؛ لأن العربية قوية ومنتشرة. (المترجم).

١– Connell (1977: 27). النشرات الإخبارية لهذه المنظمة غيّرت اسمها في الإصدارات السابقة. فقد كان الاسم *Iatiku* للإصدار الثاني والرابع و *Ogmios* للإصدار السادس. أما الإصداران الأول والخامس فلم يكن لهما اسم ولكن في هذا الكتاب يُشار إليها بنشرة مؤسسة اللغات المهددة بالانقراض FEL.

لقد ذكرت الحادثة؛ لأنها ببساطة تشبه أيّ عمود صحفي للنعي، وهذه حقيقة لا لبس فيها. في ٤ نوفمبر ١٩٩٥م كانت هناك لغة اسمها كاسابي، وفي ٥ نوفمبر لم تعد هذه اللغة موجودة.

قصة أخرى ذكرها أولي ستيج آندرسين Ole Stig Andersen [٢] في المؤتمر الثاني لمؤسسة اللغات المهددة بالانقراض في إدنبرة في عام ١٩٩٨م. هذه المرة، كان يوم ٨ أكتوبر من عام ١٩٩٢م يوماً حاسماً:

> لقد ماتت اللغة القوقازية الغربية "أوبوه Ubuh" في فجر يوم ٨ أكتوبر ١٩٩٢م عندما توفي آخر ناطقي هذه اللغة توفيق اسنيتش Tevfik Esenc. لقد وصلت لأقابل ذلك المتحدث الأخير المشهور في اليوم نفسه بالضبط من غير أيّ ترتيب مسبق، لكن كانت المصادفة أنه توفي قبل ساعتين من وصولي ودفن لاحقاً في اليوم نفسه.

والحقيقة الجلية أنّ اللغتين، كاسابي Kasabe و أوبيخ Ubykh (تكتب أسماء هاتين اللغتين بطرق مختلفة كثيرة) قد ماتتا في واقع الأمر قبل وفاة بوجون، وتوفيق، بزمنٍ طويل. فإذا كنتَ الناطق الأخير للغة ما، فلغتك ميتة بالفعل طالما الغرض من اللغة التواصل مع الناس. فاللغة تُعد حية عند وجود شخص آخر تتحدث هذه اللغة معه، ولكن عندما تكون أنت الناطق الوحيد للغة ما، فإنّ معرفتك بهذه اللغة مستودع أو أرشيف لماضي أمتك اللغوي. وإذا لم تكن هذه اللغة مكتوبة أو مسجلة على أشرطة، كحال الكثير من اللغات، فهذه اللغة ستبقى كما هي (متعلقة بمصير الأشخاص الناطقين بها). لكن على عكس الفكرة العامة لمفهوم الأرشيف، الذي يستمر إلى ما بعد موت كاتبه، في اللحظة التي يختفي آخر متحدث للغة غير مكتوبة أو غير مسجلة

٢- Andersen (1998: 3).

فإنّ هذا الأرشيف سيختفي إلى الأبد. وعندما تموت اللغة، قبل أن تُسجل بطريقة ما، تصبح كأنها لم تكن من قبل[٣].

تجمع اللغة

كم عدد اللغات التي وصلت إلى حد الموت؟ وكم عدد اللغات المهددة بالانقراض؟ وقبل أن نتوصل إلى تقدير دقيق لحجم المشكلة، يجب أن نطوّر منظوراً ملموساً. إنّ النسب المقتبسة المنتشرة المتعلقة باللغات التي تموت إنما تكون ذات مغزى إذا كانت ذات صلة وثيقة بالأرقام التي تعطينا العدد الإجمالي للغات الحية القائمة في الوقت الحاضر. إذاً كم عدد اللغات؟ تعطي معظم المراجع المنشورة منذ ١٩٨٠م رقماً بين ٦٠٠٠ و٧٠٠٠ لغة. لكن هذه التقديرات تغيرت في العقود الأخيرة لتصبح بين ٣٠٠٠ و١٠٠٠٠ لغة. ومن المهم أن نعرف أسباب هذا التباين الهائل.

إنّ السبب الأكثر وضوحاً هو سبب تطبيقي. فلم يكن هناك سوى عدد قليل من الدراسات الاستقصائية حتى النصف الثاني من القرن العشرين، إذ إن معظم التقديرات السابقة

٣- بطبيعة الحال تبدو احتمالية وجود متكلمين آخرين للهجة نفسها قائمة. وفي حالة "أوبيخ" Ubykh مثلاً، إذ كانت هناك شائعات في ذلك الوقت بوجود اثنين أو ثلاثة متكلمين آخرين في قرى مختلفة. في بعض الأحيان قد تكون مثل هذه الإشاعات صحيحة: وغالباً ما تكون كاذبة؛ لأنّ المتكلمين يستعملون لهجة مختلفة أو لغة مختلفة. ولكن حتى لو كان هذا صحيحاً، فإنّ وجود متكلم آخر أو اثنين يؤجل عادة سجل الوفيات الحقيقي لمدة قصيرة. ولبعض الأمثلة عن الأستراليين الأصليين، انظر Wurm (1988: 193). و يزوّدنا "ايفانس" Evans بنبذة ممتازة عن الإصدارات اللغوية والاجتماعية التي تظهر عند العمل مع المتكلمين السابقين، وبشكل خاص مشكلة تقرير عمن يمكننا اعتباره 'آخر متكلم' للهجة.

كانت تقوم على التخمين، وغالباً ما تكون قليلة جداً. وكان ويليام دوايت ويتني William Dwight Whitney قد خمّن عدد اللغات، وذكره في محاضرة عام ١٨٧٤م، وهو ألف لغة[٤]. بينما افترض أحد المهتمين باللغة، وهو فريدريك بودمر Frederick Bodmer أنّ عدد اللغات ١٥٠٠ لغة. واختار آخر، هو ماريو بي Mario Pei أنّ عدد اللغات ٢٧٩٦ لغة[٥]. وتجنب معظم اللسانيين، بداية القرن العشرين، وضع أي رقم محدد. وكان جوشوا واتموف Joshua Whatmough أحد الاستثناءات؛ اعتقد في كتابته عام ١٩٥٦م، أنّ هناك ٣٠٠٠ لغة[٦]. ونتيجة لذلك، ومع عدم وجود إرشاد مهني محترف، ستكون هناك إحصاءات وتقديرات عشوائية تتأرجح بين عدة مئات إلى عشرات الآلاف. ويستغرق قيام الدراسات الاستقصائية المنظمة بعض الوقت. إثنولوج *Ethnologue* هي أكبر دراسة استقصائية في الوقت الراهن. وتعد أول موسوعة شملت العالم كله، واحتوى إصدار ١٩٧٤م على ٥٦٨٧ لغة[٧]. بينما احتوى إحصاء فوجلنز Voegelins الذي نُشر عام ١٩٧٧م نحو ٤٥٠٠ لغة حية[٨]. وتغير الحال تدريجياً في ثمانينات القرن الماضي بسبب تطور أدوات وتقنيات جمع المعلومات. واحتوى

٤- انظر Silverstein (1971: 113).

٥- Bodmer (1944: 405) و Pie (1952: 285) . في كتاب لاحق (1954: 127) هذا المجموع نقص١.

٦- Whatmough (1956: 51).

٧- راجع الإصدار الثالث عشر جرمز Grimes (1996)، وكذلك موقع الإنترنت: www.sil.org/ethnologue. يعود الاصدار الأول في الحقيقة إلى عام ١٩٥١م عندما أصدر ريتشارد بتمان Richard Pittman إصداراً منسوخاً مكوناً من عشر صفحات اعتمد على مقابلات مع الناس الذين يحضرون المعهد الصيفي للسانيات.

٨- Voegelin & Voeglin (1977). في الإصدار الأول عام ١٩٨٧م موسوعة كامبريدج للغة *Cambridge encyclopedia of language* (Crystal 1997a).

الإصدار الثالث عشر لدراسة *Ethnologue* عام ١٩٩٦م على ٦٧٠٣ لغات رئيسة، وصُنفت ٦٣٠٠ لغة على أنها لغات حية عام ١٩٩٢م في "الموسوعة الدولية للسانيات"[٩]. وهناك أسماء ٦٧٩٦ لغة مدرجة في فهرس أطلس لغات العالم[١٠]. ويُعتقد أنّ الرقم الغالب الآن هو نحو ٦٠٠٠ لغة، مع تباين ملحوظ، فتنقص أو تزيد[١١]. وعلى نحو استثنائي فإنّ عدداً كبيراً من التقديرات تشير إلى نقصان العدد.

سببٌ آخر للشك في صدق هذه الدراسات هو أنّ المعلقين يعرفون أنها غير مكتملة، وأنها تعويض عن غياب الحقائق الثابتة، ويُبالغ أحياناً في هذه الدراسات وأحياناً يُقلل من شأنها. إنّ قضية فقدان اللغة هي في حدّ ذاتها مصدر للالتباس. يمكن أن يعرف الناس حقيقة موت اللغات، لكنهم لا يعرفون معدلات الموت. ويتأثر تقدير التخمين العالمي الحالي اعتماداً على طريقة التقدير: فبعضهم أصحاب نظرة متحفظة للأمر، وبعضهم أصحاب نظرة متطرفة. (وهذه القضية ستؤخذ في الاعتبار لاحقاً). وهناك وضع مقابل؛ فاللغات ليست جميعها "مكتشفة" حتى الآن؛ وفي هذه الحال لابد من أخذ عنصر النمو في الاعتبار. إنّ الاستكشاف القائم

٩- Bright (1992) أتيحت ملفات *Ethnologue* (بعد ذلك في الطبعة ١١) لهذا المشروع و هذا هو سبب التشابه بين المجاميع.

١٠- هذه إحصائيتي عن Mosely and Asher (1994).

١١- Dixon (1997: 143) يورد ٥٠٠٠ -٦٠٠٠ وكذلك Grenoble and Whaley (1998a) في مقدمتهم. (1987: 1) Wardhaugh يورد ٤٠٠٠ - ٨٠٠٠ ويستقر على ٥٠٠٠. (1987) Ruhlen يصل إلى ٥٠٠٠. (1991) Wurm يقول "فوق ٥٠٠٠". ولقد استشار Krauss عدداً من اللسانيين في مقالته "لغات العالم في محنة" (5 :1992)، ولاقت فكرة أنها ٦٠٠٠ قبولاً واسعاً؛ لأنها كانت تقديراً معقولاً. (287 :1997a) Crystal يورد أيضاً ٦٠٠٠. وهناك العديد من الاستبانات تمضي قدماً؛ "تقرير لغات العالم" الذي تدعمه اليونيسكو ولنجوابكس Linguapax ويموله إقليم الباسك مجدول للنشر في ٢٠٠١م: انظر أيضاً Global Language Register لاحقاً.

داخل بلد ما، لا يتيح تقديرات حية بالطبع، بالنظر إلى معدل ما قام به الدارسون المطورون داخل هذه البلدان في السنوات الأخيرة. لكن في مناطق مثل جزر إندونيسيا، وبابوا في غينيا الجديدة، أو أمريكا الجنوبية أو الغابات الاستوائية المطرية في إفريقيا الوسطى، تأتينا تقارير، من حين لآخر، عن مجتمعات ولغات لم تكن معروفة من قبل[١٢]. على سبيل المثال، عُثر على قبيلتين من البدو الرحّل في يونيو ١٩٩٨م هما قبيلة فاهوديت Vahudate (تتكون من عشرين عائلة) وقبيلة أوكيديت Aukedate (تتكون من ٣٣ عائلة) قرب منطقة نهر مامبرامو Mamberamo على بعد نحو ٢٤٠٠ ميل، شرق جاكرتا، في إيريان جايا Irian Jaya. وفي هذا الجزء من العالم يمكن للجبال الشاهقة والوديان العميقة أن تخفي مجتمعاً ما، ومن المرجح أنّ كلام هذه القبائل مختلف، بشكل كبير، عن كلام الآخرين، مما يؤدي إلى اعتباره لغة جديدة. ويشير مكتب الشؤون الاجتماعية في المنطقة إلى اكتشاف مجموعات جديدة كل عام تقريباً[١٣].

حتى أجزاء العالم التي اكتشفت مؤخراً قد لا يكون أُجري فيها المسح اللغوي المناسب. وهذا هو حال نصف لغات العالم تقريباً. وهناك ٣٠٧٤ لغة من اللغات الـ ٦٧٠٣ التي وردت في إصدار إثنولوج *Ethnologue* الثالث عشر، ألحق بها التعليق "مطلوب مسح". ويقرر المسح فيما إذا كان جميع المتحدثين الموجودين في منطقة معينة يتكلمون اللغة نفسها، أم أنّ هناك

١٢– إنّ لغات العالم تتوزع دون مساواة: نحو ٤٪ في أوروبا ونحو ١٥٪ في أميركا ونحو ٣١٪ في إفريقيا ونحو ٥٠٪ في آسيا والمحيط الهادي. البلدان المذكورة لديها الآن أعلى نسبة توزيع للغات: غينيا الجديدة وإندونيسيا لوحدهما لديهما ٢٥٪ (١,٥٢٩) من اللغات فيما بينهما وذلك (وفقاً لإصدار ١٩٩٦من الأعراق البشرية *Ethnologue*).

١٣– أُعيد تقديم هذا التقرير في *Ogmios* 9.6 لاكتشافات مماثلة في أمريكا الجنوبية. انظر Adelaar (1998: 12)؛ Kaufman (1994: 47) يقول: إنّ نحو ٤٠ لغة اكتُشفت في أمريكا الجنوبية خلال القرن الماضي.

اختلافاً بينهم. وإذا كان هناك اختلاف معين، فإنّ المسح يقرر فيما إذا كان هذا الاختلاف هو فقط اختلاف في اللهجات، أم يرتقي بها إلى مستوى لغات مختلفة. وفي بعض الأحيان، زيارة أولية لا تفي بالغرض، وتشير إلى أنّ كل الأفراد يتحدثون لغة واحدة. وبعد مسح دقيق ومتابعة يتبين أنّ هذا اعتقاد خاطئ، بل يتحدثون لغات متعددة. في المقابل، من الممكن أن يحدث العكس أحياناً، فالمسح الأولي في الزيارة الأولى لا يعير اهتماماً إلى الاختلاف بين المتحدثين. ويعني هذا أنّ عدد اللغات سيزداد في الحالة الأولى، بينما سينقص في الحالة الثانية. وعليه، إذا اتخذت قرارات من هذا النوع، على مستوى العالم، سيكون هناك أثر واضح في عدد اللغات.

للاطلاع أكثر على هذه الإحصاءات، دعنا نأخذ لغة واحدة من تلك اللغات التي يُرى أنها تستدعي مسحاً: لغة تابشين Tapshin وهي، حسب إحصاء إثنولوج *Ethnologue*، لغة يطلق عليها أحياناً تابشينوا Tapshinawa وسورو Suru ومايت Myet. يتحدث هذه اللغة عدد "قليل" من السكان في مقاطعة كادون Kadun في ولاية بلاتو في نيجيريا. يقال: إنّ هذه اللغة غير مصنفة ضمن مجموعة Benue – Congo الواسعة للغات. وقد زار روجر بلينش Roger Blench من معهد تطوير لغات ما وراء البحار في لندن، تلك الجماعة في مارس عام ١٩٩٨م. وأرسل تقريراً قصيراً إلى مؤسسة اللغات المهددة بالانقراض[١٤]. وقد ركز على صعوبة الوصول إلى سكن تلك الجماعة. فقرية تابشين Tapshin موزعة على مساحة واسعة على بعد نحو ٢٥ كيلومتراً عن طريق بانكشين–آمبر Pankshin- Amper. ولا يمكن الوصول إليها إلا عبر طريق

١٤- Blench (1998).

صعب لا يمكن السير فيه إلا بسيارة ذات دفع رباعي. وهذا الطريق غالباً ما يكون مغلقاً خلال موسم هطول الأمطار. ويطلق شعب تابشين Tapshin على أنفسهم اسم Ns'r الذي اشتق منه روجر بلينش اسمهم نسور Nsur، ومن المفترض أيضاً أنّ اسم "سورو Suru" في إحصاء إثنولوج مشتق من هذا الاسم. لكن شعوب نقاس Ngas تطلق عليهم اسم ديشيلي Dishili (أشير إليه على أنه Angas في إحصاء *Ethnologue*). أما الاسم مايت Myet فإنه مشتق من اسم مستوطنة اسمها (ميت Met) تقع على مسافة غرب تابشين Tapshin. ويدّعي شعب تابشين أنّ شعب (ميت Met) يتكلمون لغتهم نفسها، لكن بلينش Blench تعامل بحذر حيال هذه المعلومات (لأن مثل هذه الأحكام قد لا تكون أكثر من انعكاس لعلاقات تاريخية واجتماعية بين الجماعات). ويبدو أنه لا توجد معلومات سابقة مسجلة عن شعب (نسور Nsur). ويستنتج روجر بلينش من خلال قوائم الكلمات الأولى وجود تأثير كبير متبادل مع لغة نقاس Ngas. ويقدر روجر بلينش عدد المتحدثين بأنه بين ٣٠٠٠ و٤٠٠٠ متحدث، على الرغم من أنّ العدد الإجمالي يتوقف على انضمام شعب (ميت) إلى (نسور) من عدمه.

يوضّح هذا المثال الصغير المشكلات التي يواجهها المحلل اللساني. وهناك التباس في الأسماء يجب تسويته، بالإضافة إلى أوجه الشبه والخلاف الملحوظة بين المتحدثين[١٥]. ويبدو أنّ حالة نسور Nsur من الممكن التحكم فيها عن طريق خيارات تؤخذ في الاعتبار. وغالباً ما تكون مشكلات الأسماء هي الأعظم. وهناك لغة أخرى في ولاية بلاتو Plateau في نيجيريا تدعى بيروم

١٥– لمناقشة مشكلة التسمية مع إشارة خاصة إلى الصين انظر (Bradley (1998: 56 ff.

Berom ورد اسمها في إحصاء إثنولوج، ولها ١٢ اسماً بديلاً هي: *Berum, Berom Gbang, Kibo, Kibbo, Kibbun, Kibyen, .Aboro, Boro–Aboro, Afango Chenberom, Shosho* والمهمة هنا هي التأكد من كون هذه أسماء تعني شيئاً واحداً، أم تشير إلى كيانات مختلفة مثل الشعب أو اسم متحدث بعينه، أو اسم أطلق على لغة عُرفت باسم متحدثيها (القياس الأوروبي يمكن أن يكون *Irish* التي تطلق على اللغة والشعب *Irishman/woman and Gaelic/Irish/Erse* على التوالي). ثم تبرز مسألة، وهي: ماذا تسمى اللغة عند الأجانب؛ فقد توجد عدة أسماء متنوعة حسب تسمية "الأجانب"، تعتمد على عدد المجموعات التي تعرف هذه اللغة أو على تواصل معها (قارن اللغة الألمانية *deutsch* إذ يقال لها ألماند *allemand* و جيرمان *German* و تيديسكو *Tedesco* وهكذا). وتتراوح هذه الأسماء بين كونها أسماء صديقة، أسماء محايدة، أو أسماء عدائية. مثلاً (قارن بين عبارتي: "فلان يتحدث الفرنسية French"وبين نقيضها: "فلان يتحدث الضفدع Frog"). واسم شوشو Shosho الذي ورد أعلاه يبدو اسماً عدائياً. لكن كل ذلك يجب أن يكتشفه الباحث. ولا توجد طريقة مسبقة لمعرفة: كم هي الإجابات؟ وما هو نوعها؟ على سؤال: "ما هو اسم لغتك؟"، أو فيما إذا كان هناك عدة أسماء للغة واحدة مثل الأمثلة الواردة من قبل، التي من الممكن أن تكون ١، ٢، ٦، أو ١٢ لغة. ويجب أن يكون حجم هذه المشكلة موضع تقدير: إذ إنّ ٦٧٠٣ لغات وردت في إحصاء إثنولوج، نتج عنها ٣٩٣٠٤ أسماء مختلفة.

ويشير عدد كبير من هذه الأسماء، بطبيعة الحال، إلى لهجات للغة. ويثير هذا التمييز بين الأسماء صعوبات منوعة: هل هذا الاسم يشير إلى لغة كاملة أم إلى لهجة؟ ويبقى السؤال محل اهتمام اللسانيات لأكثر من قرن، فيما إذا كان هناك نظامان للكلام يمكن اعتبارهما لغتين منفصلتين، أم لهجتين للغة نفسها. ومن الضروري أن يكون هناك معايير لتقرير هذه المسألة، لأنه من الممكن أن يكون هناك تداعيات كبيرة، عندما يتعلق الموضوع بإحصاء اللغات. خذ على سبيل المثال، سجل لغات العالم (GLR) في عملية الجمع التي قام بها المرصد اللغوي[١٦] Observatoiare Linguistique عام ١٩٩٧م الذي أعده ديفيد دالبي David Dalby. اقترح هذا المشروع ثلاث تسميات هي: اللسان *tongue* (أو اللغة الخارجية *outer language*)، واللغة *language* (أو اللغة الداخلية *inner language* أو التعبير *idiom* في اقتراح أوسع) واللهجة *dialect*. وكل ذلك لتجنب ما يمكن اعتباره تقليلاً من شأن الفصل بين اللغة واللهجة. وقد أشارت تقارير، في وقت مبكر، تتعلق بهذا المشروع إلى أنه يمكن توقع ١٠٠٠٠ لغة تقريباً، إذا ما تم استخدام هذه المعايير. وهو رقم مثير للدهشة إذا ما تمت مقارنته بالأرقام المقترحة سابقاً. وتفسير هذه الحالة له علاقة بالمنهجية. إنّ سجل لغات العالم جُمع من أنظمة الألسن والتعابير للغات والذي يحتوي على عدة أنماط لغوية اعتبرتها المنهجيات الأخرى لهجات. ويمكن لهذا المثال أن يوضح هذا الأثر المتضخم لهذه المقاربة. المنهج التقليدي حيال اللغة الويلزية المعاصرة

١٦- التفاصيل التالية أُخذت من ورشة عمل Logosphere Workshop عُقدت في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن، سبتمبر ١٩٩٧م وبشكل خاص من Dalby (1997) ومن ملخصاته التكميلية التي وُزعت لاحقاً.

هو أن تعتبرها لغة واحدة، على الرغم من بعض الاختلافات بين الشمال والجنوب التي يمكن أن يشار إليها على أنها لهجات. ويبدو أنّ هذا المنهج معقول على أساس الوضوح المتبادل والهوية اللسانية الاجتماعية (لويلز كونها إمارة ذات شعب). وتحليل سجل لغات العالم يعامل هذا التباين، بين الشمال والجنوب الويلزي، على أساس أنه مبرر للاعتراف باللغات المختلفة (كل لغة لها لهجاتها الخاصة)، ويوضح الفرق بين الويلزية القديمة وويلزية الكتاب المقدس، والويلزية الأدبية، والويلزية الفصحى المعاصرة، والويلزية الخاصة بالمتعلمين (لغة تربوية كانت معروفة في ستينات القرن العشرين باسم لغة "الحياة الويلزية" Cymraeg Byw. وباستثناء اللغة الويلزية القديمة، يمكن اعتبار ست "لغات داخلية" ضمن "اللغة المعروفة للأجانب" باسم اللغة الويلزية المعاصرة. ويمكن للمرء أن يرى كيف يمكن أن يصل الرقم الاجمالي إلى ١٠٠٠٠ حالة عند الأخذ بعين الاعتبار حالات مماثلة حول العالم.

مسألة اللغة أو اللهجة تناولتها الأدبيات اللسانية عدة مرات، فلا تبرير لتناول الموضوع هنا بتفاصيل أكثر[١٧]. باختصار، وبناءً على أسس لسانية بحتة، يمكن اعتبار نظامين من الكلام على أنهما لهجتان للغة نفسها، إذا كان هناك وضوح متبادل بينهما. وهذا يجعل "كوكني *Cockney*" و "سكاوز *Scouse*" لهجتين من لهجات الإنجليزية، ويجعل اسم "كويشوا *Quechua*" اسماً شاملاً لأكثر من ١٢ لغة. ومن ناحية أخرى، فإنّ الاعتبارات اللسانية البحتة يمكن

١٧– الحسابات والإحصاءات القياسية موجودة في Chambers and Trudgill (1980: ch. 1) و (1997a: ch. 47) Crystal.

"الفصل فيها" بواسطة المعايير الاجتماعية السياسية؛ وعليه ربما نواجه أنظمة كلامية ذات وضوح متبادل، ولكنها، على الرغم من ذلك، تُعد لغات مستقلة. وهناك مثال معروف جداً لحالة اللغة السويدية، والدنماركية، والنرويجية، التي تُعد لغات منفصلة، على الرغم من أنّ أفراد هذه المجتمعات يفهم بعضهم بعضاً بدرجة ملموسة. وهناك مثال أكثر حداثة، وهو حالة اللغة الصربية الكرواتية *Serbo-Croatian* التي كانت تُستخدم سابقاً بشكل واسع، كونها لغة تضم عدة تنوعات وأصناف لغوية في يوغسلافيا السابقة، ولكن بعد الحرب الأهلية في تسعينات القرن الماضي حلت محلها أسماء جديدة هي: اللغة الصربية، واللغة الكرواتية، واللغة البوسنية. ففي عام ١٩٩٠م كانت هناك لغة واحدة في هذه البلدان، أصبحت الآن ثلاث لغات. إنّ الخصائص والمعايير اللغوية تغيرت بصعوبة، لكن الوضع السياسي الاجتماعي قد تغير بشكل لا رجعة فيه.

وبطبيعة الحال، من المرجّح أن تزيد هذه الفروق بين هذه اللغات، نتيجة لوجود مجتمعات ذات خصوصية تسعى كل منها، جاهدة، لتعزيز لغتها رمزاً للهوية المحلية. ويحدث هذا الأمر بالفعل؛ فإذا استمر، أتى يوم يختفي فيه الوضوح المتبادل بين اللغة الكرواتية واللغة الصربية. وهو مثال إضافي لأمر يحدث بصورة متكررة وطبيعية في التطور اللساني. حقاً، يمكن أن تزداد لغات العالم في يوم من الأيام؛ نتيجة للتطوّر المعاصر في مجال الاعتراف بالهويات العرقية. ويمكن أن تتأثر اللغات العالمية بهذه الطريقة. فقد لوحظ ذلك على اللغة الإنجليزية، إذ بدأت تظهر لها أشكال جديدة في العالم، نتيجة للحالة اللغوية الناشئة لهذه اللغة كونها لغة عالمية مشتركة. فعلى

الرغم من أنّ اللغات السنغافورية، والغانية، والكاريبية، و"الإنجليزيات الجديدة" الأخرى تبدو "أصنافاً من الإنجليزية"، وبالرغم من استمرارها في هذا التوجه؛ فمن المؤكد أنّ الحركات الاجتماعية السياسية المحلية قادرة على "تطويرها" لتصبح لغات منفصلة في الوقت المناسب. وقد ظهرت كتب ومقالات تتوقع مثل هذه المخرجات (من حيث التسمية على الأقل) [١٨]. وبعد ذلك كله، إذا رغب مجتمعٌ ما في أن تُعد طريقة كلامه على أنها "لغة"، وإذا ما توافرت السلطة السياسية لدعم هذا القرار، فمن يستطيع منع المجتمع من ذلك؟ ومن ثوابت عصرنا أن تتمتع المجتمعات بحق التعامل مع سياستها وشؤونها الداخلية، طالما لم يكن هناك تهديد للآخرين. وسيناريو مستقبل اللغة الإنجليزية معقد، ولا يمكن التنبؤ به، في ظل ظهور أصناف من المستويات اللغوية المبسطة والمهجنة، في هيئة تنوعات جديدة وناشئة، تكتسب مكانتها تدريجياً. ومن الممكن، خلال بضعة أجيال من التغير في طريقة الكلام، ودرجة الوضوح المتبادل مع أنظمة كلامية ذات تاريخ آخر، أن يتطور كل ما سبق، لدرجة أن يطلق عليها اسم غير "الإنجليزية"، (كما حصل في حالة إيبونيكس* Ebonics) على الرغم من عدم تحقيقه نجاحاً كافياً. وحينها، يمكن أن يحدث تطور حقيقي وازدياد في عدد "اللغات الإنجليزية". ويمكن أن يحدث تغير مماثل لأي لغة لها انتشار دولي، وحيث حالات تماسها وتواصلها مع اللغات الأخرى تشجع ازدياد هذا التنوع البنيوي. ويبقى عدد هذه اللغات المبسطة والمهجنة قليلاً نسبياً

١٨– McArthur (1998) و Rosen (1994) ومجلة *World Englishes* . انظر كذلك Crystal (1998).

* الإنجليزية التي يتحدثها الأمريكيون من أصول أفريقية. (المترجم).

بالمقارنة مع معدل موت اللغات، لكن يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار؛ لأنه يقدم دليلاً على الحياة اللغوية الراهنة.

لذلك يجب التعامل بحذر مع تقديرات عدد اللغات في العالم. ومن غير المرجح أن يكون هناك عدد إجمالي شامل متفق عليه. ونتيجة لذلك، توجد إشكالية دائمة تتعلق بترجمة الملاحظات ذات الصلة بنسب اللغات المهددة بالانقراض لتصبح أرقاما مطلقة، والعكس صحيح. إذا كنت تعتقد أن "نصف لغات العالم تموت" وأخذت واحدة من متوسط العدد الإجمالي أعلاه، سيكون تقديرك نحو ٣٠٠٠ لغة تقريباً. ولكن إذا أخذت هذا الرقم بصورة عشوائية (كما يفعل مراسلو الصحف) وربطته بأعلى التقديرات (مثل سجل اللغات العالمي، ١٠٠٠٠ لغة) ستستنتج أن أقل من ثلث لغات العالم يموت. ونتيجة لذلك، فإنّ الحالة ليست خطيرة كما قيل عنها. وفي الحقيقة هذا التعليل يفتقر إلى الشرعية ويتم تجاهله، إذ إنّ المعايير المستخدمة في العدد الإجمالي الأول مختلفة تماماً عن المعايير المستخدمة في العدد الإجمالي الثاني. وإنني كلما قرأت الصحف الشعبية أرى أنواعاً من الادعاءات، وادعاءات مضادة لها، مع إحصاءات تستخدم لإعطاء قيمة لنقاش لا يستطيعون تحمل مسؤوليته.

وفي الوقت نفسه، وعلى الرغم من الصعوبات، فإننا لا نستطيع تجاهل الحاجة إلى معايير عالمية. وطالما أنّ توضيح المسألة أدناه يرتبط كثيراً بقضايا السياسة الوطنية والدولية والتخطيط، فيجب أن نصل إلى تقديرات أفضل من أجل إقناع الحكومات ومؤسسات التمويل بأنّ الحاجة ملحة جداً وماسة. وبناء عليه، سوف أقترح معدلاً بين ٥٠٠٠ حداً أدنى و٧٠٠٠ حداً أعلى

للمدة من ٢٠٠٠م إلى ٢٠٠٦م، تزيد ألفاً أو تنقص ألفاً، وسوف أربط هذا الاقتراح بأيّ حديث لاحق عن النسب[١٩].

حجم المشكلة

يُقال عن لغة ما بأنها ميتة، عندما لا يبقى على قيد الحياة أحد من متكلميها. وربما يستمر وجود اللغة على صورة مسجّلة، كما هو حال اللغة المكتوبة تقليدياً، أو كما حصل مؤخراً جزءاً من الأرشفة الصوتية والمرئية (ولا يعني ذلك "استمرارية الحياة" بهذه الطريقة). ولكن ما لم يكن للغة متحدثون فلا يمكن أن تعد "لغة حية". وكما أنه ليس بإمكان المتكلمين تجسيد طلاقتهم، إذا لم يوجد شخص آخر للحديث معه بتلك اللغة؛ فحينها يمكننا القول: إنّ تلك اللغة ميتة فعلاً إذا كان متكلمها واحداً فقط، مع عدم وجود أي شخص من جيل الشباب مهتم بتعلم تلك اللغة. ولكن ماذا نقول إذا بقي متكلمان أو ٢٠ متكلماً أو ٢٠٠ متكلم للغة؟ كم عدد المتكلمين الذي يضمن حياة لغة ما؟

١٩– من الجدير ذكره هامشاً نهائياً لهذا القسم أنّ اللغات المنتشرة اليوم ما هي إلا جزء من اللغات التي كانت موجودة. هناك كثير من الأمور غير معروفة تتعلق بالتقديرات التي لم تكن أكثر من تأمليةً جيداً. ولكن يمكننا عمل تخمينات مستخدمين معيارين أولهما: لدينا بعض الأدلة من الحيز المسجل للتاريخ الغربي عن عدد اللغات (والحضارات) التي ماتت. ومن اللسانيات التاريخية نعرف شيئاً عن المدى الذي تتغير به اللغات. فعلى سبيل المثال، ظهور اللغات الرومانسية من اللاتينية. ولدينا أيضاً فكرة غامضة عن عمر ملكة اللغة عند الإنسان والتي من المحتمل أن تتراوح بين ١٠٠,٠٠٠ و٢٠,٠٠٠ سنة ماضية. جمع هذه المتغيرات هي مهمة جريئة ولكن بعض الناس قد حاولوا هذا الأمر. يستنتج Pagel (1995: 6) أنّه ربما كان أكثر من ٦٠٠,٠٠٠ لغة محكية على وجه الأرض وربما أقل من ٣١,٠٠٠ لغة محكية. وتوقعه "المتوسط" هو ١٤٠,٠٠٠ لغة. وحتى لو أخذنا تقديره الأقل فإننا نجد أنه من الواضح أن العديد من اللغات قد ماتت في تاريخ البشرية، أكثر مما بقي إلى الآن. وبالنسبة للسؤال فيما إذا كانت نسبة الانحدار قد ازدادت في الأوقات الحالية. انظر أدناه. و عن قضية ماذا خسرنا؟، انظر الفصل الثاني.

من المفاجئ أن تصعب الإجابة عن هذا السؤال. شيء واحد يتضح جليّاً: وهو أنّ العدد الإجمالي للسكان لا معنى له. إذ أظهر تحليل للحالات الثقافية –كل على حدة –أنّ أرقام السكان، دون ربطها بسياقها، يظل بلا فائدة. وفي ظروف معينة، كالمحيط القروي المعزول، قد يستطيع ٥٠٠ متكلم إعطاء انطباع متفائل ومنطقي عن اللغة. بينما في حالات أخرى، مثل مجتمع الأقلية المنتشر على أطراف المدن النامية بسرعة، فإنّ فرص ٥٠٠ متكلم للمحافظة على لغتهم العرقية على قيد الحياة تبدو محدودة جداً. في العديد من مناطق الجزر في المحيط الهادي، يمكن القول: إنّ مجتمعاً من ٥٠٠ شخص يُعد كبيراً ومستقراً، في حين أنّ ٥٠٠ شخص في معظم أجزاء أوروبا يُعد مجتمعاً صغيراً. يجب عدم النظر إلى عدد متكلمي اللغة وحده، ولكن ينظر دائماً إلى عدد المتكلمين، وعلاقة هذا العدد بمجتمعه. لذا وفي واحد من استطلاعات أكيرا ياماموتو Akira Yamamoto [٢٠] تتضح اللغات التي يتراوح عدد متكلميها بين ٣٠٠ و٥٠٠، بما فيها لهجة سانتا أنا Santa Ana من لهجات كيرسان Keresan في الولايات المتحدة، ولغة أُولوا Ulwa في نيكاراغوا، ولغة ساهابتن Sahaptin في الولايات المتحدة. أولى هذه اللهجات المحلية لها ٦٠٠ متحدث فقط، والثانية لها نحو ٢٠٠٠، والثالثة لها نحو ١٢٠٠٠. وبصورة واضحة فإنّ العدد ٥٠٠ يمثل قصة مغايرة في كل حالة، عندما يتعلق الأمر بتقويم مستوى التهديد بالانقراض. وقد توصل ياماموتو Yamamoto في دراسته إلى تعليق استنتاجي هو: إنّ حجم السكان وحده ليس مؤشراً دقيقاً على حالة اللغة. وقد أعطى مثالاً

٢٠– Yamamoto (1997: 12).

للغة كانت في وقت الدراسة لا يتجاوز متحدثوها ١٨٥ متحدثاً من كل الأعمار، وهي لغة كاريتيانا Karitiana (البرازيل). ومع أنّ هذا يبدو قليلاً فقد أوضح أنّ المجموع الكلي لتلك الجماعة كان ١٩١ شخصاً، وبعبارة أخرى ينبغي لنا أن نقول: إنّ أكثر من ٩٦٪ من السكان يتحدثون بتلك اللغة. وبما أنّ الأطفال مستمرون، كما يظهر، في تعلم لغة كاريتيانا على أنها لغتهم الأولى (مع البرتغالية التي جاءت مؤخراً لغة ثانية) فإنّ ياماموتو يسأل سؤالاً متعلقاً بهذا الأمر: هل هذه اللغة فعلاً مهددة بالانقراض؟

الافتراض السائد هو أنّ أيّ لغة عدد متحدثيها قليل تكون محاطة بالمشكلة، والإحساس العام يشير إلى أنّ الأمر كذلك[٢١]. وفي أماكن قد تساعد فيها الظروف ربما تتاح الفرصة لمثل هذه اللغة أن تستمر في البقاء (انظر المزيد في الفصل الثالث). لذلك، وعلى الرغم من الاستثناءات، فإنّ معظم الناس يعتبرون أنّ اللغة التي يقل عدد متحدثيها عن ١٠٠ متحدث في حالة خطرة جداً. وقد يفكرون في مصطلحات لـ (جدول تنازلي) يبين أنّ اللغات التي لها أقل من ٥٠٠ متحدث تكون أقل عرضة للانقراض، ثم التي لها ألف تكون أقل عرضة من تلك وهكذا. والذي لا يبدو واضحاً هو المستوى الذي عنده ينبغي أن نوقف تلقائياً التفكير في الخطورة. إنّ الأرقام المقترحة لهذا المستوى أكبر مما يمكن أن نتوقعه، فمجموع عشرة آلاف

٢١- تعكس العديد من مقالات اللغات المهددة بالانقراض هذه النقطة. فعلى سبيل المثال يقول نوريس Norris (1998: 3): "توجد عوامل تسهم في قدرة اللغة على البقاء حية، أولها وأهمها حجم الكثافة السكانية لمتحدثي اللسان الأم أو لسان الوطن. وبما أنّ قاعدة كبيرة من المتكلمين ضرورية لضمان قابلية اللغة للحياة طويلة الأمد؛ فإنّه كلما امتلكت اللغة متكلمين كانت فرص النجاة أفضل" للمزيد انظر الفصل الرابع.

يوحي بالسلامة على المدى القصير، ولكن ليس على المدى المتوسط[٢٢]. فمثلاً في إفريقيا، في نطاق السافانا، نجد أنّ بعض اللسانيين يعدون اللغة – أياً كانت – مهددة بالانقراض إذا كان المتحدثون بها أقل من عشرين ألف متحدث[٢٣]. وفي بعض أجزاء غرب إفريقيا، حيث الإنجليزية والكريول الفرنسية، على وجه التحديد، تجذبان أعداداً ضخمة من المتحدثين الجدد، فإنّ العديد من اللغات المحلية أصبحت مهددة بالانقراض، بالرغم من أنّ هذه اللغات حالياً يتكلمها مئات الآلاف من الناس. وهذا ما يدعو الناس إلى الدهشة والاستغراب أن تكون لغات بهذه الأعداد الكبيرة من المتحدثين بها، ومع ذلك تكون في نطاق الخطر. علاوة على ذلك، فقد رأينا – خلال القرن العشرين – العديد من اللغات هبطت أعداد المتحدثين بها من أرقام كبيرة: فمثلاً عام ١٩٠٥م عدد متحدثي Breton ١,٤ مليون متحدث؛ واليوم واستناداً إلى نوع من أنواع معايير الطلاقة، فإنّ الرقم ربما انخفض إلى ٢٥٠ ألفاً[٢٤]. وعندما نفكر في أسباب موت اللغة (الفصل الثالث)، يظهر لنا جلياً أنّ العوامل ذات العلاقة ضخمة جداً في تأثيرها، لدرجة أنّ اللغة التي لها ملايين المتحدثين قد لا تكون في أمان. حتى اللغة اليوروبية* Yoruba، التي يتحدث بها عشرون مليوناً، سميت "لغة محرومة"؛ نظراً للطريقة التي أصبحت بها

٢٢– على سبيل المثال Dixon (1991: 231).

٢٣– ملاحظة من تقرير ميداني عن كاجورو Kagoro في (مالي) عن طريق Vydrine (1998: 3).

٢٤– المجموع أعطي لعام ١٩٩١م في مدخل Breton في Price (1998: 38).

* لغة تستخدم جنوب الصحراء الكبرى، وهي لغة رسمية في نيجيريا. (المترجم).

الإنجليزية تهيمن عليها في التعليم العالي[٢٥]. وفي زيارتي لإفريقيا الجنوبية سنة ١٩٩٨م عبّر لي متحدثون بالعديد من اللغات الرسمية المعروفة حديثاً في جنوب إفريقيا عن قلقهم إزاء مستقبلهم على المدى البعيد أمام اللغة الإنجليزية، بما فيهم من يسمون بالأفريكانيين Afrikaners (يتحدث بلغتهم نحو٦ ملايين). لوحظت ردة الفعل نفسها في زيمبابوي، إذ صرح الكثيرون بذلك القلق، ليس المتحدثون بلغة ندبيلِ Ndebele (١,١ مليون) فحسب، بل أيضاً المتحدثون بلغة شونا Shona (٧ ملايين). وتجربة واحدة توضح الاتجاه الذي يجده هؤلاء مقلقاً جداً: وذلك حينما أقحمت سائقاً من جوهانسبيرغ في حوار؛ واتضح من الحوار أنّ السائق كان ملماً بإحدى عشرة لغة أو لهجة. هي كل اللغات أو اللهجات الرسمية في بلاده، وهي قدرة لم يفكر السائق قط في أنها غير عادية. ومع ذلك، فقد كان طموحه الأساسي أن يكسب ما يكفي لمساعدة أطفاله على تعلم اللغة الإنجليزية. فلا لغة أخرى تصنف لتنال احترامه.

على الرغم من مخاوف ذُكرت عن بعض اللغات ذات العدد العالي نسبياً، إلا أنّ اللغات ذات الأعداد الأقل هي التي استطاعت أن تلفت كبير الانتباه. وأدرك ياماموتو Yamamoto (انظر إلى الهامش رقم ٢٠ أعلاه): "أنّ عدد المتحدثين للغة مؤشر في الحال إلى وضعها المهدد بالانقراض". ومن الصعب تصور مجتمع يستطيع المحافظة على هويته عندما ينخفض السكان تحت مستوى معين. ومن ثم فإنّ هناك ضغطاً وراء إحصاءات استخدام اللغة التي جمعها العلماء في السنوات الأخيرة، لكن هذه الدراسات المسحية لم تدم وقتاً طويلاً يكفي ليرى المرء أثرها

٢٥- Brenzinger (1998: 93).

على المدى البعيد (مثال، هل كانت هناك زيادة في نسبة اللغات المفقودة). هناك جدول تم تحديثه في مجلة الإثنولوج *Ethnologue* (فبراير ١٩٩٩م)، رصدت ٦٧٨٤ لغة، منها ٦٠٥٩ لها بيانات متاحة. وباستخدام هذا الرقم الأخير، ومع تجاهل يحتمه الموقف لعلامات الاستفهام التي تصاحب العديد من التقديرات، يمكننا الحصول على المجاميع الكلية في الجدول رقم "١"، لكل متحدثي اللغة الأم.

جدول رقم "١":

	العدد	%	% تراكمية تنازلية	% تراكمية تصاعدية
أكثر من ١٠٠ مليون	٨	٠,١٣		٩٩,٩
١٠ – ٩٩,٩ مليون	٧٢	١,٢	١,٣	٩٩,٨
١– ٩,٩ مليون	٢٣٩	٣,٩	٥،٢	٩٨,٦
١٠٠٠٠٠ – ٩٩٩,٩٩٩	٢٩٥	١٣,١	١٨,٣	٩٤,٧
١٠٠٠٠ – ٩٩,٩٩٩	١,٦٠٥	٢٦,٥	٤٤,٨	٨١,٦
١٠٠٠ – ٩,٩٩٩	١,٧٨٢	٢٩,٤	٧٤,٢	٥٥,١
١٠٠ – ٩٩٩	١,٠٧٥	١٧,٧	٩١,٩	٢٥,٧
١٠ – ٩٩	٣٠٢	٥,٠	٩٦,٩	٨,٠
١ – ٩	١٨١	٣,٠	٩٩,٩	

ملاحظات عديدة يمكن إبداؤها من الفحص الدقيق لخلاصة جدول من هذا النوع، ومن الجدول الأكثر شمولاً الذي يتشكل منه. وبدءاً بالمجاميع الأكبر: من الواضح أنّ عدداً قليلاً جداً من اللغات تحسب على أنها من ذوات النسبة الأوسع انتشاراً بين سكان العالم (والتي تقدر بأنها فاقت ٦ مليارات منتصف سنة ١٩٩٩م). ثمان لغات تعدى متحدثوها أكثر من ١٠٠

مليون (الماندرين، الإسبانية، الإنجليزية، البنغالية، الهندية، البرتغالية، الروسية، اليابانية). هذه اللغات الثماني مجتمعة يتحدث بها نحو ٢,٤ مليار. وإذا ما وسعنا العملية الحسابية لتشمل أعلى عشرين لغة نجد أنّ الإجمالي ٣,٢ بليون، وهذا أكثر من نصف سكان العالم. وإذا مضينا بالتحليل إلى الأسفل، سنجد أنّ ٤٪ من لغات العالم يتحدث بها ٩٦٪ من السكان.

إذا قلبنا هذا الإحصاء من الأعلى إلى الأسفل: فإنّ ٩٦٪ من لغات العالم يتحدث بها ٤٪ فقط من البشر. ذلك هو التصور الذي من خلاله ينبغي أن ينظر إلى أيّ نقاش عن موت اللغة. وفي أسفل الجدول هناك بعض الاستنتاجات الواقعية. ومن خلال العمود أقصى يسار الجدول يمكن أن نرى أنّ ربع لغات العالم يتحدث بها أقل من ١٠٠٠ شخص، وأنّ أكثر من نصف اللغات يتحدث بها أقل من ١٠٠٠٠ شخص. فالمتوسط لمتحدثي كل اللغات في القائمة هو ٦٠٠٠ شخص. وإذا أُخذ الرقم ٢٠٠٠٠ (أشير إليه أعلاه على أنّه مستوى خطر في بعض أجزاء العالم) مؤشراً عالمياً؛ فإنّ ذلك سينطبق تماماً على ثلثي لغات العالم. وباستخدام العمود أقصى يمين الجدول، يمكن لنا أن نرى أن ما يقارب ٥٠٠ لغة لها أقل من ١٠٠ متحدث، ونحو ١٥٠٠ لها أقل من ١٠٠٠، وأن ٣٣٤٠ لها أقل من ١٠٠٠٠، وإذا اعتُبر ٢٠٠٠٠ من السكان على أنه رقم يدل على مستوى الخطر، فنحن نتحدث عن ٤٠٠٠ لغة. معظم هذه اللغات موجودة في تلك الأجزاء من العالم التي تكثر فيها اللغات ولاسيما في الأقاليم الاستوائية في كل مكان (انظر الهامش رقم ١٢ أعلاه). فالجدول يوضح أنّ ٥١ لغة لكل منها متحدث

واحد: ٢٨ في أستراليا، و٨ في الولايات المتحدة الأمريكية، و٣ في أمريكا الجنوبية، و٣ في إفريقيا، و٦ في آسيا، و٣ في جزر المحيط الهادي.

وكما رأينا، من قبل، هناك متغيرات في العالم لا تسمح بتعميم فكرة أنّ سرعة موت لغة ما تعود إلى نسبة السكان فقط. وهذا يبرر التفاوت الكبير في الادعاءات الحالية بأن س٪ من لغات العالم ستموت خلال المائة السنة القادمة – و(س) هذه تتفاوت ما بين ٢٥٪ (وهو تقدير متحفظ يربط هذه النسبة مع أقل من ١٠٠ من المعايير) إلى ٨٠٪ أو أكثر (وهو تقدير مبالغ يربط هذه النسبة مع "أقل من مائة ألف" من المعايير). ومن المستحيل، في وضعنا المعرفي الحالي، أن نقول: إن أكثر هذه الاستنتاجات لا تعدو أن تكون تخمينات مرتبة. معظم البيانات السكانية المتوافرة (نسبة الموت، ونسبة المواليد...إلخ) مستنبطة من قواعد معلومات بلد ما، ولا تمت بصلة لبيانات أية لغة. ومن جانب آخر توجد دراسات جزئية كافية عن مواقع محددة أجريت على مدى زمني تشير إلى أن هناك توجهاً نحو وجود انخفاض في النسبة. ففي تقرير عن لغة ديربال Dyirbal بأستراليا وُجد أنّ نحو ١٠٠ شخص كانوا يتحدثون بها عام ١٩٦٣م، بينما يتخذها من تزيد أعمارهم عن خمسة وثلاثين عاماً لغة أساسية، وفي عام ١٩٩٣م أضحوا ٦ أشخاص فقط، جميعهم أعمارهم في حدود الخامسة والستين، مع فهم محدود للغة بين الشباب[٢٦]. وثمة تقرير آخر كشف أنه في عام ١٩٩٠م وُجد ستون متحدثاً يتحدثون بلغة Aleut بطلاقة في منطقة أتكا Atka في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي البلدة الأساس التي

٢٦– Dixon (1997: 105).

ما زالت هذه اللغة حية فيها، وأن هذا الرقم تدنى إلى أربعة وأربعين خلال عام ١٩٩٤م، وأن أصغر المتحدثين بها في العشرينات من أعمارهم[٢٧]. وبتراجع هذه النسبة من المتوقع أن تكون هذه اللغة غير مستعملة في عام ٢٠١٠م[٢٨]. (العوامل التي تؤثر في نسبة هذا التراجع استعرضت في الفصل الثالث).

هناك مثال أكثر تفصيلاً عن طبيعة الاتجاه الذي بيّن انخفاض النسبة. فقد أوضحت إحدى الدراسات السكانية الكندية [٢٩] أنّه ما بين الأعوام ١٩٨١-١٩٩٦م عانت معظم اللغات الأساسية الخمسين بكندا من تراجع ملحوظ، وفي الواقع أنّه وجد خلال العام الأخير ثلاث لغات فقط لها عدد كاف من السكان لحمايتها من الانقراض على المدى الطويل هي (Inuktitut, Cree, Ojibway). ولعل نظرة سطحية للإحصاءات السكانية توحي بالعكس، وخلال هذه الخمس عشرة سنة بيّنت الإحصاءات أنّ نسبة السكان الأصليين الذين يتكلمون لغتهم الأم قد ارتفعت إلى ٢٤٪ (ويُرد ذلك في الأساس إلى ارتفاع نسبة المواليد بين السكان).

٢٧- Bergsland (1998: 38). مثال آخر على لغة انتقلت من الحياة إلى الاحتضار خلال الاجيال هي لغة الكيوبيك Cup'ik في شيفاك Chevak ألاسكا. انظر Woodbury (1998: 239). فجائية التغيير في اللغات مؤكدة في Furbee, (1998: 75) Stanley & Arkeketa.

٢٨- ومثال آخر للاستقراء أعطي لـ Tlingit and Haida في Dauenhauer & Dauenhauer (1998: 72). وعلى أساس النزعات الحالية، إذا كان المتكلم الشاب الاصغر سناً للغة Tlingit ٤٥ عاماً وعاش حتى ١٠٠ عام فإنّ اللغة ستموت عام ٢٠٥٠م. ولابد هنا من ملاحظة أنّ نمط الانحدار ليس دائماً ذا منحى تنازلي سلس. يوجد دليل على عملية دورية في بعض الأماكن كونها مدة من الفقدان متبوعة بواحد من المحافظة. فعلى سبيل المثال، يوجد دليل لأناس في أطراف من الهند يدّعون أنّ لغتهم الأصلية تقع ضحية سوء الاستخدام في مرحلة الطفولة أو حتى بعد الانتقال إلى مدينة لايجاد عمل ولكن إذا انضموا إلى شبكة اجتماعية جديدة بعد الزواج أو العودة إلى قريتهم بإدراك سياسي جديد، فربما حينها يصبحون مندمجين بفعالية في عملية الإنعاش (Annamalai 1998: 25).

٢٩- Norris (1998).

ولكنّ نظرة فاحصة لهذه الإحصاءات تبرز صورة مختلفة. توجد أربع نقاط فاصلة هنا (وسأضيف ملاحظة عامة لكل منها):

- عدد السكان الذين يتحدثون لغة أصلية بموطنهم نما بنسبة ٦٪ فقط. وعملياً فإنّ لكل ١٠٠ من السكان لغة أم، وأنّ عدد الذين يتحدثون بها في موطنهم تناقص من ٧٦ إلى ٦٥. (أهمية استعمال اللغة في الموطن حاسمة، وفي أجزاء من العالم حيث يعيش السكان عزلة تامة، إذ من غير المحتمل تعزيز أعداد هؤلاء السكان عن طريق الهجرة. وفي المسح الحالي تم قياس حياة اللغة بنسبة استعمالها في موطنها: في حالة اللغات الأكثر قابلية للحياة وُجد أنّ ٧٠ من كل ١٠٠ من السكان يستعملون لغتهم الأصلية في موطنهم، وفي حالة اللغات الأقل قابلية للحياة فإنّ ذلك العدد قد تدنى إلى ٣٠ أو أقل)[٣٠].
- أظهر عامل العمر تدنياً منتظماً: ٦٠٪ ممن أعمارهم فوق ٨٥ سنة يستخدمون اللغة الأم الأصلية بالمقارنة مع ٣٠٪ ممن أعمارهم بين ٤٠ و٤٤ عاماً، و٢٠٪ من الأطفال دون الخامسة. متوسط أعمار المتحدثين باللغات الأصلية ارتفع من ٢٨ إلى ٣١ عاماً. (العمر عامل آخر مؤثر؛ لأنه يوضح مدى إمكانية انتقال اللغة من جيل لآخر، فكلما كان

٣٠- يستخدم بعض علماء الإحصاء فهرساً للاستمرارية ***index of continuity*** ويُستنتج عن طريق قسمة عدد الناس الذين يتكلمون لغة أصلية في الوطن على عدد أولئك الذين يتكلمونها لغةً أم. فإذا كان الرقم أقل من ١٠٠ فذلك يشير إلى انخفاض في قابلية اللغة للحياة. مقياس آخر هو فهرس القدرة ***index of ability*** ويستنتج عن طريق قسمة عدد مستخدمي اللغة الأم على عدد الناس القادرين على استخدامها في المحادثة بصورة منطقية. والرقم أكثر من ١٠٠ يشير إلى وجود متكلمي اللغة كلغة ثانية ومن ثم إمكانية النجاة. انظر Harrison (1997).

متوسط أعمار السكان منخفضاً كان الآباء أكثر قدرة على نقل اللغة إلى الصغار. كما أن ارتفاع متوسط العمر مؤشر إلى قرب اللغة من الانقراض).

- المؤشرات الأساسية لفقدان اللغة يمكن تحديدها: في عام ١٩٨٠م كان هنالك ٩١ من كل ١٠٠ طفل تحت الخامسة تحدثوا باللغة الأم في موطنهم. وفي عام ١٩٩٦م وصل هؤلاء الأطفال أواخر أعمار المراهقة وكان منهم ٧٦ فقط من كل ١٠٠ يتحدثونها. (الأعمار التي يحدث فيها تغيير في استعمال اللغة مهمة للغاية[٣١]. فاعتماد الأطفال على عائلاتهم يعني أن القليل منهم له فرصة للخروج على لغة موطنه. وفي المقابل، فإن سنوات المراهقة التي تتسم بالضغوط من الأقران، ومن متطلبات سوق العمل، هي مؤشرات ذات حساسية خاصة في تحديد اتجاهات استعمال اللغة).
- النقطة السابقة ذات أهمية خاصة، عندما يغادر الأبناء منزل الأسرة. فالبيانات تشير إلى أن فقدان معالم اللغة يصبح أكثر حدوثاً خلال السنوات المبكرة لدخول سوق العمل وبعد الزواج (خاصة بين النساء)، ففي الأعمار بين العشرين والأربعة والعشرين، أربع وسبعون امرأة من كل مائة يستعملن لغتهن الأساسية، ولكن في المجموعة نفسها خلال خمس عشرة سنة لاحقة هبط المتوسط إلى خمس وأربعين. (هذا التغيير مثير للقلق؛ لأن

٣١- تحوّل اللغة *Language shift* هو المصطلح التقليدي للتحرك النوعي والتدريجي من استخدام لغة إلى استخدام لغة أخرى (سواء من فرد أو من مجموعة). وقد لوحظت مصطلحات أخرى في أدبيات اللغات المهددة بالانقراض وتشمل: فقدان اللغة *Language loss*: للحالة التي لا يعود فيها الفرد أو المجموعة قادرين على استخدام اللغة التي كانت محكية سابقاً. المحافظة على اللغة *Language maintenance*: عندما يتابع الناس استخدام اللغة وذلك من خلال تبني مقاييس محددة غالباً. الولاء للغة *Language loyalty*: ويعني الاهتمام بحماية اللغة عندما تواجه تهديداً ما.

النساء في هذه المدة يدخلن مرحلة تنشئة أطفالهن. وعليه، فإنّ قلة من الأطفال سوف تتاح لهم معرفة لغة موطنهم الأصلية).

توجد أيضاً علامات مضيئة في الحالة الكندية، ولكن الصورة الكلية للتدني واضحة جداً، ولها مثيلاتها في الدراسات الإحصائية الأخرى، ولا سيما في الولايات المتحدة. هذه الدراسات، على أية حال، تعطي صورة جزئية فقط عن أوضاع العالم اللغوية: إنّ معظم البلدان لا تسجل بياناتها السكانية على أساس استعمال اللغة على الإطلاق، (وعندما يفعلون ذلك) فالأسئلة التي يطرحونها لا تلقي ضوءاً على موضوع تعرض اللغة للخطر.

من الممكن جداً، وأنت تتأمل مثل هذه البيانات، أن "تتبنى وجهة نظر" (كما يقول المحامون) عن الوضع العالمي، وقد فعل كثير من الكتاب ذلك. ومن الإحصاءات التي يستشهد بها على نطاق واسع إحصاء Michael Krauss الذي يخلص فيه، بعد مراجعة إحصائية، إلى[٣٢]:

> أنا أعتبرها عملية حسابية معقولة شكلياً – بحسب ما هو ظاهر – أن القرن القادم سيشهد إما موت أو خسارة ٩٠٪ من لغات الإنسانية.

هذا يعني أن ٦٠٠ لغة فقط هي في "مأمن". وكما أشرت في مقدمة الكتاب فإنّ المجموعات التي كُلفت بمراقبة الوضع هي في توافق تام مع جدية وخطورة الوضع، بالرغم من تفاديها

٣٢– Krauss (1992:7).

للإحصاءات القاطعة. فعلى سبيل المثال هنا حكمان من Foundation For Endangered Languages [٣٣]:

معظم لغات العالم معرضة ليس فقط للانحطاط، ولكن للموت.
أكثر من نصف لغات العالم في حالة احتضار، أي لن تُنقل بشكل فعال للجيل التالي [انظر مزيداً لاحقاً].

هناك موقف وسط لعله يؤكد فقدان ٥٠٪ خلال المائة السنة القادمة. هذا الرأي قد توصل إليه بشكل مستقل ثلاثة من اللسانيين ذكرهم Krauss عام١٩٩٢م[٣٤]. و٥٠٪ تعني ٣٠٠٠ لغة. مائة عام تعني ١٢٠٠ شهر، وفي هذا الإطار الزمني ينبغي أن تموت لغة واحدة كل أسبوعين، أو ما إلى ذلك. وهذا ليس بعيداً جداً عن الحقيقة.

مستويات الخطورة

مقارنة مستويات الخطورة صعبة للغاية، وذلك بسبب تعدد حالات اللغات حول العالم، وفي غياب نماذج نظرية تسمح لنا بتفسير المتغيرات ذات الصلة. كيف يمكن مقاربة نوع السؤال الذي طرح سابقاً: أيّ اللغات الأكثر تعرضاً للتهديد بالموت؟ اللغة التي يتحدث بها ٤٠٠ من جماعة لغوية مكونة من ٥٠٠ أم التي يتحدث بها ٨٠٠ من جماعة لغوية مكونة من ١٠٠٠؟ من الواضح، أنّ في مثل هذه الحالات يكمن الجواب الصحيح في أنّ "كل ذلك يعتمد" على

٣٣- الأولى من التمهيد للمقترح لتأسيس the Foundation for Endangered Languages. يونيو ١٩٩٥م، والثانية من 2, *Iatiku* 3.

٣٤- Krauss (1992: 6).

عوامل، مثل نسبة التحصيل لدى الأطفال، ونظرة الجماعة إجمالاً تجاه اللغة، ومستوى تأثير اللغات الأخرى المهدِّدة لهذه اللغة. وفي الوقت نفسه على الجماعات أن تكون قادرة على الأخذ في الاعتبار العوامل التالية (الحدس على الأقل إذا لم تجر مسوحات) والوصول إلى حكم بشأن اللغات المهددة بالانقراض. ولا بد من تصنيف المهددات. فمن غير ذلك يستحيل "تبني وجهة نظر" عن الحاجة الملحة، ومن ثم تخصيص موارد قليلة للحالات اللغوية التي تحتاج إلى اتخاذ إجراءات ما (الفصل الخامس).

التصنيف المنطقي السليم يقترن بثلاثة مستويات: اللغات في مأمن، أو مهددة، أو منقرضة. لهذه يضيف مايكل كراوس Michael Krauss فكرة أصبح لها قبول واسع: اللغات التي لم تعد تدرس للأطفال، على أنها لغة أم، هي لغة محتضرة (وهذا تعبير أصيل في مجال الطب)[٣٥]. وهذه تتخطى بكثير فكرة أن اللغة في وضع التهديد بالانقراض، لأنها تفتقد الحراك بين الأجيال، ولكن المقاربة هي مع كل كائن فقد القدرة على التوالد. الفرق هنا أوضحه Krauss مشيراً إلى شمال أمريكا حين عرف ما مجموعه ١٨٧ لغة أصلية في هذا الشأن. جميع هذه اللغات (وهي في محيط بيئة هيمنة الإنجليزية) معرضة للانقراض، وإن كانت هناك جهود جبارة تبذل في بعض المجتمعات، ليس للحد من هذا التدهور فحسب، بل لعكسه إلى ازدهار (انظر الفصل الخامس). الإحصاء المهم هو الوقوف على بيانات تلك التي في حالة احتضار، ولقد حددها Krauss بعدد ١٤٩ أو ٨٠٪. وعند سكان ألاسكا Alaska، النسبة أعلى إذ إنّ

٣٥- Krauss (1992: 4).

هناك فقط ٢ من ٢٠ لغة أصلية كانت تدرس للأطفال لعام ١٩٩٢م. وتوجد نسبة مماثلة في أستراليا. ومن جانب آخر فعند تطبيق هذا المعيار على أمريكا الجنوبية يتضح أن النسبة أقل (٢٧٪)، وفي أمريكا الوسطى أقل بكثير (١٧٪).

بعض التصنيفات تذهب إلى أبعد من ذلك، إذ تفرق بين " اللغة الآمنة" و"اللغة غير الآمنة" على خمسة مستويات[٣٦]:

لغات قابلة للحياة: لها قاعدة سكانية بعدد كاف وبقدرة على الاستمرار في الحياة، بحيث لا يوجد احتمال لتهديد لها على المدى الطويل؛

قابلة للحياة ولكنها لغات صغيرة: أي لها أكثر من ١٠٠٠ متحدث، وتتخاطب بها جماعات معزولة أو ذات تنظيم داخلي قوي، وواعية لوضع لغتها على أنها محدد لهويتها؛

لغات مهدَّدة: هي ما يتحدث بها عدد كاف من السكان؛ مما يجعل أسباب حياتها ممكنة، ولكن فقط في ظروف موائمة ولها دعم متنام من جماعتها؛

لغات منقرضة تقريباً: هي لغات يعتقد أنها بعيدة عن احتمال النجاة؛ لأن المتحدثين بها من السكان عدد قليل من كبار السن؛

لغات "منقرضة": هي لغات مات آخر من يتحدث بها بطلاقة، ولا توجد دلالة لمعاودتها الحياة.

٣٦- Kincade (1991: 160–3).

وهناك تصنيف بخمسة مستويات استعمله ستيفن وورم Stephen Wurm إذ يركز على اللغات الأكثر ضعفاً (ويعطي الاحتضار *moribund* أهمية مختلفة بصورة أو بأخرى)[٣٧]:

لغات محتملة الانقراض: هي لغات ليست مفضلة اجتماعياً واقتصادياً وتحت ضغط عال من لغة أكبر، وبدأت تفتقد الأطفال المتحدثين بها؛

لغات مهددة: هي لغات يتحدث بها قليل من الأطفال الذين يتعلمونها، وأحياناً لا يتحدث بها الأطفال، والذين يتحدثون بها بشكل جيد هم في ريعان الشباب؛

لغات مهددة بشكل حاد: هي التي يتحدث بها فقط من هم في سن الخمسين أو أكثر.

لغات محتضَرة: هي ما تبقى لها عدد قليل من المتحدثين بها، وأغلبهم كبار جداً في السن؛

لغات منقرضة: هي ما لم يتبق لها متحدث.

هناك طريقة أخرى لمحاولة تقديم ترتيب للانقراض، وذلك عن طريق استعمال معايير اللسانيات، بحيث تؤخذ في الاعتبار المهام الوظيفية التي تستعمل فيها اللغة، ونوعية التغيير البنيوي فيها. واللغات المهددة تستعمل بشكل أقل فأقل من أفراد الجماعة اللغوية، مع موت بعض المهام الوظيفية التي كانت تؤديها، أو تقوم ببعض مهامها لغات أخرى. وتوجد حالات

٣٧- Wurm (1998: 192). خمسة مستويات لنماذج الحالة نمطية. وآخر هو Bauman (1980)، والذي يميّز الازدهار *flourishing* و الثبات *enduring* والتراجع *declining* والاتجاه نحو الزوال *obsolescent* والانقراض *extinct*.

كثيرة في إفريقيا، على سبيل المثال، حين يقل استعمال اللغة الأصلية في المجالات التربوية أو السياسية أو العمل العام؛ لأن دورها قد استولت عليه الإنجليزية، أو السواحلية، أو أي لغة اعتمدت لغةً مشتركة. وفي إحدى الصياغات تم تسمية هذه اللغات باللغات "المحرومة" (٣٨). بعض اللغات تعاني من محو وتعرية على النحو الذي ينتهي بها إلى العيش في مجال وظيفي واحد، كمثال لغة الجعز Ge'ez في إثيوبيا، حتى أصبحت لغة دينية. وحتى اللغات الأوروبية المعاصرة تستشعر هذا الخطر كما توضح هذه الملاحظة من جوهان فان هورد Johan Van Hoord وهو مدير مشروع في Nederland Taalunie وهي منظمة أنشأتها الحكومة الهولندية والحكومة البلجيكية للارتقاء باللغة الهولندية (يتحدثها حالياً ٢١ مليون نسمة)(٣٩):

> اللغة الهولندية قد لا يتهددها الانقراض على المدى القصير أو المتوسط، ولكنها مهددة بفقدان مجالات استعمال. وقد تصبح في نهاية الأمر لغة دارجة، أي لغة تستعمل للتحدث في السكن مع الأسرة – لغة تعبر بها على الأكثر عن مشاعرك–وليست للاستعمال للأشياء الجادة في الحياة: العمل، النقود، العلوم، التقنية.

بعض جوانب اللغة، من الناحية البنائية، يمكن أن ينتابها تغيير سريع بين معظم المتعاملين بها. إذ يوجد في العادة قدر من الزيادة الدرامية في التحول السلوكي في اللغة المهددة، وذلك باستيعاب مكونات من لغة (لغات) يتم الاتصال معها. ويمكن أن تتأثر بذلك مكوناتها القواعدية، كالزيادة في استعمال المكونات الصرفية، والكلمات المعبرة من اللغة الغالبة. الحصيلة اللغوية من المفردات تتناقص من خلال الشباب الذين لديهم فقط نسبة من الحصيلة اللغوية التقليدية التي لدى كبار السن، ومن خلال الكبار الذين يتصفون بعدم الإدراك للحصيلة اللغوية المستعارة من

٣٨– Bamgbose (1997: 22).

٣٩– Van Hoord (1998: 6).

اللغة التي حلت محلها. إحدى الدراسات للغة الويلزية Welsh وقفت على التعرية اللغوية على مدى ثلاثة عقود: وهي ثلاث مجموعات (مدى كل مجموعة ٢٠) للأعمار ٦٠ إلى ٨٠، و٤٠ إلى ٥٩، و ٢٠ إلى ٣٩[٤٠]. طلب من كل شخص إعطاء الكلمة المقابلة لمائة وخمسين وحدة لغوية باللغة المحلية (شملت الطقس، الحيوانات، أجزاء من الجسم، الملابس ... إلخ) ومفردات زراعية. كان هناك وعي متناقص منتظم بين الأجيال: ٦٥٪ من مجموعة كبار السن يعرف أكثر من ٩٠٪ من مفردات اللغة مقارنة مع ٤٠٪ ممن هم في منتصف العمر – ولم يصل أي من صغار السن إلى مستوى ٩٠٪. إن التدني في نسبة التحصيل اللغوي كان أكبر في مجالات دون غيرها، وفي بعض الحقول الدلالية دون غيرها، ويتضح جلياً في المفردات المتعلقة بأجزاء الجسم. وفي بعض اللغات قد تنجو مجموعة من الألفاظ متعلقة بحقل واحد: وكمثال ياكو في إثيوبيا Yaku (Ethiopia) والتي تم التقرير عنها بأنها باقية على قيد الحياة معتمدة على أسماء النباتات فقط[٤١].

٤٠– Jones (1985).

٤١– تقرير من Mathias Brenzinger إلى ندوة عقدت في كلية Darmouth college Hanover(New Hampshire USA عام ١٩٩٥م وردت في (Newsletter FEL p.5).

تقويم مستوى التغيير الأدائي والبنيوي في اللغة إجراء مهم، ولكن لا بد من تطبيقه بحذر. بعد كل هذا فإن التغيير سمة طبيعية وضرورية في اللغات. بل إنّ اللغات القوية تستعير بعضها من بعض، ومفردات اللغة هي في حالة تغيير مستمر بين جيل الكبار وجيل الشباب. إنّ التوصيف الرسمي لما يسمى اللغة المقبلة على الزوال لا زال في مراحله الأولية كونه حقلاً بحثياً، ولكن أهميته واضحة. إذ لا بد أن نعرف سمات التغيير (إن وجدت) التي ترتبط به بصورة غير واضحة[٤٢]. متى تكون بداية فقدان بنية اللغة؟ أو متى تكون بواكير بداية اختلاط اللغة؟ ومتى يحدث فيها "تغيير" مرده احتكاك اللغات ببعضها؟ ومتى يكون ذلك سمة "للتدهور"؟ اللسانيون عادة يواجهون فكرة النقاء القائلة بأنّ التغيير اللغوي تدهور. وبتطبيق ذلك على اللغات المهددة بالانقراض؛ تتضح أنماط التغيير التي تحدث في أثناء تدهور اللغات المهددة، فتكون مختلفة عن تلك التي تحدث في اللغات القوية. فهي مختلفة في أبعادها، ومداها، ونسبتها، ونوعيتها: ففي حالة اللغة المتدهورة تتأثر مكونات عدة فيها بصورة متزامنة، ويكون الأثر في أكثر من جانب من جوانب اللغة (مثلاً قواعد مختلفة، وحقول لغوية مختلفة) وأن يكون التغيير أسرع، وفي الاتجاه نفسه (ممثلا لأثر اللغات التي حلت محلها) وأحياناً تكون سرعة التغيير درامية جداً، يترتب عليها انتقال سريع ومفاجئ مع تدخل لغوي محدود، فيما يسمى تغيير "كارثي" أو

٤٢– عُرفت هذه النقطة للمعلقين عند (1989) Dorian . انظر على وجه الخصوص الورقة التي كتبها Hoenigswald . لم يتم حسم هذه الحالة بعد. لا يوجد (1989) Romaine عوامل تُوظّف مؤشرات كلية على موت اللغة. ولا يزال الإبداع ممكناً أيضاً حتى في لغات قريبة من الموت. وتحتاج اللغات المهددة بالانقراض لجذب النوع نفسه من التحقيق النظري والذي ميّز دراسة اكتساب الطفل للغة والضعف اللغوي المرضي عند الأفراد. انظر كذلك (1989) Menn.

"جذري" وهي ظاهرة لوحظت مثلاً في بعض الحالات الإفريقية، عندما اتضح ضعف العرقية وقوة الضغط الخارجي للتغيير[٤٣].

خاتمة

كثيراً ما نصادف ردود فعل درامية وعاطفية، عندما يتعلق الأمر بموت لغة، وليس هذا بمستغرب إذا نظرنا إلى طبيعة الموضوعات والحقائق الثقافية التي أدت إلى موت عدد كبير من اللغات (انظر الفصل الثالث). وكثير من مناطق العالم اليوم لم يبق لها لغات أصلية، فلغتا أرواكان Arawakan وكاريبيان Cariban، على سبيل المثال، تعدان لغتين أصليتين للجزر الكاريبية، وهما الآن منقرضتان. والمأساة، بلا شك، قد تتفاقم من غير قصد بالتزامن مع الألفية، لكن يصعب الاختلاف مع من يرون الوقت الحاضر، على وجه الخصوص، لحظةً حرجة في التاريخ اللغوي[٤٤]:

> وعليه يبدو أننا وأبناءنا نعيش مرحلة كارثية لمعظم اللغات، إذ وصل التدهور في أعداد المتحدثين لمعظم اللغات في العالم إلى نقطة الصفر.

٤٣– أمثلةٌ موجودة عند Tosco (1997). انظر هذا التقويم أيضاً عند Quechua in Grinevald (1998: 139). ومصطلح *radical language shift* "التغيّر الجذري في اللغة" مأخوذ من Woodbury (1998: 253). وقد استُخدمت مصطلحات أخرى مثل *language tip* "انحراف اللغة" عند Dorian (1981: 51).

٤٤– التمهيد للمقترح لتأسيس the Foundation for Endangered Languages في المملكة المتحدة (Nicholas Ostler, June (1995). انظر كذلك المقتبسات في التمهيد الذي كتبتُه.

ولدعم توظيف هذا الحديث المتشائم عن اللغة نحن في حاجة إلى سماع أصوات الآخرين، قدر الإمكان، كي يتحدثوا عن هذا الأمر، آخذين بعين الاعتبار أن الذين جربوا ضياع اللغة، يجدون صعوبة في التعبير عن مشاعرهم. كيف يكون الحال عندما تفقد حقك في استخدام لغتك الأم؟ يتحدث هندريك ستورمان Hendrik Stuurman عن وضعه اللغوي وتجربته مع لغته خويخوي Khoikhoi شمال غرب جنوب إفريقيا على هذا النحو(٤٥):

أشعر بأنني رضعت لبن أم غريبة، وترعرعت مع شخص آخر. أشعر بهذا لأنني لا أتحدث لغة أمي.

جورج رزق الله George Rizkalla وهو من قرية معلولا Malula بسوريا، ويتحدث اللغة الآرامية Aramaic (يتحدث بها حالياً ٦٠٠٠ في ثلاث قرى بالقرب من دمشق) يروي كيف حلّت العربية محل الآرامية تدريجياً(٤٦):

قبل ٥٠ عاماً كان كل الطلاب في معلولة يتحدثون الآرامية **Aramaic**. بعضهم كان يستطيع التخاطب بالعربية بصعوبة. والآن كلهم يتحدثون العربية، وبعضهم يتحدث الآرامية بصعوبة... [وبعد ذلك أخذ يتحدث عن أطفاله الذين يعملون في دمشق] هناك لا يستطيعون رؤية غنم أو أشجار أو مزارعين يعملون في الحقول. ففقدوا كل الكلمات التي تعبر عن هذه الأشياء؛ لأنهم ربما يسمعون هذه الكلمات مرة كل عام. وبهذا الأسلوب أصبحت اللغة أفقر فأفقر.

كيف يمكن أن نلخص هذه المفاهيم العديدة باعتبارها موت لغة؟ وتُبدي ماري رايدون Mari Rhydwen وجهة نظر قريبة(٤٧):

٤٥– التقرير في Braamfontein والجارديان (Koch and Maslamoney 1997: 28).

٤٦– التقرير في جريدة "لوس انجلوس تايمز" (Daniszewski 1997: A1).

٤٧– Rhydwen (1998).

ضياع اللغة لا يشكل ضياع مفهوم أو فكرة مجردة، بل ما يحدث هو تغيير الناس لنمط تصرفاتهم، فيعجزوا عن نقل لغاتهم عبر الأجيال. وهذا الأمر مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالناس، ولا يمكن أن يُعد ببساطة معضلة فكرية يمكن حلّها.

ولهذا يبدو الاهتمام المعاصر كبيراً، كما سنرى في الفصول القادمة، فالاهتمام بالبيئة يعد سمة مميزة تركز على العلاقة بين الناس وما حولهم وأفكارهم ومشاعرهم.

وفي تعليق أدبي معاصر أسترجع مقولات كل من المؤلف الأسكتلندي جيمس كيلمان* James Kelman والمؤلف الأسترالي ديفيد معلوف David Malouf (٤٨):**

ثقافتي ولغتي لهما الحق في الوجود، ولا توجد سلطة يحق لها أن ترفض ذلك.
عندما أظن أنّ لساني لم يعد حياً في أفواه الرجال تنتابني برودة أعمق من موتي؛ لأن معناه موت بني جنسي جميعهم.

وفي تعليق أدبي تقليدي، أسترجع مقولة صمويل جونسون* Samuel Johnson (٤٩):**

لربما تبدو حماستي للغات عالية جداً حتى للذين أرغب في أن أحظى باحترامهم. فالذين لا يجول بخاطرهم سوى التجارة والسياسة، والمكانة، والمال لا أجد حاجة للدفاع عن آرائي أمامهم. وأما رجال الحرف فإنني لن أضاعف رغبتي التلقائية أمامهم في استمرار حياة كل لغة، مهما يكن أفق هذه اللغة ضيقاً، ومهما تكن غير مناسبة للأهداف العامة، حتى توضع، بشكل أو بآخر في كتاب معلوم، فيمكننا دوماً فحصها ومقارنتها باللغات الأخرى.

ولكن لماذا ينبغي لهؤلاء الناس، المغمور منهم والمشهور، أن يفكروا بهذه الطريقة؟ لماذا تكون قضية موت اللغة مهمة جداً لهم؟ لماذا ينبغي أن تكون مهمة لنا؟ باختصار: لماذا علينا أن نهتم؟

---

* روائي وكاتب قصة قصيرة بريطاني معاصر، مهتم بالشأن الثقافي والسياسي. (المترجم).

** كاتب وشاعر معاصر، أسترالي الجنسية من أصل لبناني، عرف عنه القول بأنّ الانتماء للغة أهم من الانتماء للمكان، فاز بعدة جوائز محلية وعالمية. (المترجم).

٤٨- Kalman, in a speech at the Booker Prize ceremony, 11 October 1994, Malouf (1985)

*** كاتب وشاعر وناقد ومؤلف معاجم بريطاني (١٧٠٩-١٧٨٤م)، يعد من أهم الكتّاب في تاريخ الأدب الإنجليزي. (المترجم).

٤٩- Samuel Johnson, 13 August 1766, letter to William Drummond, in Boswell (1791: ch. 18)

٢ لماذا علينا أن نهتم؟

يعتقد كثير من الناس أنه يجب ألا نهتم؛ إذ يسود اعتقاد، على الرغم من عدم صحته، أنّ أيّ خفض لعدد اللغات يفيد البشرية، وليس مأساة على الإطلاق. وهناك عدة آراء تؤيد هذا الاعتقاد، أحدها يمثل الموروث القديم الذي يتجلى في الأساطير، ولكنه يظهر بوضوح في قصة بابل الإنجيلية التي تفيد بأنّ تعدد اللغات في العالم هي عقوبة كانت مفروضة على البشرية، وعكس ذلك سيعيد بعض اكتمالها الأصيل[١]. وطبقاً لوجهة النظر هذه فإنه سيكون هنالك لغة واحدة فقط ستضمن سلاماً، وتنويراً، وفهماً متبادلاً بين الأفراد. وبناءً على ذلك فإنه يجب الترحيب بأيّ مواقف تمكن من تقليل عدد اللغات في العالم، إذ سيمكننا هذا من الاقتراب أكثر من تحقيق هذا الهدف.

هناك عقبتان، لا يمكن تجاهلهما، تتعلقان بهذا الرأي: أولاهما، تلك النظرة الساذجة التي تقول: إن استخدام لغة واحدة سيؤدي إلى ضمان وئام وتفاهم متبادل في عالم تسوده تحالفات وتضامن عالمي. والأمثلة على تناقض وجهة النظر هذه كثيرة، ولا يمكن إدراجها في هذا المقام، ولكن من نافلة القول: إن كل الدول العظمى التي تتحدث لغة واحدة قامت فيها حروب أهلية في العقود الأخيرة من القرن العشرين، وما يسترعي الانتباه أنّ معظم هذه

---

١ – انظر Eco (1995)، ولبُعد المقارنة، انظر Borst (1957–63).

الحروب كانت في بلدان أحادية اللغة، مثل: فيتنام، وكمبوديا، ورواندا، وبوروندي (الأخيرتان في إفريقيا حيث لا يوجد فيهما تعدد لغوي).

باختصار شديد فإنّ وجهة النظر التي تدعو إلى أنّ أحادية اللغة تعود على العالم بالسلام، غير واقعية، بغض النظر عن اللغة التي تستخدمها؛ وبناءً على ذلك فإنه من الصعب أن ندرك كيف أن استخدام اللغة الإنجليزية أو الإسبرناتو* Esperanto أو أي لغة مشتركة أخرى، سيؤدي إلى التقليل من الفخر الذي يبعث الطموح والصراع أكثر مما أدى إليه قبل الحقبة البابلية ذات اللغة الواحدة[٢].

أما العقبة الثانية فتتعلق بمسألة الاختيار. ولعل الناس الذين يحبذون استخدام لغة واحدة هم من الشعوب أحادية اللغة، والذين يفترضون أنّ كل شخص في العالم سيستخدم لغتهم. وكما هو الحال في معظم الأحيان تنشأ هناك مشكلات ذات أسباب دينية، أو قومية، أو أسباب أخرى، عندما لا يتم تبني وجهة النظر هذه. إنّ الجدل الأقدم تاريخياً،

---

* لغة مصطنعة اخترعها زمنهوف عام ١٨٨٧م، بهدف تسهيل التواصل الدولي. (المترجم).

٢–"من المفترض"؛ لأنّ سفر التكوين ١٠ يسرد أبناء يافث "وفقاً لبلدانهم وكل واحد حسب لغته"، وبابل لم تظهر للوجود إلا في وقت لاحق. ولاحظ "ايكو" هذه النقطة (Eco (1995: 10 وأشار إليها "كثغرة في أسطورة بابل" وعلّق: "إذا كانت اللغات مختلفة فهذا ليس نوعاً من العقاب ولكنه ببساطة تطور طبيعي، ولماذا يجب أن يعد الخلط بين اللغات لعنة؟".لاحظ كذلك الاعتقاد بأنّ إلهة قبيلة آكوما في ولاية نيومكسيكو (اياتكو Iatiku) قيل إنما جعلت الناس يتكلمون لغات مختلفة، وعليه سيكون من الصعب عليهم أن يتشاجروا. وتكمن الحقيقة في تعليق ساخر في ***The hich-hiker's guide to the galaxy*** دليل المسافر للمجرة مجاناً (Adams 1979 : ch. 6) الذي تحدث عنه المترجم الفوري للمستقبل الذي يدعى سمكة بابل "إنّ إزالة جميع الحواجز التي تعوق التواصل بين مختلف الأعراق والثقافات، كانت سبباً في أكثر الحروب دموية في تاريخ الخليقة، أكثر من غيرها".

والذي استمر عدة قرون، يركز على تخيّل طبيعة اللغة الأولى للبشرية. وطبقاً لما ورد عن دانتي في كتابه *De vulgari eloquentia* أنّ"العبرية هي اللغة التي نطق بها أول متكلم"[٣]. وتحظى وجهة نظر دانتي بدعم كبير ولكن هنالك الكثيرون ممن لا يؤيدونه، كتلك السيدة التي قالت في محكمة فرسالز (كما ورد على لسان فولتير): "يا للعار الكبير من هذه الضجة حول برج بابل بلغة مختلطة ينطق بها كل الناس، لهذا كان على الجميع التحدث باللغة الفرنسية دائماً"[٤].

لكن لغات أخرى كثيرة، كالألمانية، والمصرية، والصينية، كل لها داعموها[٥]. ومنذ عهد قريب، وبنظرة إلى الأمام وليس إلى الخلف، يتوقع بعضهم ظهور لغة عالمية واحدة في المستقبل، نتيجة تدخل منظمة عالمية من نوع معين، ولكن عندما نرى الصراعات العديدة في مختلف أنحاء العالم، والتي ستظهر بشكل أكبر عندما يعتقد شعب أنّ لغته هُمشت (كيبيك، وبلجيكا، والهند، كلها تمثّل حالات تصل بانتظام إلى رؤوس عناوين)، فمن المستحيل تخيّل أي جهة عالمية قادرة على إقناع الشعوب بالتخلي عن لغاتها طوعاً، أو أن تقوم هذه الشعوب بدعم لغة شعب آخر على حساب لغاتها. وسأناقش أسباب ذلك لاحقاً.

٣- Dante (c. 1304), Part I, ch. 6.

٤- فولتير، رسالة إلى كاثرين العظيمة، ٢٦ مايو ١٧٦٧م.

٥- لأمثلةٍ أخرى، انظر Crystal (1985: 48).

ويجب أن يكون واضحاً أن لا شيء من هذا له علاقة بالقيمة المتصورة للغة عالمية مشتركة. اللغات المشتركة تلعب دوراً مهماً وواضحاً في التواصل العالمي المشترك بين الشعوب، لو أنّ لغة واحدة بعينها قامت بهذا الدور وأصبحت لغة مشتركة، وهي الحال التي عليها اللغة الإنجليزية[٦]،في شعور معظم الناس، لكنّ هذا يجب ألا يكون على حساب اللغات الأخرى. و هذا التواصل يمكن أن يتحقق عندما يستخدم كل شخص لغتين على الأقل، اللغة الأم واللغة المشتركة. وهذا أمر مثالي ومحبب (كما سأناقش ذلك لاحقاً)؛ لأن كُلاً من هاتين اللغتين تُستخدم لأغراض مختلفة: إحداهما تمثل هوية المتكلم، والأخرى تمثل تفكيره؛ لذا فإنهما لا تتناقضان. وعلى الرغم من ذلك فإنه ليس من السهولة بمكان إقناع الحكومات بالعمل على تبني لغتين (أو لغات متعددة)، ليس فقط بسبب ما يصاحب ذلك من تكلفة ولكن بما يترتب عليه من أسباب تتعلق بتاريخ كل لغة، والاستغلال الاستعماري، وما يحمله ذلك من تناقض وتوافق عاطفي.

إنّ العواطف تشوه الموضوعات عادة، فالناس على نطاق عالمي يعتقدون أن فقدان اللغة هو أمرٌ سيئ، لكنهم في المقابل يشجبون وجود لغة محلية محدودة تنتمي إلى ثقافة أخرى. وهذا غالباً ما يكون جزءاً من صراع عرقي أو ثقافي بين الطبقات. كما يواجه سكان الضواحي مجموعة من الرومان المسافرين Rom. إن هذا التخوف قد يكون حقيقياً وقد

٦- لقد راجعت هذه الحالة في Crystal (1997b)، وعند (1997) Graddol وجهة نظر أكثر تشكيكاً فيما يخص مكانة اللغة الإنجليزية على المدى الطويل.

يكون خيالياً، وغالباً ما يُغذي هذه المخاوف تاريخ مرير. ولكن الإدانة الناتجة عن ذلك هي نفسها: أنّ معظم اللغات جميلة، ولكن لغتهم "بذيئة"، "بدائية"، ولا تتعدى كونها "أصواتاً فحسب"، وأنه "ليس أمراً سيئاً إذا ما اختفت هذه اللغة". ولكن هذا الأمر (والذي سأوضحه لاحقاً) يجانب الصواب؛ لأنه لاتوجد لغة بدائية، ولكن كل لغة قادرة على إظهار الجمال، وتحمل في ثناياها القدرة على التعبير[٧]. إن الخوف والكراهية لا يعيران اهتماما للحقائق.

إنّ المنطق أحياناً يضع سحابة على القضايا؛ فما يبدو منطقاً معقولاً، عند سماعه للوهلة الأولى، يتحول إلى زائف عند التفكير به ملياً. إنّ الحجج الأكثر رواجاً هي الاقتصادية، فوجود عدة لغات في العالم يؤدي إلى إسراف مادي لأنه يتوجب على الأفراد والشركات صرف جهد وأموال في الترجمة والتفسير. وهذه العقبة ستزول لو كانت هنالك لغة واحدة فقط تستخدم للتعامل؛ فيمكن لكل شخص أن يشتري ويبيع دون خوف من هذه الحواجز اللغوية. هنالك جانب من الحقيقة في هذه الحجة: إذ يحتاج الإنسان إلى تكلفة مالية عالية

٧- لبيانٍ تقليدي عن المفاهيم الخاطئة عن البدائية انظر Hymes (1966: 74): "نحن لانعرف لغات طبيعية مفرداتها محدودة جداً بحيث يمكن للناطقين بها أن يختزلوها بإيماءات (وعليه فإنه من غير الممكن أن يكونوا قادرين على التواصل في الظلام) وتفتقر إلى أنظمة قواعد وأصوات محددة وإلى معايير الاستخدام، وبسبب افتقارها إلى نظام للكتابة؛ فإنها تتغير بشكل أسرع في بنيتها اللغوية أكثر من اللغات الأخرى؛ مما يتسبب أيضاً في فقدان المصطلحات المجردة أو فقدان المقدرة على تكوين هذه المصطلحات. وهذا الأمر من شأنه أن يتسبب في فقدان التعابير الفكرية والجمالية. وفي الواقع نحن نعلم أنه لاتوجد خصائص من شأنها أن تجعل لغات الشعوب "البدائية" ضد لغات الشعوب "المتحضرة"". لتأكيدٍ أكثر حداثة، انظر (1997: 65,118) Dixon. وللمزيد، انظر ما سيأتي لاحقاً.

حتى يستطيع التفاعل مع التنوع اللغوي في العالم، ولكن المغالطة هي الاعتقاد أنّ ذلك مضيعة للمال. وفي السنوات الأخيرة تم الرد على الاعتقاد السابق بحقائق من عالم الاقتصاد والأعمال مفادها أنّ تعدد اللغات قد تكون عقبة أمام عمليات الشراء والبيع، وقد أُثبت أنّ معرفة لغة أجنبية، في كثير من الأحيان، تمثّل فائدة للمتكلم. فعلى سبيل المثال، لو كان هنالك شركتان بريطانيتان، إحداهما قادرة على أن تستخدم العربية، والأخرى لا قدرة لها، وتتساويان في جميع القدرات الأخرى، وتريدان أن تبيعا إلى سوق عربية، فأيّ الشركتين، حسب رأيك، تستطيع أن تؤثر أكثر في المشتري؟ لقد قيل، بكل صراحة: إنّ اللغات محرك التجارة[٨].

تتوافر هنالك حجج قوية ترد على الحجة القائلة بأن "وجود عدة لغات مضيعة"[٩]. على سبيل المثال، تعد" نظرية رأس المال البشري" اللغة جزءا من الموارد البشرية التي يمكن استخدامها لتسهم في زيادة الإنتاجية. وعند تحليل مدى الفائدة التي يجنيها الإنسان الذي يتكلم عدة لغات، فإن ذلك يعود بفوائد مادية جمة، وأخرى معنوية (تتعلق مثلاً بسعة الأفق، والقبول الاجتماعي، من الآخرين). إنّ هذه الفوائد تشكل جزءاً من منظور اقتصادي أوسع يتضمن وجهة النظر التقليدية التي تقول: إنّ الاقتصاد يؤثر في اللغة، ولكن

٨- Arcand (1996: 116).

٩- خُصصت دراسات قليلة جداً لما يمكن أن يطلق عليه "اقتصاد" أو "القيمة السوقية" للغة باستثناء العدد الصادر عام ١٩٩٦م في المجلة الدولية لعلم الاجتماع واللغة "المناهج الاقتصادية للغة والتخطيط للغة". انظر بشكل خاص ما يتعلق بنقطة "البيع والشراء" الورقة التي كتبها Grin. انظر كذلك Coulmas (1992).

هذه الفوائد تدعم وجهة النظر التي تنادي بأن اللغة تمارس تأثيراً قوياً على الاقتصاد. إذ تلعب اللغة دوراً مهماً في مجالات متعددة، وبناءً على ذلك، فإنها تسهم في النجاح الاقتصادي، بالإضافة إلى أدوارها الأخرى في السياحة (مع تركيزها على التعددية) والفنون والصناعات المحلية. تعتبر اللغات المحلية ذات قيمة كبيرة، لأنها تقوي أواصر الروابط الاجتماعية، وتدعم الاعتزاز بالثقافة المحلية وتعطي المجتمع الثقة بالنفس. وبالطريقة نفسها التي تبين من خلالها أنّ معظم التحول اللغوي ينتج عن عوامل اقتصادية، فإنه يمكن استخدام العوامل نفسها لدعم المحافظة على اللغة. فيبدو أن الناس راغبون في إنفاق مبالغ كبيرة في سبيل الترويج لهويتهم. وباختصار، إنّ امتلاك أكثر من لغة، له مردود مادي على الأفراد ورجال الأعمال والحكومة. وسنعود إلى هذه النقطة لاحقاً.

في ذهني أنه ليس من المعقول قبول وجهة النظر التي تقول: "كلما قلّ عدد اللغات كان أفضل". وعلى الرغم من ذلك، يعتمد الرأي المخالف على حجج قوية ومتعددة، فما هي فوائد المحافظة على أكبر قدر ممكن من لغات العالم؟ يجب ألا ننظر إلى هذه الأمور بشكل رسمي، إذ يجب أن نعترف أنّ المشكلات التي لها علاقة باللغة، وكما هو الحال في الجوانب الأخرى والتي تؤثر تأثيراً كبيراً في نوع الحياة (مثل علاج النطق أو الفنون) لا تؤثر تأثيراً مباشراً في الشعور البشري، كما يؤثر المرض والمجاعة. إنّ فقدان أيّ لغة لا يعد تهديداً للحياة

بشكل واضح. كما أنّ موضوع اللغة لم يحظ بالاهتمام الذي تحظى به البيئة عند العامة[١٠]. إذ يعرف معظم الكبار وكذلك أطفالهم يُعلمون عن مثل هذه الأمور، وما للمحافظة على الغابات المطرية في العالم، وما للتنوع البيئي من أهمية. لقد حققت حركة المحافظة على اخضرار الطبيعة نجاحات في رفع مستوى وعي العامة إلى ضرورة المحافظة على تراث الكائنات الحية في جميع أشكالها وظواهرها. وتحققت نجاحات في جميع المجالات، عدا مجال اللغة؛ إذ الإدراك قليل للحاجة إلى "لسانيات خضراء" greenlinguistics [١١]. إنّ هذه النقاشات نُظمت وطُرحت منذ عهد قريب فقط، ولم تجد اهتماماً عاماً. وقد حان الوقت لإيصالها ونشرها على جمهور أوسع، فخمسة منها تجيب ببساطة عن السؤال: "لماذا علينا أن نهتم عندما تموت لغة؟" ولكن بطرق مختلفة.

لأننا في حاجة إلى التنوع

هذا تمديد مباشر لإطار مرجع النظام البيئي: فالنقاشات التي تدعم الحاجة إلى التنوع الأحيائي* تنطبق على اللغة أيضاً. يعتقد معظم الناس، وبما لا يدع مجالاً للشك، أنّ ظاهرة

١٠– لاحظ عدد من المعلقين التباين الواضح في الوعي العام للتنوع الأحيائي واللغوي. انظر Hale (1992a: 1)، (1992: 7) Krauss (1998: 101–2) Rhydwen. خُصصت مئات من المنظمات الدولية والوطنية لمواجهة الخطر على النبات والحيوان بعضها تجاوز عمره القرن (على سبيل المثال تأسست جمعية أودوبون Audubon الوطنية للحفاظ على الطيور في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٦٦م). وفي المقابل، هناك عدد قليل لافت من المنظمات اللغوية التي بدأت تظهر منتصف التسعينيات. للمزيد انظر أدناه.

١١– على الرغم من دعاية تشومسكي غير المقصودة للقضية Chomsky (1957: 15).

* نسبة إلى علم الأحياء. (المترجم).

التنوع البيئي هي أمر جيد ويجب تعزيزها. ولكن عند إمعان النظر في أسباب هذا الاعتقاد نجد أنّ هنالك قضيتين بحاجة إلى توضيح، إذا أردنا تطبيق مفهوم التنوع الأحيائي على اللغة. القضية الأولى تتعلق بعلم البيئة. أولاً وببساطة لا يوجد أي جنس في البيئة له قيمة وأهمية بمفرده. إذ إن مفهوم النظام البيئي برمته مُؤسس على ملاحظة المخلوقات وهي تعيش في شبكة من العلاقات المتبادلة فيما بينها. ولنأخذ على ذلك تعريفاً واحداً هو أنّ "النظام البيئي يتشكل من خلال تفاعل الكائنات الحية، والنباتات، والحيوانات، والبكتيريا، وغيرها، مع العوامل الطبيعية، والكيميائية في البيئة التي تعيش فيها هذه الكائنات" [١٢]. وبمفهوم أعم ترتبط الجوانب الحضارية والأحيائية في علاقة متبادلة، يدعم كل منهما الآخر، وطبقاً لذلك فإنّ الصفة المميزة للنظام البيئي هي محاولة" ربط بناء نظام المجتمع البشري وبيئته المحلية في علاقة تفاعلية[١٣]؛ لذا فإنّ أيّ خلل، في أي جانب من جوانب النظام البيئي، سينتج عنه خلل في نظام البيئة بشكل عام.

يركز البعد الثاني على فكرة التعددية، وهي ذات علاقة معتبرة. يقول لويس ماكنيس* Louis MacNeice (١٩٣٥م) في قصيدة الثلج: إنّ العالم "متعدد لامحالة". لذا فإنّ التعددية

١٢– Kenneth Mellanby، مدخل إلى النظام البيئي عند Bullock, Stallybrass, and Trombley (1988: 253).

١٣–Peter Hagget مدخل إلى"البيئة البشرية" في كتاب Bullock, Stallybrass, and Trombley (1988: 248). إنّ التماثل بين كيفية تأثير "عقيدةالموت" في المحيط الحيوي والثقافة معاً موجود عند Babe (1997). للمزيد راجع الفصل الرابع.

*** شاعر آيرلندي شهير مؤثر في من بعده (١٩٠٧–١٩٦٣م). (المترجم).**

أساسية في فكر التطور إذ يمكن النظر إليها على أنها تظهر نتيجة لمحاولة الأجناس البشرية التكيف مع البيئات المختلفة، لكي تحافظ على حياتها: " يعتمد التطور على التنوع الوراثي" [١٤]. ويحمل تزايد الاتساق عناصر التهديد لاستمرار العنصر البشري على المدى الطويل. ومن أدبيات العلاقة بين الكائنات الحية التي تعيش في البيئة: أن أقوى الأنظمة البيئية هي تلك الأكثر تنوعاً. وكما قال أحد الباحثين: "يرتبط تنوع الكائنات الحية ارتباطاً وثيقاً باتساقها وثباتها... والتنوع هو ضرورة لتطور الأنظمة الطبيعية[١٥]. وعند تطبيق هذا المفهوم على فكرة التطور البشري يتضح أن النجاح في إعمار الأرض يرجع إلى قدرتنا على تطوير ثقافات منوعة تناسب جميع أنواع البيئات.

تقع الحاجة إلى الحفاظ على التنوع اللغوي مباشرة على كاهل هذه الحجج. فإذا كان التنوع متطلباً أساسياً لنجاح البشرية؛ فإنّ الحفاظ على التعدد اللغوي ضروري، لأن اللغة ترتبط ارتباطاً أساسياً بالبشر. وإذا كان لابد من تطوير ثقافات متنوعة، فإن دور اللغة يصبح ضرورياً، لأنّ اللغة، سواء المكتوبة أو المنطوقة، وسيلة نقل هذه الثقافات. وطبقاً لذلك، فعندما يتعثر التواصل اللغوي يسبب موت اللغة؛ فسيكون هنالك فقدان للمعرفة الموروثة: " إنّ أيّ تناقص للتعدد اللغوي يُضعف قدرة الجنس البشري على التكيف؛ لأن

١٤- ذكر ذلك Jones S. Jones, Martin and Pilbeam (1992: 269). وتجدر الإشارة إلى أنّ التشابه الوراثي ليس بإمكانه إلا أن يبعدنا أكثر عن الموضوع: لا توجد قضية من المنظور الداروينى يمكن من خلالها ملاحظة مفهوم البقاء للأقوى؛ لأنّ العوامل التي تسبب موت اللغة تكون تحت سيطرة الإنسان إلى حد كبير.

١٥- Odum (1986).

ذلك يقلل من حجم المعرفة التي ننهل منها" [١٦]. إنّ انقراض اللغة خسارة كبيرة على المستوى الفردي للناطقين بها؛ لأن ذلك يعني اندثار تاريخ هؤلاء الأفراد، وإن موت هذه اللغة له تأثير غير مباشر في كل فرد (كما سأوضح لاحقاً). وقد وضّح أحد اللسانيين المختصين في هذا المجال هذه المسألة على النحو التالي: "تُعد اللغة الأم مصدراً من المصادر الطبيعية التي لا يمكن تعويضها عند فقدانها من الأرض[١٧].

باحث آخر استخدم تشبيهاً له علاقة بعلم الحيوان، إذ قال: "إن انقراض أي لغة من العالم يشبه انقراض أي جنس من أجناس الحيوانات "[١٨]، واستخدم باحث ثالث تشبيهاً آخر استمده من علم الوراثة في قوله: "يشبه التنوع اللغوي المجموعة الجينية والتي هي ضرورية للأجناس البشرية كي تنمو... فإذا أردنا أن ننجح فإننا بحاجة إلى تفاعل في الأفكار من

١٦- Bernard (1992: 82).

١٧- Romeo Labillo, in Maurais (1996: 269).

١٨- Hale (1992 a: 8). إنّ مبدأ هذه القضية المتعلقة باللغة الذي عبّر عنه هيل وآخرون هاجمه لاديفوجد في إصدار لاحق (Ladefoged 1992) متحدياً فرضية أنّ اللغات والثقافات المختلفة تجب المحافظة عليها. وكانت وجهة نظره أنه عندما تؤخذ الاعتبارات السياسية بعين الاعتبار، كما يجب أن يكون دائماً لن يكون للسانيين دور في اتخاذ قرار الحفاظ على اللغة. وهناك مسافة كبيرة بين بدهية التنوع المرغوب فيه وإمكانية تطبيقه في الظروف الفردية. وقد نوقشت هذه النقطة بصورة أوسع في الفصل الرابع.

خلال التعدد اللغوي" [١٩]. وقد صدر عن الجمعية اللسانية في أمريكا، عام ١٩٩٤م، قول ذهب خطوة وراء هذا التشبيه مفاده[٢٠]:

> إنّ فقدان التنوع الجيني في عالم اللسانيات المتعلق بالبشرية... يُناقش على أنه أعظم من انقراض التنوع الجيني في عالم الأحياء؛ لأن بناء اللغة البشرية يمثل خير شاهد على ما أنجزه العقل البشري.

قد يبدو "تبادل الأفكار وتزاوجها" أمراً سهلاً جداً، ولكنها لا تقتصر فقط على السماح للشخص أن يتأثر بمصطلحات أجنبية أخرى، ويستعملها، كما هو الحال في استخدام الناطقين بالإنجليزية كلمات مثل *élan* أو *chic*. ويوجد على الدوام وجهات نظر مختلفة في مجالات متعددة من الحياة لأولئك الناطقين بلغة واحدة (أو لغات متعددة). حتى إنه يعد من ناحية تاريخية أن الاشخاص الذين يتكلمون لغة واحدة فقط، هم أيضاً متعددو اللغات؛ لأن لغتهم الأم تحتوي على مفردات مستعارة تمثل اتصالاً تاريخياً بالثقافات الأخرى. فعلى سبيل المثال، استعارت اللغة الإنجليزية عدداً من المفردات من مئات اللغات الأخرى، وفي المقابل قامت مئات اللغات الأخرى باستعارة أعداد ضخمة من الكلمات الإنجليزية. إنّ هذه العملية، بالطبع، تعطي الكثير من التنوع في المعجم اللغوي– ففي حال اللغة الإنجليزية،

١٩– Pogson (1998: 4). وتبنى المنظور البيئي عدد من اللسانيين الذين يعملون للحفاظ على اللغات المهددة بالانقراض. على سبيل المثال، انظر Wurm (1991: 2–4). وانظر كذلك الفصل الرابع. الهامش رقم ٦.

٢٠– لجنة الحفاظ على اللغات المهددة بالانقراض Committee on Endangered languages and their Preservation (1994: 5). لفت PeterTrudgill (1991) الانتباه إلى نقطة مثيرة للاهتمام وهي أنّ اللغات تمثل حاجزاً جزئياً للتواصل وهي تفيد البيئة؛ لأنها تجعل من الصعب على الثقافات المهيمنة اختراق الثقافات الأصغر. للمزيد انظر Trudgill (2000: 9).

توجد الكلمة الأنجلوساكسونية (*Kingly* ملكي) جنباً إلى جنب مع الكلمة الفرنسية (*Royal* ملكي) والكلمة اللاتينية (*Regal* ملكي) وكلها تحمل معاني متقاربة، ولكن يوجد بينها اختلافات دقيقة في المعنى يمكن توظيفها في التعبير والتنوع الأسلوبي الذي لا يمكن تذوقه لولا وجود هذه الميزة من التنوع اللغوي.

هنالك طريقة ثانية تدل على أن لغتنا تحمل تاريخنا. إنّ اللغة تزودنا من خلال مفرداتها وعباراتها الاصطلاحية بدلائل مفتاحية ترشدنا إلى طبيعة عقلية الأوائل الذين كانوا يتكلمون هذه اللغة، وتكشف عن نوعية الثقافات التي كانوا يتواصلون معها. فهناك أكثر من ثلاثمائة وخمسين لغة حية مدرجة في المداخل التي تعنى بأصول المفردات وتاريخها في قاموس أوكسفورد الإنجليزي *Oxford English Dictionary*. ويوضح أصل وتاريخ كل كلمة نقطة تواصل وفهرس لتأثر وتأثير اللغات بعضها في بعض. إذ أصبحت هذه المفردات مصدر توثيق للتاريخ الاجتماعي. ويمثّل هذا تعليق جورج ستينر George Steiner: "كل شيء ينسى ما عدا اللغة" [٢١]. إنّ إمكانية التفاعل كبيرة حتى على مستوى لغتين، وذلك بسبب وجود عشرات الآلاف من المفردات والمصطلحات والاستعارات في اللغة بالإضافة إلى التراكيب القواعدية المؤثرة. ومع وجود آلاف اللغات في العالم، فإنه لا يمكن تخيل مدى القدرة على التعبير التي تتاح للمتحدث نتيجة استخدام هذه اللغات. إنّ التراث الفني

٢١- The hollow miracal "المعجزة الجوفاء" (1967: 131) Steiner.

القادر على تسخير المصطلحات، كي تعكس الهوية، لا حدود له. وقد أصاب مايكل كراوس Michael Krauss عندما قال[٢٢]:

بالتأكيد إن انقراض أي لغة كانقراض أي جنس حيواني، وكلاهما يضعف عالمنا، وبكل تأكيد نعرف نحن اللسانيين، وكذا شعور العامة، أن أي لغة هي إنجاز عبقرية البشرية جمعاء، وهي خالدة ما دامت البشرية باقية. فإنه لا يجوز لنا أن نبكى فقدان إياك (Eyak) أو يوبيخ (Ubykh) أقل أو أكثر من فقدان حيوان البنده أو النسر الأمريكي.

وقد لخصها كاتب روسي يدعى فاسيسلاف إيفانوف Vjaceslav Ivanov بما يأتي[٢٣]:

تشكل كل لغة نظاماً رمزياً لفهم الكون، فإذا كنا نمتلك أربعة آلاف طريقة لوصف العالم، فإنّ هذا يجعلنا أغنياء. لذا فإنه يجب أن نهتم بالمحافظة على لغات العالم مثل المحافظة على البيئة.

وبالطبع إذا كان هنالك ستة آلاف لغة (انظر الصفحة ٣٦) فنحن أكثر غنىً. لكن هنالك بعض التخوفات من أنه إذا انقرض عدد من اللغات، خلال قرن من الزمان، فإننا سنفقد نصف ثروتنا الثقافية التقليدية، وستنقص وسائل التعبير البشرية نسبياً. (سيتم تناول إمكانية استبدال بعض من هذه الثروة في الفصل الخامس).

لأن اللغات تعبّر عن الهوية

إذا صرفنا النظر عن مفهوم التعددية؛ فإننا نجد مفهوم الهوية. إذ يهتم كل فرد بهويته. هنالك مثل من ويلز يجيب عن جوهر السؤال القائل: "لماذا يجب أن نهتم إذا ماتت اللغات؟".

٢٢- Krauss (1992: 8).

٢٣- Ivanov (1992).

Cenedl heb iaith, cenedl heb galon

"أمة بلا لغة هي أمة بلا قلب".

ويمكن أن يتشكل لدى أحاديي اللغة، الذين يتكلمون لغات مزدهرة، إحساس بما يعنيه فقدان الهوية عند الحديث عن لغات تتعرض لخطر الانقراض. وكل ما بوسعهم عمله هو إظهار دور اللهجة المحلية في المجتمع. وعند التحدث عن هذا الموضوع مع أي شخص أقابله، فإنه يذكّره بأسف كيف انقرضت اللهجات القروية الإنجليزية في بريطانيا سواء أكانوا يتكلمون هذه اللهجات أم لا. إن الذين يهتمون بهذه المسألة ينتظمون غالباً أعضاء في مجتمعات تتكلم هذه اللهجات، إذ يقوم هؤلاء بجمع المفردات والقصص التي تخص هذه اللهجات، مثل ترجمة مقتطفات من أعمال شكسبير، أو الإنجيل، على سبيل المثال[٢٤]. وتوجد بعض هذه الهيئات منذ زمن بعيد. وقد احتفل مجتمع يوركشير* في الذكرى السنوية للهجته عام ١٩٩٧م.

وقل أن نجد شخصاً مثل صامويل بامفورد Samuel Bamford يتحدث عن الرومانسية والحنين الذي يصاحب روح اللهجة، إذ قام بإعداد قائمة بالكلمات والتعبيرات الخاصة بلهجة جنوب لانكشير عام ١٨٥٤م[٢٥]:**

٢٤- كما في Kellett (1996).

*** منطقة جغرافية كبيرة شمال شرق إنجلترا تضم عدة مقاطعات ومدن. (المترجم).**

**** مقاطعة تقع شمال غرب إنجلترا. (المترجم).**

٢٥- Bamford (1854: xi-xii).

هناك ... متعة في التأمل والذكرى لتاريخ الناس القدماء، الذين تركوا المكان الذي نعيش فيه، تركوا الأرض التي نسكنها، وخرجوا وأغلقوا باب البيت خلفهم قبل أن ندخله. نتمنى أن نتذكرهم، ونتمنى لو أنهم مكثوا مدة أطول، كي نلحق بهم قبل أن يغادروا هذه الدنيا. نذهب إلى الباب نبحث عنهم في الطرقات والممرات والروابي والغابات، ولكن القدماء لا يُرون في الأعلى أو الأسفل أو من بعيد أو من قريب؛ فنعود إلى غرفتنا محبطين. وقد تخيلنا كم ستكون الأوقات جميلة لو أنّ هؤلاء يعيشون بيننا، وهم يرتدون ملابسهم المميزة وقبعاتهم الواسعة، "وحليهم المعدنية ونعالهم"، ونستمع إلى حكاياتهم وقصصهم، ونستمع إلى أنغام أصواتهم ونبرة كلماتهم الغريبة. ولكن لا نستطيع ذلك؛ لأنهم ذهبوا بلا عودة. إننا لن نراهم؛ لأنهم ذهبوا بلا عودة. إننا لم نرهم ولن نراهم. ونحن الآن بائسون محبطون. وقد استرعى انتباهنا كتاب وسط ندمنا. نفتح هذا الكتاب ونجد فيه أشياء محفوظة. ليست فقط صورة أولئك الذين ندمنا على فراقهم، ولكن نجد أيضاً قصصهم القديمة، وكلماتهم غير المألوفة، وأنغام أصواتهم محفوظة لنا. نجلس فرحين بهذه الجائزة، و مستمتعين بما فيها من متعة ذهنية. مثل هذا الكتاب ينبغي أن أضعه على رف البيت القديم الذي هجرته.

هذه النزعة العاطفية في الكتابة تمثل هذا الجنس الأدبي تقليدياً، وبلا شك فإنّ هذا لا يروق لأولئك الذين تعودوا على النغمة القاسية في الخطاب أواخر القرن العشرين. ويجب ألا يُسخر من هذه النزعة العاطفية التي يحملها النص الذي اقتبسته بشكل مطول؛ لأنها تبلّغ أولئك الذين لم يتعودوا على مفهوم موت اللغة شيئاً عن الحالة الذهنية لأولئك الذين يبدو هذا الاحتمال كله حقيقياً لهم. مثل هذا الشعور القوي ربما يمثل "فقط" لهجة مهددة بالانقراض! فكم من المشاعر التي يمكن أن تكون مبرّرة عندما نكون أمام لغة مهددة بالانقراض؟

إنّ استخدام كلمة "فقط" قد يناسب من ناحية بلاغية ولكنها بلا معنى من ناحية ذهنية؛ لأن اللهجات لا تختلف في تعقيدها عن اللغات في أصواتها، وقواعدها، وكلماتها، وصفاتها الأخرى. وكما رأينا في الفصل الأول، لا يوجد خط فاصل بين اللهجة واللغة، بل

هو فاصل عشوائي يعتمد على اعتبارات سياسية اجتماعية يمكنها أن تحول لهجة معينة إلى لغة في لحظة واحدة[٢٦]. موت لهجة هو موت لغة، ولو كان ذلك على نطاق محلي. إنّ الرغبة في الحياة، التي تمثلها الفقرة أعلاه، يكون عندما يتعلق الأمر بالموضوعات الأوسع المتعلقة بموت اللغة. إننا نتعامل، في كلتا الحالتين، مع موضوعات ذات تميّز ثقافي، لها علاقة بشخصية المجتمع، والتي تنعكس من خلال اللغة، فهذان المفهومان متداخلان. إنّ الشخصية هي نتاج الوراثة، وقد ألمح إلى ذلك توماس مان Thomas Mann: "يجب أن نعرف كيف نرث، لأن الإرث ثقافة"[٢٧]، ولكننا نحتاج اللغة لمعرفة ما نرث. وفي تعليقها على الأعمال التي تتعلق بشعوب أمريكا الشمالية لخصت ماريان مايثن Marianne Mithun هذه الظاهرة بما يأتي[٢٨]:

> إنّ فقدان اللغات مأساة حقيقية؛ لأنه لا يمكن استبدالها، بكل دقة بسبب أنها تمثّل خلاصةً حقيقية لأفكار الشعوب وتواصلها عبر تاريخها كاملاً.

ولهذا استطردت في تبني المقارنة التي توضح أن أي طريقة للمحافظة على هذه اللغات من خلال ترجمتها فقط هو اعتقاد خاطئ:

> إنّ الاقتصار على ترجمة المفردات الإنجليزية، والجمل، من أجل تعليم اللغة وتوثيقها يجانب الصواب. يجب

٢٦- التلميح العسكري أمر مناسب للغة اشتُهرت بأنها "لهجة الجيش أو البحرية" (Weinreich 1980). وهو مناسب لسبب آخر أيضاً: إنّ أسباب ضياع أو فقدان اللغة في كثير من الحالات مرتبط بالغزو العسكري كما سنرى في الفصل الثالث . لدراسة لهجة متعلقة بالموضوع انظر (1997) Holloway.

٢٧- (1998) Henze.

٢٨- (1998: 189) Mithun.

ألا يشمل كيفية نطق الأشياء فقط، إنما يجب أن يشمل اختيار الكلمات أيضاً، ليس فقط في المناسبات والسرد القصصي، إنما في الأحاديث اليومية أيضاً.

قد أصاب أوليفر ويندل هولمز Oliver Wendell Holmes عندما وصف دور الجانب اللغوي في المجتمع باستخدام مصطلحات رمزية بقوله: "إنّ أيّ لغة هي معبد لأرواح أولئك الذين يتكلمونها" [٢٩]. هذه العبارة هي استعارة جميلة، على الرغم مما تحمله من معنى سلبي؛ لأنها تقلل من الدور الحيوي الذي يقوم به مستخدمو هذه اللغة في حضارتهم. نحن نصنع الحضارة ونتلقاها. وطبقاً لذلك فإنّ المقارنة الأكثر دقة هي التحدث عن الهوية الثقافية، وكل ما تفصح به عن الأفراد الذين ينتمون إليها. تؤدي الطقوس والموسيقى والرسم والنحت وكل الأشكال الأخرى دوراً مهماً في حياة الأفراد، ولكن اللغة تؤدي الدور الأهم. وقد يذهب بعض إلى أبعد من ذلك عند القول: "إنّ اللغة... ليست فقط عنصراً من عناصر الثقافة نفسها؛ ولكنها الركيزة "لكل" النشاطات الثقافية" [٣٠].وعلى الرغم من وجود مشكلة في استخدام كلمة "كل"، كما سنرى في الفصل الرابع. لكنّ الذين يتناولون اللغات المهددة بالانقراض يعرفون أهمية هذه النقطة؛ لأنهم سيرون، يوماً بعد يوم، كيف أن المجتمع يعتمد

٢٩- Holmes (1860: ch. 2).

٣٠- Bloch and Trager (1942: 5). يجب ألا نكون مبالغين في هذا الموقف؛ فنستبق النقاش في الفصل الرابع: والرأي القائل: إنّ "الناس لايستطيعون الحفاظ على ثقافتهم دون لغتهم" هو إحدى هذه المبالغات، إذ أثبتت كثير من المجتمعات أنّ العرقيات قادرة على العيش فيها على الرغم من حقيقة أنّ معظمهم فقدوا أو لم يتعلموا اللغة. وعلى سبيل المثال تُعد قضية ويلز واحدة من أكثر الخلافات سخونة في الوقت الحاضر فيما إذا كان الشخص يمكن أن يُعد ويلزياً أم لا إذا لم يكن قادراً على التحدث باللغة الولزية. وهناك حجج لكلا الجانبين وتحتاج المسألة العامة إلى بحث يحدد بدقة جوانب الثقافة المعتمدة على اللغة لحفظها والجوانب التي لا تعتمد على اللغة.

اعتماداً كبيراً على اللغة، للتواصل وتفسير سلوك أفراده. "ماذا تعتقد؟"، "ماذا يفعلون؟"، "لماذا عملت ذلك؟"، "من هو ذاك الشخص؟". ليست فقط هذه الأسئلة التي يطرحها المحللون الخارجيون الذين يحاولون تفسير ملاحظاتهم؛ بل هي أسئلة يطرحها أيضاً أفراد المجتمع بعضهم على بعض. وفي المحصلة فإننا في حاجة إلى البحث في لغة المجتمع إذا ما أردنا فهم هويته.

إنّ الهوية هي ما يميز أفراد المجتمع؛ فيعرفون على أنهم بيانات متماثلة، وهي حصيلة الصفات والمميزات التي يشترك فيها هؤلاء الأفراد وتميزهم عن غيرهم،"نحن" بدلاً من "هم". تتعلق معظم هذه الصفات بالمظهر الخارجي للأفراد (وخصوصاً في هذه الأيام، إذ يتزايد التنوع ويتعذر تعرف الأفراد عند النظر إلى وجوههم فقط). وتتعلق أيضاً هذه الصفات في معظم الأحيان بالعادات الاجتماعية المحلية (مثل اللباس)، والمعتقدات، والطقوس، وسلوك الأفراد. لكن تعد اللغة من أهم الصفات التي تميز هوية الأفراد. إنّ اللغة موجودة حتى لو لم نر الذين يتكلمونها وجهاً لوجه (وذلك من خلال الصراخ عليهم من بعيد) أو حتى لو لم نرهم أبداً (عندما نتكلم معهم في الظلام). إن اللغة هي الفهرست الأساسي ورمز الهوية وسجلها. لقد بحثت، كما بحث غيري من السابقين، عن أفضل استعارة لوصف اللغة. يقول ديكسون Dixon[٣١]: "إنّ اللغة هي شعار متكلميها". ويقول بارتس

٣١- Dixon (1997: 135).

Barthes: "اللغة هي جلد الإنسان وأنا أفرك لغتي بلغة أخرى" [٣٢]. وقدم لنا إيمرسون Emerson صورة جميلة بقوله[٣٣]:

> نستقرئ روح الأمة بقدر كبير من خلال لغتها التي هي نوع من نصب تذكاري، أسهم في بنائه كل فرد قادر بحجر، عبر مسار امتد لعدة مئات من السنين.

أما في الأدبيات الكلاسيكية فإنّ هذه الحجارة، في الحقيقة، ضخمة متماسكة. وقد عكس إدوارد سابير Eduard Sapir هذه النظرة التاريخية في قوله[٣٤]:

> إنّ اللغة هي أضخم وأشمل فنّ نعرفه، وهي عمل ضخم مجهول صنعته الأجيال دون وعي.

فالهوية هي التي تدفعنا إلى الاتصال بالتاريخ، والذي بدوره يزودنا بطريقة أخرى للإجابة عن السؤال: "لماذا يجب أن نهتم بموت اللغة؟"

لأن اللغات مستودعات للتاريخ

أطلق الدكتور جونسون Dr. Johnson في أثناء جولته في أسكوتلندا مع جيمس بوزويل James Boswell إحدى ملاحظاته التي اشتهر بها قائلاً[٣٥]:

٣٢- Barthes (1977).

٣٣- في "الاسميين والمعتمدين على الحقيقة" (Emerson 1844).

٣٤- Sapir (1921: 220).

٣٥- في Boswell (1785). إنه يوم ١٨ سبتمبر ١٧٧٣م. M'Craas اسم إحدى الجماعات الأسكوتلندية.

يا للأسف! ياسيدي، ماذا باستطاعة الأمة التي لا تملك حروفاً [= الكتابة] أن تخبرنا عن أصلها؟ إنني دائماً أجد صعوبة في الاستماع إلى مؤلفين يقدمون وصفاً لأمم همجية، ويعتمدون في مصادرهم لهذا الوصف على الأفراد البدائيين أنفسهم. ماذا باستطاعة الماكريز M'Craas أن يخبرونا عن أنفسهم قبل ألف عام؟ لا يمكن تتبّع العلاقة بين اللغات القديمة إلا من خلال اللغة. لذلك فإنني أشعر دائماً بالأسى عندما تموت لغة معينة؛ لأن اللغات أنساب الأمم.

تبدو بعض هذه المصطلحات غير مقبولة هذه الأيام، ولكن الملاحظة الأخيرة على القول بأنّ اللغات هي أنساب الأمم لا يمكن تجاهلها أو مهاجمتها. لأنّ مصطلح "نسب" يشير إلى النسل، والذرية، والأصل. فعندما يتكلم جونسون عن "أصل" اللغة فإنه يتحدث من واقع أنه عالم في فقه اللغة. ولكن عندما تُدوّن اللغات كتابةً فإنّ دلالاتها تكون أكثر من تلك المتعلقة بالفقه التاريخي لهذه اللغات. كما في قول إمرسون Emerson[٣٦]: "اللغات سجلات التاريخ". إنها تفصح عن ذلك من خلال نصوصها اللغوية وصياغتها باستخدام التراكيب والمفردات، ومن خلال الأحداث التي تعكس ماضي هذه اللغات[٣٧]. إنّ إلقاء نظرة عابرة على قسم المراجع في أي مكتبة يعكس للناظر مدى اعتماد الناس على اللغة المكتوبة لتكوين نظرة شاملة عن أصولهم وتطورهم. إلا أنّ القسم المتعلق بالأدب يعطي فكرة أوضح. إذ إننا أفراد نعطي أهمية كبيرة لتلك القصاصات التي تحتوي على وثائق شخصية لأجدادنا – مثل مذكراتهم وتواقيعهم خلف صورهم الشخصية أو النقوش على جدران القبور– إذ تعطي جميعها دلائل عن أصولنا. نحن نقدّر حقنا في الحصول على هذه

٣٦– في 'The poet' "الشاعر" (Emerson 1844).

٣٧– إنّ الصلة بين تاريخ الكلمة والتاريخ الاجتماعي موضحة بشكل جيد في Hughes (1988). على سبيل المثال تاريخ مفردات الطهي في كتابه صفحة ٢٢.

المعلومات بأنفسنا، ونفتخر بذلك، ونجد فيها مصدر إلهام ومتعة. وفي المقابل، هل يوجد ما يبرر عدم اهتمامنا إذا ما علمنا أنّ الآخرين لا يستطيعون الوصول إلى هذه المعلومات؟ إنّ الرغبة في معرفة الأصول والأنساب هي نزعة عالمية، ولكننا بحاجة إلى لغة معينة لتحقيق ذلك. ولكن عندما تموت هذه اللغة ستنقطع الروابط بيننا وبين ماضينا، ونبقى فعلاً معزولين.

وجهة النظر نفسها نجدها عند جوهان فان هورد Johan Van Hoorde: "عندما تفقد لغتك، ... فإنك تعزل نفسك عن ماضيك" (٣٨). وهو يتحدث، من واقع أنه مدير لمشروعٍ في (هولندا)، في سياق حديثه عن اللغة الهولندية التي كتبت منذ قرون. إنّ الموضوع مختلف بعض الشيء، ولكننا نستشعر من كلام جونسون الحاجة إلى أن نبدأ حقبة من الاستمرارية اللغوية. ونستشعر من كلام فان هورد أنه عند موت لغة معينة، سيجد جيل جديد نفسه غير قادر على التوصل إلى تاريخه، دون مساعدة خاصة من فقه اللغة. وفي هذه الحالة سيكون هنالك نصوص مكتوبة، ولكن العامة لا تستطيع التوصل لها. يشعر الناطقون الأصليون باللغة الإنجليزية بهذا الموقف عند التعامل مع الإنجليزية القديمة. فعند التجول في متحف يعرض مخلفات أنجلو ساكسونية، فإننا نلحظ أنّ لها علاقة بما هو موجود هذه الأيام، ولكن عند العثور على مخطوط أنجلو ساكسوني، فإنه يصعب علينا فهمه إذا تعذر معرفة

٣٨- Van Hoorde (1998: 8).

اللغة المكتوب بها. لذا فإنّ أيّ شخص يشعر أنّ عدم معرفة اللغة هو الحاجز بينه وبين تاريخه المشروع، فهو على حق في ذلك، ولكن مع نقلة ألف سنة، فإن التعاطف يميل إلى أن يكون عقلياً أكثر منه قلبياً. وفي المقابل، فعندما لا نستطيع قراءة كتب أجدادنا وأسلافهم، لعدم وجود لغة مشتركة بيننا وبينهم، فإننا لا نستطيع التعبير عن حدة ذلك الشعور.

وماذا إذا لم تكن لغتك قد دُوّنت من قبل؟ يقلل جونسون من قدرة متكلمي اللغة المحكية. فماذا تستطيع اللغة المحكية أن تخبرنا عما كان يجري قبل ألف سنة؟ نعلم من التراث الشفهي أن في استطاعة اللغة أن تخبرنا الكثير[٣٩]. إذ عبّر عن ذلك، بوضوح وحيوية، أحد الرواة من غرب إفريقيا يدعى ممادو كوييتي Mamadou Kouyaté[٤٠]:

> نحن أوعية الخطاب ونحن مستودعات لأسرار عمرها قرون عدة... نحن ذاكرة الإنسانية. إننا نستحضر حياة الأموات عندما نستخدم كلماتهم الشفهية، وننقل أعمال الملوك البطولية إلى الأجيال الأصغر سناً.

إن من السهل أن نعتقد أن هذا الكلام ضرب من الخيال؛ ولكنه ليس كذلك. لأن الذين يقومون بالنقل الشفهي يستخدمون أساليب لغوية لضمان نقل الذاكرة. ويجب ألا نستغرب لأننا تعودنا أن نرى أعمالاً مذهلة تعتمد في نقلها على الذاكرة، مثل تلك الحفلات الغنائية التي تشتمل على عزف أو غناء منفرد للعازف دون استخدامه لأي ورقة مكتوبة. اسألهم عن كيفية أداء مثل هذه الأعمال، فإنهم يتحدثون عن كيفية تطويرهم لفهم كبير، وكيفية بناء

٣٩– انظر على سبيل المثال Lord (1960) عن الأغاني الشفهية لمطربي الملحمة اليوغسلافية، وانظر Swann (1992). لمزيد من التوضيح عن الهنود الحمر، ولمراجعة عامة عن الأداء الشفهي لهم في الميدان، Edwards and Sienkewicz (1990).

٤٠– في Edwards and Sienkewics (1990: 15).

قدراتهم، وعن الامكانيات المتوافرة لديهم، لاستخدام أنواع مختلفة من القدرات الذهنية في آن واحد. وقد عبر لي عن ذلك عازف البيانو إيوان لليولين جونز Iwan Llewellyn Jones ذات مرة قائلاً: "الذاكرة بين أصابع الإنسان" (٤١). إذ يستطيع الراوي الشفهي تكوين صورة كلية عن تركيبة النص دون التفاصيل. تاركاً الدقائق اللغوية التفصيلية "تعبر عن نفسها". وفي أثناء رواية القصة "يعرف" الراوي متى يُصّعد الوتيرة أو يخفضها، ومتى يسرع أو يبطئ، وهي مهارة تلاحظ حتى على الأطفال الصغار في أساليب صيغ نكات طرق الأبواب "Knock Knock" المعروفة بتتابع النغمات المحددة، ومستوى الصوت الإيقاعي. وتمتاز الترانيم التي يؤديها المحترفون بالإتقان والتعقيد، إذ تحتوي على موضوعات متكررة، ومجاز في التعبير، ونماذج لفظية معقدة (مثل المدح والتفاخر والاستغلال) وصيغ المبالغات ونقاط الاستطراد والأساليب اللغوية الأخرى، إذ تستخدم معظمها مفاتيح وموازين للأداء الشفهي. ويمكن مقارنة القدرة الشفهية السردية بالموسيقى؛ لأن معظم ما يتم سرده شفهياً كان يُغنى ويُنشد. ونحن نعرف مدى تعقيد بعض هذه النصوص الشفهية، ولكننا محظوظون بسبب وجود نسخ مكتوبة محفوظة بين أيدينا، مثل ملحمة بيوولف Beowulf*، إذ تضم محتوى ضخماً يزخر بقوائم أسماء الآلهة، أو الملوك، وسرداً للانتصارات، والخسائر، والقصص

٤١– لتعرّف علم الموسيقى الذهنية، انظر Sloboda (1986).

* ملحمة شعرية إنجليزية قديمة، تاريخ كتابتها غير معروف، ويتوقع أنه بين القرن الثامن والقرن الحادي عشر الميلادي. (المترجم).

الخرافية، وقصص الأبطال، وتفاصيل الإرشادات، والعلاج، والتبصر في السلوك، والنسيج الاجتماعي في الماضي المتصل بالأساطير، وعادات المجتمع وتقاليده. لذا فإنه يجب أن يؤخذ ما ينادي به كوييتي Kouyaté على محمل الجد، ويجب أيضاً أن تُؤخذ إمكانية اختفاء هذه الذاكرة الحية على محمل الجد من أولئك الذين يعتمدون السرد الشفهي مصدراً وحيداً لمعرفة أصولهم العِرقية.

لأنّ اللغات تسهم في تلخيص المعرفة البشرية

الهوية والتاريخ يتحدان ليؤكدا أنّ كل لغة تمثّل تفسيراً فريداً لأيّ وجود بشري، وهذا يعطينا سبباً آخر للاهتمام بموت اللغات. وهذا باعث يخدم الذات أكثر من الآخرين، مع أنه ليس أقل أهمية. علينا أن نهتم باللغات؛ لأننا نتعلم منها الكثير.

إنّ وجهة النظر التي تدعو إلى أنّ اللغات الأخرى، بالإضافة إلى اللغة الأم، تعطينا قوة نماء للشخصية الإنسانية، هي ذات مغزى متكرر في الأدب وعلى مستويات متعددة، إذ إن هنالك تعبيرات متعددة توضح وجهة النظر هذه[٤٢]. هنالك مثل سلوفاكي يقول: "إنّ

٤٢– انظر إلى المجموعة في Champion (1938). إذ يوجد رؤى مقابلة في العديد من البلدان التي تضمنها هذا الكتاب.

الإنسان يكتسب روحاً جديدة عند اكتسابه لغة جديدة". وهناك مثل فرنسي يقول: "إنّ الإنسان الذي يجيد لغتين يساوي رجلين". وأخذ إيمرسون Emerson هذا الموضوع فقال[٤٣]:

إنّ قيمة الإنسان تتعدد بعدد اللغات التي يتكلمها، وعدد الأصدقاء، وعدد الفنون، وعدد المهن التي يجيد.

يُستخلص من ذلك كله أنّ هنالك الكثير مما يمكن تعلمه والاستمتاع به خلال معرفة اللغات الأخرى. ومن البدهي أننا سنفتقد إلى هذه الخبرة إذا لم يهيأ لنا فرصة تعلم لغة أخرى على الأقل. ويشعر بهذا بعض الشيء ذلك المسافر من دولة إلى أخرى. كما في قول إيمرسون مرة أخرى: "يجب على الإنسان ألا يسافر إلا إذا كان يعرف لغة الدولة التي يزورها. وإلا فإنه يجعل من نفسه طفلاً كبيراً؛ لا يقوى على شيء ويكون مجالاً للسخرية" [٤٤]. وهنالك شعور حقيقي عند الشخص الذي يتكلم لغة واحدة فقط أنه شخص منقوص القدر ومحروم.

يحتاج الأشخاص الذين يتكلمون لغة واحدة فقط وقتاً لاستيعاب هذا الأمر. ولكن قبل الاستطراد في هذا النقاش لا بد من التأكيد، في فقرة واحدة، على أنّ هنالك أرضاً خصبة لتهيئة الظروف الطبيعية للإنسان ليكون متعدد اللغات؛ إذ يملك العقل البشري قدرة طبيعية لتعلم عدة لغات، ويعيش أفراد الجنس البشري في أُطر يستخدمون فيها عقولهم بشكل

٤٣– Culture الثقافة في Emerson (1860).

٤٤– Emerson (1833/1909). وحسب رأيي يجب أن يكون واضحاً الآن أنّ كتابة هذا الكاتب فيها كثير مما يقدمه بنظرة ثاقبة للغة. والمقالات التي أُخذت منها هذه المقتبسات فيها ما هو أعظم.

طبيعي وبكفاءة ودقة تحقق الهدف. من المعروف أن نصف الجنس البشري ثنائي اللغة على الأقل، ومن المحتمل أن نصف هؤلاء، على الرغم من عدم وجود دراسات تؤكد ذلك، لهم علاقات ثقافية كبيرة مع غيرهم من الثقافات[٤٥]. وفي المقابل فإن أحاديي الثقافة لا يرون العالم على هذه الصورة؛ لأن عقولهم تعودت عبر قرون من الزمان أن يكونوا جزءاً من ثقافة واحدة مسيطرة، وعلى الآخرين تعلم لغتهم دون أن يقوموا هم بتعلم لغة الآخر. فمن الملاحظ أن الأمم أحادية اللغة تتمتع بتاريخ استعماري أو توسع ديني. وكان هذا الدور واضحاً في الغرب في الماضي والحاضر متمثلاً في انتشار استخدام العربية، والهولندية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والبرتغالية، والإسبانية.

إنّ البشرية تكسب كثيراً جداً من أيّ تعبيرٍ جديدٍ عنها بلغة ما: "إنّ العالم فسيفساء من الرؤى. وعند فقدان أيّ لغة، فإننا نفتقد قطعة من هذه الفسيفساء" [٤٦]. وكي يستشعر المثقف قوة هذه النظرة بطريقة أفضل، فإنني دائماً أسأل: ماهي الخسارة المتوقعة من خلال تخيّل وقوع كارثة لاختفاء لغة ما، إذا لم يكن هنالك أصلا اللغة س (حيث س واحدة من اللغات المعروفة جداً)؟ وكم من روائع الأدب سنُحرم من الاستمتاع بها لو أنّ حادثة ما أنهت تطور الفرنسية أو الإسبانية أو الروسية؟ وماذا لو أنّ النورمندية الفرنسية كانت قد حلت مكان الإنجليزية القديمة بعد عام ١٠٦٦م؟ لو حدث ذلك لما كان هناك الآن تشوسر

٤٥– Grosjean (1982: vii,2). انظر كذلك Baker and Prys Jones (1998).

٤٦– Aryon Dall'Igna Rodrigues, reported in Geary (1997: 54).

Chaucer وشكسبير Shakespeare ووردزورث Wordsworth وديكنز Dickens. وماذا لو لم تكن الفرنسية موجودة؟ إذاً ما كان هناك موليير Moliere، ولا هوجو Hugo، ولا بودلير Baudelaire. لقد أصبحت تعابير مأثورة، لكن ذلك لا يخفي حقيقة أي شخص سيكون فقيراً بسبب فقدانها، ويظهر هذا الفقر بوضوح عندما نفكر ملياً في المجموعة المحدودة لما هو مكتوب ومتوافر من العهود الإغريقية والرومانية.

يمكن أن تنطبق طريقة التفكير هذه على كل اللغات، سواء برز أدبها على المستوى العالمي أم لا. ولكن سيكون تركيزنا على اللغات التي لم تبرز. ماذا سنخسر من اختفائها؟ نحن نعرف فقط تلك الحالات التي مواد عنها تكفي لتمثّل الآن "فسيفساء من الرؤى"، تحوي مجموعات من الشخصيات الخالدة والحبكات الأصيلة، وتأملات في أحوال البشر، وأوصافاً خيالية، وبراعة وإبداعاً غير محدودين في استخدام اللغة، ولو كان ذلك من خلال النصوص المترجمة والروايات الثانوية. وكما يبدو فإنّ كل لغة لها تشوسر خاص بها. فعلى سبيل المثال، في مجموعة من الروايات الهندية الأمريكية الشمالية، هناك حكاية كويوتي Coyote على أنه أقوى الحيوانات البشرية، وكيف أنه تغلب على وحش على ضفاف نهر بترروت Bitterroot في غرب مونتانا[٤٧]. إنها قصة فكاهية جميلة من الفلولكلور الشعبي السوريالي (الباقي)؛ إذ تتحدث عن مناظر طبيعية ريفية، وشخصيات حية، وتبادل حيوي في

٤٧– في Edmonds and Clark (1989: 20–3).

الأحاديث. لقد عرفنا هذه القصة عن طريق إيلا كلارك Ella E.Clark الذي قام بنقلها عن جدته التي كانت تقطن Flatheed Reservation عام ١٩٥٥م. ويبدو أنّ جدته هي الوحيدة التي بقيت تعرف مثل هذه القصص القديمة في ذلك الزمان. إنّ لغة الساليش salishan التي كانت تتكلمها هذه السيدة هي لغة ميتة في الوقت الحاضر. ولو أن هذا العمل اندثر من عدة سنوات، لما تمكنا من تبادل هذه القصة، ولما تمكنا من أن نتعرّف أيّاً من القصص المفرحة عن كاسابي Kasabe (انظر الصفحة ٢٠)[٤٨].

لا نستطيع تكوين وجهة نظر عما يجري في العالم من خلال قصة واحدة. بل يمكن تشكيلها تدريجياً من مصادر متعددة في المجتمع، مثل: أساطيره، ورواياته، وتجاربه، وثقافته، التي يمكن تلخيصها في كلمة واحدة تسمى "التراث". قد يبدو أنه من السهل التقليل من شأن طبيعة هذه المعرفة المفصلة. ولكن عند التحدث عن أي شعب في العالم فلابد من إلقاء الضوء على السكان الأصليين، ومعرفة حيوانات المنطقة التي يسكن فيها، وأنواع زهورها، وتربتها، ومناخها، ومدى تأثيرها في الأرض التي يعيشون عليها، ومناظرها الطبيعية، وكل المسائل التي تتعلق بالتوازن بين مكوناتها الطبيعية (التي أطلقنا عليها آنفاً علم البيئة). عند مقارنة معظم الغربيين بالشعوب الأخرى التي تعيش على الفطرة، والذين يعتبرون البيئة عاملاً

٤٨– روى Dauenhauers (1998: 96) طرفة تستحق الإعادة: سُئل الكاتب اليهودي إسحق سنجر في مقابلة لماذا كتب بلغة تموت "اللغة اليديشية" Yiddish أجاب: "أنا أحب قصص الأشباح. وأنا أؤمن بالبعث. فإذا لم أكتب باللغة اليديشية ماذا سيقرأ هؤلاء اليهود عندما يعودون إلى الحياة؟".

مهماً في استمرارهم على قيد الحياة، نجد أنّ الغربيين قاصرون في معرفتهم بالبيئة، وكيفية التعامل معها، مقارنة بالشعوب الأصلية التي تعد البيئة جزءاً من مشروع النجاة. إنّ التفكير الكلي لهذه الشعوب البدائية ينصب على ما للبيئة من أهمية على قوة المجتمع، وعلى صحة الأفراد الذين يعيشون فيها. وبشكل أدق، فإنّ وجود "فسيفساء من الرؤى" لدى هذه الشعوب يرجع إلى العلاقة القوية التي تربط بينها وبين البيئة التي يعيشون فيها. إذ إنه عندما انتشرت هذه الشعوب في العالم، فإنّ المجتمعات الأصلية تكوّنت لديها ردود فعل كبيرة مختلفة حدّدت أنماط حياتها، وكيفية تعاملها، وردود فعلها، تجاه الاختلافات في الظروف البيئية التي تحيط بها. إنها اللغة التي تجمع كل هذه الأشياء، إذ تربط عمليات التفاعل مع البيئة مع المعرفة الثقافية وتعمل على نشر كل شيء في ذلك الزمن بين أفراد المجتمع، ونشره كذلك عبر العصور بين الأجيال المتعاقبة.

تحتوي الآراء العالمية، بشكل عام، على مفاهيم متعددة، ولكن حتى يستطيع الإنسان الحصول على لمحة عن نظرة المجتمع الفطري الطبيعي؛ فإنه بحاجة إلى مشاركة هؤلاء الناس حياتهم اليومية، وأن يأخذ على عاتقه ما يترتب على ذلك من مسؤوليات. توجد هنالك تقارير تعبر عن مثل هذه التجارب، أفضلها كتابٌ قام بتأليفه ف.ديفيد بيت F.David Peat تحدث عن حياته مع بلاك فوت Blackfoot[٤٩]. ومما يتطرق له في هذا الكتاب أنّ

---

٤٩ – Peat (1995: xi).

عالم الفيزياء النظرية يقوم عادةً بتقديم وصف لموضوعات لا تتطرق إلى علم الأعراق البشرية، لأن خلفيته العلمية تحفزه للإجابة عن مجموعة كبيرة من الأسئلة، تتراوح بين صناعة القوارب، ومفاهيم تتعلق بالفيزياء الكمية. لقد تضمن ذلك الكتاب تغطية تستحق الاقتباس وبشكل مطوّل؛ لأنها تلفت الانتباه إلى المكونات الكثيرة التي تشكل جزءاً من وجهة نظر العالم، التي نتوقع أن نجدها في المجتمع الفطري الأصلي. حيث يتضح لنا أن هنالك سنين ضوئية بيننا وبين وجهة النظر الخاطئة التي تقول: إنّ الناس"البدائيين" يتمتعون بقدرات "محدودة". يقول ف. ديفيد بيت:

> **بين فصول هذا الكتاب مناقشات تتعلق بما وراء الطبيعة والفلسفة، وطبيعة الكون والزمن. والعلاقة بين اللغة والفكر والإدراك، والرياضيات وعلاقتها مع الزمن، والطبيعة النهائية للحقيقة، والسببية والاتصال المتبادل، وعلم الفلك ودوران الزمن والالتئام وطبيعة الحيوانات والصخور والكواكب والقدرة على الإنعاش والمحافظة على تبادل متوازن للطاقة، والزراعة، وعلم الأجنة، وعلاقة الإنسان بالبيئة، وعلاقة الإنسان بالكون، وطبيعة سير المعرفة. بالإضافة إلى ذلك فإن هنالك إشارات إلى التكنولوجيا، مثل نقطة انتشار كلوفيكس، والزوارق المصنوعة من شجر القضبان، والخيام المخروطية والبيوت الطويلة، وتطور الذرة والنباتات الأخرى، وأساليب الزراعة، والمراصد الفلكية، وحفظ السجلات، وإعداد الأدوية من مصادر متعددة.**

يلفت بيت Peat في كتابه النظر إلى مقارنة بين طرق تفكير الغربيين وطرق تفكير المجتمع الفطري، ونتائج مقارنة وجهات نظرهم المختلفة. ولنأخذ ثلاثة من هذه الأبعاد: يركز علماء البيئة الغربيون على العلاقة المتداخلة مع الطبيعة، ويركز المجتمع الفطري على هذه العلاقة أيضاً. وبينما عرف المجتمع الفطري علاقات تربطه بالطبيعة، لكن العلم الغربي لم يعلم

بذلك. وقام عدة أطباء غربيين بإضافة تصورات العلاقة بين الجسم والذهن إلى النموذج الطبي التقليدي عندهم. مع العلم أنّ أطباء من المجتمعات الفطرية قد توصلوا إلى هذه التصورات والنتائج من قبل، ولكنهم لم يفصحوا عن وجهة نظرهم. وهناك عدة أطباء غربيين يقومون الآن بتطوير وجهة نظر مفادها أنّ الطبيعة ليست مجموعة من أشياء ذات علاقات متداخلة، بل إنها في شكل سيل من العمليات. وقد أوضح بيت Peat أن فكرة التدفق أو السيل للعمليات هي وجهة نظر تبناها أساساً المجتمع الفطري الأصلي من قبل.

ولكن ما هو دور اللغة في هذا كله؟ في الحقيقة أنّ للغة دوراً شاملاً، إذ إن هنالك عدة أقوال تثبت أن كبار السن في المجتمع والقادة والمعلمين قد أكدوا على أهمية اللغة أداةً للتعبير عن مجتمعاتهم وتاريخهم كله. إنهم يرون في اللغة وسيلة لنقل قصة رحلات وحروب وتحالفات وأحداث ماضيهم. إنها وسيلة التعبير عن طقوسهم ونقل أساطيرهم القديمة، ومعتقداتهم إلى الأجيال القادمة. وهي وسيلة للتعبير عن علاقاتهم الاجتماعية المتشابكة، وأداة لوصف علاقاتهم مع الطبيعة المحيطة بهم. نتيجة لذلك؛ فإن الغربيين الذين يرغبون التعلم من خبرات سكان المجتمع الأصليين يجدون أنفسهم في حاجة إلى الاعتماد على اللغة للإحاطة بكل شيء. وتوجد الآن عدة تقارير صادرة عن جهات مختلفة من العالم، تتعلق باكتشاف يمكن أن يتوصل الباحثون، الذين يستخدمون اللغة، من خلاله إلى فهم نظرة المجتمع تجاه العالم. ومن بعض المجالات التي تمكنوا من الإحاطة بها بشكل جيد، من خلال

استخدام اللغة، وتربية الحيوانات، والزراعة، والنبات، والطب. إذ فُهمت من خلال اتباع أساليب مجدية وفعالة أفضل من تلك الأساليب التجريبية التقليدية. ففي مجال النباتات، على سبيل المثال، عندما يقوم الباحثون الغربيون بدراسة نبتتين في المنطقة التي يعيش فيها السكان الأصليون، فإنه ليس من السهولة معرفة الفرق بينهما، وفي المقابل فإنّ اللغة المحلية للسكان الأصليين تشير إلى أنّ كلاً من هاتين النبتتين لها اسم مختلف يمثل اختلافاً في النوع، وفي الوظيفة البيئية لكل منهما.

قدم نيكولاس إيفانز Nicholas Evans الباحث في لغة السكان الأصليين الأستراليين، عدة أمثلة تتعلق بعلم الحيوان وعلم النبات[٥٠]. فقد وجد أسماء لأجناس من الحيوانات والنباتات مستمدة من لغة السكان الأصليين، وهي معروفة منذ مدة طويلة قبل أن تُعرف وتُصنف ضمن علم الأحياء التصنيفي في الغرب. هناك نوع من الثعابين، على سبيل المثال، أُطلق عليه اسم (*Morelia Oenpelliensis*) عام ١٩٦٠م فقط، على الرغم أنه معروف لدى السكان الأستراليين الأصليين في كونوينجكو *Kunwinjku* منذ زمن طويل بـ *nawaran*، (ويُكتب أيضاً Gunwinggu، إذ يستخدم في لغة مناطق في أستراليا الشمالية). وتوجد مجموعة من الكلمات في هذه اللغة تُعرّف جنس حيوان الكنغر الصغير سواء أكان ذكراً أم أنثى، وبأنواعه المختلفة.

٥٠- Evans (1998: 163-4).

(*Macropus: antilopinus / bernardus / robustus / agilis*). ويتسع هذا التعريف ليشمل أيضاً طرق القفز المختلفة لكل من هذه الحيوانات. بيّن إيفانز Evans أن برامج الكمبيوتر المرئية التي اخترعها علماء الحيوان لتعرّف نوع الوثب للكنغر الصغير، قد أحرزت نجاحاً أكبر، عندما ركزّت على الحركة أكثر من تركيزها على الوضع الثابت لهذا الحيوان. وقد عرف الأستراليون هذا الكونوينجكو Kunwinjku منذ أجيال عديدة. وعرف أفراد المجتمع الأصليون مزايا متنوعة لشبكة من العلاقات البيئية من خلال القصص التي رُويت عنهم، ومن خلال مفرداتهم. وقد أعطى إيفانز Evans مثالاً من Mparntwe Arrernte (وهي لغة أسترالية تستخدم في منطقة أليس سبرنجز Alice Springs). إذ تستخدم هذه اللغة مفردات تعطي أسماء مختلفة لنوع من مصادر الطعام يدعى Grub (وهو مصدر طعام مهم) يُنسب إلى نوع الشجيرة التي يكون موجوداً عليها.

تعرض مجالات أخرى فرصاً مشابهة إذ إنه يمكن الكشف عن أجناس النبات التي يستخدمها الأطباء المحليون الأصليون من خلال طرق تسمية ووصف هذه الأجناس في الممارسات الطقوسية والخطابات الرسمية والروايات الشعبية[٥١]. ويمكن الحصول على دلائل عن التاريخ القديم (أو ما قبل التاريخ) لأي مجتمع بواسطة دراسة طريقة استخدامه للغة، إذ

٥١– Fiona Archer عالم نباتات في منطقة Richtersveld شمال شرق جنوب إفريقيا إذ ما تزال لغات الخواز khoisan مستخدمة، وقد حدد هذا العالم أسماء ١٢٠ من النباتات يستخدمها المعالجون الشعبيون في الصحة العامة مثل المنشطات وحماية الجلد ما تزال أسماؤها مستخدمة بلغة الخواز . و ذُكرت عند Koch and Maslamoney (1997: 29).

يمكن الاكتفاء بإجراء مقارنة بين المفردات التي يستخدمها للكشف عن حقيقة سلوك القدماء. وباستطاعة علماء الآثار التوصل إلى ما يؤيد هذه الدلائل. كما أنه تم التوصل إلى أن العلاقات الجينية بين اللغات يمكن أن تكشف عن التحركات والتجمعات الأولى للشعوب(٥٢).

يستطيع العلم والفن العالمي الاستفادة من أشكال الفنون التي استخدمتها المجتمعات الفطرية والسكان الأصليون مصادر إلهام للرسامين، والنحاتين، والصناع، وفناني الديكور الغربيين. ويمكن أن تلعب اللغة دوراً رئيساً في تذوق جميع أشكال الفنون التي تمثل التراث الشعبي لهذه المجتمعات. إذ إنّ هذا التراث يحتاج إلى التوسع في الاستخدام الشفهي من أجل فهمه. هناك مثال واضح تقدمه لنا أحلام سكان أستراليا الأصليين(٥٣). وعند الحديث عن استخدام الفنون الشفهية التي تشمل أشكالاً متعددة من الأجناس الأدبية مثل الشعر، والتراث الشعبي، ولحن الأطفال، والخطابة، والغناء، والأناشيد، يكون التركيز على الصيغ اللغوية نفسها. إنّ واحدة من نجاحات اللسانيات العرقية* جلبت الانتباه إلى الطرق المتميزة التي تستطيع اللغات المختلفة استخدامها لصياغة وحبك نماذج تتعلق بالأصوات، والقواعد،

٥٢– تم توضيح العلاقة بين التفكير اللغوي الوراثي وعلم الآثار في (Adelaar (1998: 3.

٥٣– الجمع بين الشكل الفني والتعليق اللغوي قُدم بصورة جيدة في (Ebes and Hollow (1992.

*** فرع من اللسانيات يدرس العلاقة بين اللغة وأساليب حياة المجتمعات غير اللغوية. (المترجم).**

والمفردات، والمصطلحات، والصيغ البلاغية من واقع أنها جزء من تقاليد خطابها الفني[٥٤]. إنّ أي إنسان يستمتع بتكرار الأصوات (تناوب الأصوات والسجع والتناغم) في الشعر الغربي، سيتذوق استخدام هذه المزايا في اللغات الفطرية. إنّ الذين يسعون للتغلب على الفروق بين الأجناس الأدبية الشفهية سواء أكانوا منتجين لها أم مستمعين (خطب ما بعد حفلات الطعام، وكلمات الشكر، وخُطب الجنائز، والترحيب بالمستمعين، والإلقاء في الحفلات) يعلمون صعوبة السيطرة على الأساليب اللغوية المطلوبة لاستخدام لغة مؤثرة مختارة. لذلك فإن هذه الخبرة تفيد الإنسان في معرفة التنوع الخطابي والتعقيدات التقنية وقوة التواصل التي يظهرها المتحدثون المجيدون للغات الفطرية الأصلية.

إنّ إمكانية الاكتشاف عن طريق اللغة ما زال مُعتبراً. ويجب ألا ننسى أنه على الرغم من الأخطار التي تواجهها الشعوب الناطقة باللغات الأصلية الفطرية، إلا أنهم ما زالوا مسؤولين عن خُمس سطح الكرة الأرضية. يتضح ذلك عند داريل بوزي Darrell Posey: "إنّ هؤلاء هم مضيفون لبعض أغنى مناطق حياتية وبيئية في العالم" [٥٥]. ومما لا شك فيه أنه سيكون هناك بعض اللحظات الدرامية خلال عمليات التحقيق اللغوي التي تجري حالياً، إذ سيظهر فقط بضع آلاف من الاحتمالات، لاسيما أنّ عدداً كبيراً من هذه اللغات تنتمي إلى

٥٤– مجموعة كبيرة من الأنواع الأدبية قُدمت في Bauman and Sherzer (1974) وانظر كذلك الأمثلة في Crystal (1997a: 49. 60).

٥٥– Posey (1997: 8).

عائلات لغوية لها علاقة بعضها مع بعض (وهذا يظهر الصفات المشتركة الكثيرة بين هذه اللغات) ولكن ليس بالضرورة أن تكشف جميع هذه التحقيقات والأبحاث اللغوية عن ملامح لغوية جديدة. ولكن من حيث المبدأ فإنّ كل لغة تعطي لمحة جديدة عن كيفية عمل العقل البشري، وكيفية تعبيره عن نفسه باستخدام نماذج لغوية: "تحتوي اللغة على الثروة العقلية للناطقين بها" (٥٦).

إنّ هذه العبارة تسمح لنا بالعودة إلى وجهة النظر المطروحة بداية هذا الجزء، إذ كان التركيز على كل اللغات وليس على اللغات الأقل شهرة (طبقاً للتفكير الغربي) والتي سُميت باللغات المحلية الأصلية "indigenous". يتطلب سياق هذا الكتاب تركيزاً خاصاً على تلك اللغات المعرضة لخطر الانقراض، ولكن يتطلب هذا الجزء بالذات أن نتبنى وجهة نظر عالمية، لأننا نتحدث عن كل اللغات، الإنجليزية والفرنسية بجانب الكونونجكو Kunwinjku ومبارنتو أريرنتي Mparntwe Arrernte. ويشمل حديثنا كذلك كل لهجة لأيّ لغة نتحدث عنها. وعندما يتعلق الأمر بقدرات وإمكانات الملكة اللغوية مصدراً لنقل المعرفة والتبصر والحكمة؛ فإنّ التسميات التقليدية، مثل: اللغة، اللهجة، واللهجات المبسطة Creole واللهجات الهجينة Pidgin أو أيّ لغة خاصة مميزة لجماعة معينة، أو أهل صنعة معينة مثل (Patois–Verna cular–koiné–lingo)، لم تعد ذات علاقة، لأنّ أي نظام لغوي، سواء

٥٦– Hale (1992b: 36).

أكان ينظر له من المجتمع على أنه ذا مقام عالٍ أم متواضع، متعلم أم جاهل، جميل أم بشع، هذا النظام قادر على أن ينقل لنا أشياء لم نكن نعلمها من قبل. لقد علّق على أهمية معرفة لغات أخرى، أو على الأقل ترجمات تلك اللغات، كُتّاب مرموقون في القرن العشرين مثل إليوت Eliot الذي قال(٥٧):

> **إذا استطعنا أن نتذوق أعمال الفنانين الأجانب الذين يعيشون معنا في هذا العالم، ويعبّرون عن آرائهم في لغة عظيمة أخرى فإنّ هذا سيساعدنا بشكل كبير على التذوق الموضوعي.**

إنّ كلمة "عظيمة" غير ضرورية، لوجود مؤلفين في كل لغة يعبرون عن وجهة نظرهم. كما رأينا (وربما يمكن الإبقاء على هذه الكلمة طالما أنه يمكن أن نفهم منها أنّ كل اللغات عظيمة). وأورد روديارد كبلنق Rudyard Kipling تعقيباً مشابهاً (٥٨):

> **إنّ السبب الذي يدفع الإنسان للإعراب والتفسير والدراسة في أيّ لغة انقرضت والتي تستخدم للتعبير عن أفكار معينة ليس من أجل ما يسمى بالترف الذهني، الذي يمكن تحقيقه بطرق أخرى، ولكن لأنّه لا يمكن التعبير عن تلك الأفكار بطريقة مثالية مطلقة كما تعبّر عنها هذه اللغة المنقرضة.**

٥٧- Eliot (1942/1953 : 234) .

٥٨- Kipling (1912/1928: 85).

وبغض النظر عما تعنيه كلمة "مثالية"، فإنّ ذلك ينطبق على كل اللغات، وليس فقط على اللغات القديمة التي انقرضت. ولكن جوهر هذه الملاحظات يلفت النظر إلى أنّ خصوصية كل لغة تتناغم بشكل كبير مع وجهة نظري. كما في تعليق إيزرا باوند Ezra Pound المماثل[٥٩]:

> **لا توجد أي لغة بمفردها تحوي خلاصة الحكمة البشرية، ولاتوجد لغة بعينها تستطيع أن تُعبّر عن كل أشكال و إمكانات الاستيعاب البشري.**

لذا؛ فإنّ إحدى الطرق التي يمكن من خلالها زيادة مخزوننا من الحكمة البشرية هو تعلم لغات جديدة، والتعلم أكثر عن هذه اللغات. ومن إحدى الطرق التي يمكن أن نضمن من خلالها توفير هذه الخلاصة للحكمة البشرية– إن لم يكن لأنفسنا فللأجيال القادمة– هو أن نبذل كل ما في وسعنا للمحافظة على هذه اللغات الآن، في وقت يبدو أنّ معظمها في خطر. وقد عولجت هذه القضية في الفصل الرابع. ولكن في الوقت الحاضر فإنني أؤكد ببساطة أنه ومع انقراض كل لغة، سيخسر الفلاسفة، والعلماء، وعلماء الإنسان والفلكلور الشعبي والمؤرخون، وعلماء النفس، واللسانيون، والكتاب، مصدراً آخر غنياً بالمعلومات.لم تُستخدم كلمة "نفيس" عبثاً في جميع هذه المصادر البالغة أكثر من ستة آلآف، ولا كلمة "مأساة" كما في قول أحد اللسانيين في أمريكا، كِن هيل Ken Hale[٦٠]:

٥٩– Pound (1960: ch. 1).

٦٠– Hale (1992b: 36).

> هنالك مأساة معينة تواجهها البشرية في هذا المقام [وهي تجسيد الثروة الفكرية في اللغة]. فإنّ فقدان اللغات المحلية والمنظومة الثقافية التي تعبر عنها هذه اللغات يعني فقدان ثروة فكرية متنوعة ممتعة لا يمكن استرجاعها، وهي إنتاج فكري بشري لايقدّر بثمن.

كما رأينا فإنّ التنوع ناتج عن قدرة البشرية على التطور، ويجب المحافظة على هذا التنوع من واقع أنه هدف بذاته؛ لأنه يمكن أن يكون سبباً في نماء "بيوت وجود" جديدة[٦١]. بالإضافة إلى ذلك، فكما رأينا في المواجهات الغربية للتراث الفني للثقافات الأخرى، والتي أدت إلى ظهور حركات واتجاهات وأنماط جديدة في حياة الأفراد، فإنّ التعددية تلِد تعددية. وكما يُذّكرنا جورج ستينر George Steiner[٦٢]:

> أليس من واجب الناقد أن ينفع نفسه بلغة أخرى بقدر منقوص على الأقل، إذا اقتصرت خبرته على خطوط حدود لغته الأم.

وسأوضح ماهية بعض من هذه الخطوط في الجزء الأخير من هذا الفصل.

لأنّ اللغات في حد ذاتها ممتعة

هذه إجابتي الخامسة والأخيرة عن السؤال: "لماذا يجب أن نهتم بموت اللغة؟ "إذا وجدت كلمة "ممتعة" ضعيفة جداً في ضوء الأسباب الأربعة الأخرى التي سبق ذكرها، فضع عوضاً

٦١– الاستعارة لـ Heidegger: "اللغة بيت الوجود" . للمزيد انظر "رسالة عن الإنسانية" (١٩٤٧م) نوقشت في Heidegger (1971: 135).

٦٢– "F. R. Leavis", Steiner (1967: 264).

عنها الكلمات "ساحرة" أو "مفيدة" أو "مهمة" أو أي من الصفات التي تتسم بقوة أكبر. لكن في هذا الجزء، أريد أن أتجنب القضايا التي تتعلق بالمصادر العالمية، والهوية السياسية الاجتماعية، والعلاقات الشخصية، وأي قضايا أخرى مماثلة في هذه اللحظة، وسأركز فقط على اللغة، كونها موضوع اللسانيات، وهي أحد فروع المعرفة الإنسانية القائمة بذاتها.

تهدف اللسانيات إلى التعريف بطبيعة ملكة اللغة عند الإنسان بشمولية ووضوح. فما هو مدى الإمكانيات التي يسمح بها الدماغ البشري، عندما يتعلق الأمر بتركيب اللغات؟ للإجابة عن هذا السؤال، نحن في حاجة إلى الحصول على أدلة من أكبر عدد ممكن من اللغات، وأن نرجع قدر المستطاع إلى التاريخ (وما قبل التاريخ).

من المعروف أنّ كل لغة تحتوي على مجموعة من الأصوات، والقواعد، والمفردات لتكوين نظام اتصال غير مسبوق يمثل نظرة معينة على الرغم من احتوائه على مبادئ عالمية معينة من التنظيم والتركيب اللغوي[٦٣]. فكلما درسنا لغات أكثر، نحصل على صورة أكمل للخيارات اللغوية عند الإنسان. إنّ اللغات التي لم يتم التطرق لها هي على قدر من الأهمية؛ لأنّ عزلها يعني أنها يمكن أن تكون قد طورت خصائص ليست موجودة في اللغات الأخرى[٦٤]. وموت أيّ لغة هو التهديد الرئيس لتحقيق هذا الهدف، لأنه مع موت كل لغة يختفي مصدر ثمين من مصادر المعلومات.

٦٣– كانت روح بنيامين لي وورف Benjamin Lee Whorf وإدوارد سابير Edward Sapir حاضرة في معظم هذا الفصل. وفرضية سابير وورف جمعت بين مبدأين هما: التحديد اللغوي (لغتنا تحدد طريقة تفكيرنا) والنسبية اللغوية (الفروق الموجودة في لغة ما غير موجودة في لغة أخرى). لا شيء في هذا الكتاب يتطلب منا قبول الشكل التحديدي من هذه الفرضية؛ إذ إن في الإمكان فهم طريقة تفكير ناطقي اللغات الأخرى من خلال الترجمة، والفقرات ثنائية اللغة وغير ذلك من الأساليب لاستيعاب طريقة تفكير متحدثي اللغات الأخرى على الأقل. الأمثلة في الصفحة ١٠٥ ومايليها تختلف عن اللغة الإنكليزية لكن بالرغم ذلك فهي مفهومة. وفيما يتعلق بمبدأ النسبية اللغوية، يتم تعرف الاختلافات بين اللغات ولكن هذه الاختلافات غير مستعصية على الحل. لرؤية وجهة نظر وورف الأساسية، انظر (1956) Carroll وبشكل خاص بحث وورف المسمى "العلوم واللسانيات". لمزيد من المناقشة انظر (1996) Gumperz and levinson.

٦٤– كيفية الاختلاف اللغوي في أجزاء مختلفة من العالم تنسى دائماً. وأوربا هي ليست مكاناً تقليدياً لذلك. اللغات الهندوأوربية بتجمعاتها المعروفة مثل الألمانية، السلتك، الرومانسية، السلافية، ليست إلا بضع عشرات من العائلات. لكن في المقابل يوجد أكثر من خمسين مجموعة في أمريكا الشمالية، بعضها يتألف من عدة لغات وبعضها يتألف فقط من لغة واحدة وبعضها يتألف من لغتين كما هو الحال في أميركا الجنوبية. هذه اللغات تختلف عن بعضها، كما تختلف الإنجليزية عن الويلزية والفرنسية والروسية إن لم يكن الاختلاف أكبر.

إنّ هذه النقطة عادةً ما تكون مصدراً للعجب لأولئك الذين لم يقوموا بإجراء بعض الدراسات اللغوية: فحقيقة أنّ المجتمعات الأصلية لديها لغات كاملة ومعقدة، تماماً كما في الإنجليزية أو الفرنسية، ليست معروفة، إذ يفترض الاعتقاد الغربي التقليدي العكس. الاستعمار المبكر للشعوب المقهورة طُبّق تلقائياً على لغاتهم، الأمر الذي يمكن وصفه بالبدائي أو شبه الحيواني. وتم تعزيز هذا من خلال البدائية المتصورة لثقافة أو تقنية مجتمع ما، بالمقارنة مع المقاييس الغربية؛ هناك اعتقاد، قد كان، وما زال يسود، بأنّ الثقافة البدائية تقنياً قد لا يكون لديها لغة غنية ومعقدة. وتؤكد ماريان ميثون Marianne Mithun، وهي متخصصة في اللغات الأصلية في أمريكا الشمالية، أنه[٦٥]:

> **لا توجد لغة في أميركا الشمالية قد فشلت في تقديم نموذج لغوي جميل ومعقد بشكل مذهل. وإنّ اكتشاف أحفاد المتحدثين لهذا الجمال يمكن أن يغني حياتهم بشكل أعمق، تماماً مثل ما يغني حياتهم اكتشافهم الموسيقى، أو الأدب، أو الفنون، إن لم يكن أكثر.**

٦٥–Mithun (1998: 189).

بالرغم من كثرة هذه التصريحات في علم الإنسان واللسانيات، فإنّ من الشائع، وبشكل مرعب، مواجهة الرأي السائد بين الناس الذين يتمتعون بمستوى تعليمي جيد، والذي يقول: إنّ اللغات البدائية غير متطورة، وتحوي مئات قليلة من المفردات فقط، أو لا تحوي كلمات مجردة على الإطلاق، أو أنّ هناك أناساً يتكلمون لغات بدائية جداً إلى درجة أنهم يلجأون لاستخدام الإشارات للتعبير عن حاجاتهم. ولسوء الحظ، فإنّ هذه العقلية راسخة بشكل كبير في الثقافة الغربيةإذ تُعد عائقاً خطيراً للتقدم في الحصول على دعم للغات المهددة بالخطر. وبعد هذا يستمر النقاش إذا كانت لغات السكان الأصليين بدائية، فلا يكاد يكون هناك أي خسارة. لذلك فإننا نحتاج لأن نجزم بشكل قاطع، عندما نجد الفرصة السانحة، بأن هذا الرأي هراء (انظر الهامش ٧ أعلاه). وهذا يعني تقديم الأمثلة للتوضيح.

يرتبط التوضيح بكل جانب من جوانب بناء اللغة: علم الأصوات، والقواعد، والمفردات، والخطاب. وسوف أقدم أمثلة مختصرة لكل جانب من هذه الجوانب مع ربطها باللغة الإنجليزية ما أمكن. أولاً، علم الأصوات. تختلف أنظمة الأصوات في لغات العالم بشكل كبير عن نظام الأصوات في الإنجليزية (والذي باعتماده على النبرة، يتكون من ٤٤ صوتاً صائتاً وصامتاً). إنّ إحدى خصائص لغة Ubykh (انظر صفحة ٢٤) التي أدهشت اللسانيين هي مخزونها الكبير من الأصوات الصوامت –٨٠ صوتاً صامتاً– وهذا أكثر بثلاث مرات من أصوات الإنجليزية "الفصحى"، التي تحتوي فقط على ٢٤ صوتاً. تكفي هذه الحقيقة العددية وحدها لتفنيد الأسطورة التي تقول بأنّ لغات السكان الأصليين ذوات تركيب بدائي. لكن ومن وجهة نظر لسانية، يمكن إجراء مقارنات عديدة ممتعة: فمن بين الـ ٢٤ صوتاً الصوامت في الإنجليزية هناك توظيف كبير لاهتزاز الحبال الصوتية لمعرفة التباين بين (الأصوات المجهورة والمهموسة كما هو الحال في الأصوات الأولى من الكلمات ***fan*** مقابل ***van*** و ***pin*** مقابل ***bin***) كما توظف أيضاً الأصوات الاحتكاكية أكثر من أي نوع آخر من الأصوات لإظهار التباين كما هو الحال في الأصوات الاستهلالية في (***fat, vat, thin,*** ***this, see, zoo shoe, hat***) والصوت الأخير في (***beige***). وفي المقابل فإنّ اللغات الأسترالية الأصلية نادراً ما تستخدم التباين في اهتزاز الحبال الصوتية، كما أن غياب الأصوات

الاحتكاكية يبدو واضحاً[٦٦]. لقد كانت مفاجأة حقيقية عندما اكتُشفت لغات بدون أصوات احتكاكية.

هناك اكتشاف هام يرتبط بشكل خاص بعائلة لغوية في جنوب إفريقيا تدعى Khoisan وهي العائلة الوحيدة التي يظهر فيها أنظمة معقدة جداً من أصوات النقر (الصوت الذي يُسمَع في حروف اللغة الإنجليزية، في نطق *tut tut*). عندما اكتشف الأوروبيون هذه اللغات كانت أصوات النقر غريبة على أسماعهم إلى درجة أنها كانت مرفوضة وتشبه لغة الحيوانات، إذا ما قورنت بقرق الدجاج، وصوت الديك الرومي. لكن لا يوجد أي مجموعة من أصوات الحيوانات تشبه، حتى من بعيد، نظام التباينات الصوتية الموجودة على سبيل المثال في "!Xu" التي وجدت فيها إحدى الدراسات التحليلية ٤٨ صوت نقر مختلفة عن بعضها[٦٧]. النقطة التي يجب توضيحها هنا هي أنه إذا كانت هذه العائلة من اللغات قد ماتت قبل اكتشافها وتحليلها من اللسانيين؛ فإنه من غير الممكن أن يخطر على بال أحد أنه يمكن للكائن البشري أن يستخدم مثل هذه الخاصية الثانوية التي تتعلق بنطق مثل هذه الأصوات المعقدة.

٦٦- Yallop (1982: ch. 3).

٦٧- Maddieson (1984: 422) و أُعيد نشره في Crystal (1997a: 170). وإنّ إشارة التعجب تمثل إحدى هذه النقرات.

تختلف اللغات في كيفية استخدامها للقواعد بشكل واضح، وخصوصاً تلك الاختلافات التي تساعد على تفنيد أسطورة بدائية اللغة في اللغات الأصيلة. ويوجد الكثير من اللغات التي تعبّر عن نقاط التباين وتعرض نقاطاً من الاختلاف أكثر من تلك الموجودة في لغات مثل الانجليزية والفرنسية. ويمكن أن يشعر متحدثو الإنجليزية بوجود هذه التباينات عندما يجدون أنه من الضروري إضافة بعض الكلمات لتوضيح هذه النقطة، وإلا سنجد أنفسنا في خطر الالتباس.

يوجد هنالك بعض الاحتمالات في نظام الضمائر الشخصية في اللغة الانجليزية، لإظهار الفروقات التالية:

ضمير المفرد للمتكلم	*I*	ضمير الجمع للمتكلمين	*we*
ضمير المفرد للمخاطب	*you*	ضمير الجمع للمخاطبين	*you*
ضمير المفرد للغائب	*he / she / it*	ضمير الجمع للغائب	*they*

من السهل أن نرى أن هناك تباينات محتملة عديدة لا يمكن أن يعبر عنها هذا النظام، وأنّ هنالك التباسات عديدة يمكن أن تظهر، بل تظهر فعلاً. فإذا استخدمتُ ضمير المخاطب *you* عند التحدث لمجموعة من الناس؛ قد لا يبدو واضحاً فيما إذا كنت أقصد "المخاطب المفرد" أو "المخاطب المثنى" أو "المخاطب الجمع". وكذا إذا ما استخدمت ضمير الجمع *we* لمجموعة من الناس فقد لا يكون واضحاً فيما إذا كنتُ أقصد "اثنين منّا" أو "مجموعة منّا" أو "جميعنا". بالإضافة إلى هذا، هناك مشكلات في تبني هذا النظام للتعامل مع التغيّر اللساني

الاجتماعي: يوجد لدينا ضمير الجمع الغائب المحايد الجنس، ولكن ليس هناك نظير له للمفرد، لذلك ففي هذه الأيام التي تشهد الدعوة إلى المساواة يواجهنا بشكل متواصل شذوذ بعض التراكيب مثل *he and she* أو *she and he* واختراعات ضمير جنس محايد قائمة بشكل منتظم (٦٨).

توجد كل هذه الفروق "المفقودة"، بالإضافة إلى فروق أخرى في أنظمة الضمائر في لغات العالم. وتمتلك كثير من اللغات ضمير مفرد غائب محايد الجنس، وهناك لغات أخرى لديها ضمائر المثنى *dual*، للتعبير عن "نحن الاثنان" أو "أنتما الاثنتان" أو "هما الاثنان"، وهناك لغات أخرى تسمح للمتحدثين بالتفريق بين ضمير المتكلم الشامل "أنا وأنت"، وضمير المتكلم الحصري "نحن الاثنان ليس أنت". بعض اللغات (مثل لغة Nunggubuyu في أستراليا) لديها ضمائر تميز ما بين "أنتما الاثنان" [للمذكر] و"أنتما الاثنتان" [للمؤنث] أو "نحن الاثنان" [للمذكر] و"نحن الاثنتان" [للمؤنث]. كما يوجد لدى بعض اللغات (مثل: أنيتيوم، فانواتو Aneityum Vanuatu)* ضمائر ثلاثية تسمح للمتحدث بالتفريق بين "نحن الاثنان" و"نحن الثلاثة" و"نحن الجميع"؛ وهناك بعض اللغات (مثل Cree في كندا) لديها

٦٨– عدد من هذه المقترحات سُرد في Crystal (1997a: 46).

*** فانواتو دولة تتكون من أرخبيل من الجزر، جنوب المحيط الهاديء، شمال شرق أستراليا، وأنيتيوم هي إحدى تلك الجزر، ويطلق اسم أنيتيوم على لغة تلك الجزيرة. (المترجم).**

ضمير لشخص رابع؛ فتسمح بالتمييز بين "هو" و"شخص آخر غيره" [٦٩]. أما اللغة الإنجليزية المبسطة، Tok Pisin (في غينيا الجديدة) فتوظف نظام ستة مصطلحات على النحو الآتي:

mi	I	*yumi*	نحن (أنا وأنت شاملة)
yu	you	*mipela*	نحن (حصرية لكن بدون أنت)
em	he she it	*ol*	هم

لكن يمكن توسيع هذا النظام لإنتاج أنماط مثل:

mitupela	كلانا اثنان (لكن من دونك)
mitripela	ثلاثتنا (لكن من دونك)
yumitripela	ثلاثتنا (معك)
yutupela	كلاكما
emtripela	ثلاثتهم
yumifoapela	أربعتنا (معك)

في أقل الأحوال تشمل أنظمة الضمائر تلازماً مألوفاً في لغة مثل الإنجليزية. لكن تكشف لنا اللغات الأصلية الفطرية عن العديد من خصائص قواعدية ليس لها نظير في اللغات الغربية المعروفة. فإذا أردتُ القول في الإنجليزية: "وقع الكتاب على الأرض" فلا يوجد شيء في الجملة لإخبار المستمع عما إذا رأيتُ هذا الحدث بنفسي، أو إذا ما كانت الجملة تخبر عما سمعته عن هذا الحدث من شخص آخر. يُرمز إلى هذا الفرق في بعض اللغات ضمن الفعل،

٦٩– وُصفت عدة أنظمة للضمائر عند بلومفيلد Bloomfield (1933: 252 ff.). لضمائر السكان الأستراليين الأصليين انظر Yallop (1982: 73 ff.). ولنظام لغة توك بيسين Tok Pisin في Todd (1984: 192 ff.).

لذلك يجب على المتكلم الاختيار بين الصيغ التي تخبر عما إذا كان الشخص شاهد عيان أم لا. وبما أنّ اللغة تعبّر عن نوع الدلالة المعنية، فإنّ هذا النظام القواعدي يسمى "الاستدلالية" *evedentiality* (٧٠). فعلى سبيل المثال، في Ngiyambaa (في أستراليا) يمكن تمييز الجملتين التاليتين:

ngindu gara garambiyi	**ngindu dhan garambiyi**
يستطيع المرء أن يرى أنك كنت مريضاً	**قد قيـــل: إنك كنت مريضـــاً**

التركيب الأول يعبر عن معنى حسي؛ بينما الآخر يمثل معنى لغوياً منقولاً. وهناك نظام من خمسة معان في Tuyuca (البرازيل وكلومبيا):

مرئي: ***díiga apé–wi***
"رأيته يلعب كرة القدم"

غير مرئي: ***díiga apé–ti***
"سمعته وسمعت اللعبة، لكنني لم أرها أو لم أره"

واضح: ***díiga apé–yi***
"لقد وجدت دليلاً على أنه لعب كرة القدم–مثل
ملابسه في غرفة تبديل الملابس – لكني لم أره يلعب"

مصدر ثانوي: ***díiga apé–yigi***
"حصلت على معلومات من شخص ما أنه لعب كرة القدم"

مفترض: ***díiga apé–hiyi***
"من المعقول افتراض أنه لعب كرة القدم"

٧٠– لأمثلةٍ أخرى عن الاختلافات القواعدية، انظر (Dixon (1998: 117–27. وهناك مناقشة لغوية عامة عن الاستدلالية في (Palmer (1986: 66 ff.. وهناك أيضاً مجموعةكبيرة من التوضيحات من لغات مختلفة عند (1986) Chafe and Nichols.

ولموضوع تويوكا Tuyca الأصلي انظر (1984) Barnes.

إنّ الترجمة الأساسية لكل من هاتين الجملتين واحدة وهي: "إنه لعب كرة القدم". ولكن كل جملة من هذه الجمل تعطي بعداً إضافياً للمعنى، بالإضافة إلى المعنى الأساسي. ويجب فهم نقطة مهمة، هي أنه ليس من الممكن تكوين جملة بدون التعبير عن واحدة أو غيرها من هذه الإضافات. وعليه، فإنّ علينا أنّ نجيب دائماً عن سؤال متخيّل: "ما الدليل الذي بنيت عليه جملتك؟".

أنظمة الاستدلالية تجعل بعضاً يتعود عليها؛ لأن طريقتهم في التعبير عن الحقيقة تختلف كثيراً عن تلك الطريقة التي يسلكها متحدثو اللغة الإنجليزية (من بين عدة لغات أخرى) في نظرتهم للعالم.

لاحظ ديكسون Dixon هذه النقطة وعبر عنها قائلاً[٧١]:

> **أليس من الروعة أن يكون هناك إلزامية في تحديد الدلالة في اللغة الانجليزية؟ فكّر كم يمكن أن تكون مهنة رجل الأمن أسهل. وكيف يمكن أن تجعل السياسيين أكثر صدقاً عند الحديث عن واقع الميزانية الوطنية.**

٧١- Dixon (1998: 120).

لماذا يجب أن تتطور هذه الدلائل في لغة واحدة أو مجموعة من اللغات دون غيرها؟ إنّ هذا سؤال جذاب بالطبع، بالرغم من عدم القدرة على الإجابة عنه حالياً. لكن النقطة الرئيسة، في هذا الكتاب، هي معرفة التحدي الذي طرحه أمام طريقة تفكيرنا. من المحتمل أنّ قلة منا، إذا لم يكن لديها خلفية عن اللسانيات (أو إذا لم تتعلم واحدة من اللغات التي تظهر هذا العلم بالطبع)، قد واجهت نظام ظهور الدلالة من قبل. بناءً على ذلك، فإنّ هذا النظام، بدون شك، يضيف بُعداً جديداً لمفهومنا عن كيفية عمل الفعل في الجمل التي يستخدمها الانسان. ونتيجة لذلك، أصبح لدينا تصور أكمل من ذي قبل عن اللغة. ونستطيع الآن أن نبعد عن عقولنا الفكرة القائلة بأننا يمكن ألا نكون قد علمنا عن هذه الطريقة في تنظيم معاني الجمل؛ لأن اللغات يمكن أن تكون قد ماتت قبل أن نتمكن من دراستها. لذا فقد تم الانتهاء من هذه المهمة. أما الفكرة الأخرى التي أتت تتسلل عائدة إلى عقولنا وهي: ما هي الاكتشافات الأخرى المشابهة التي لا يمكن الوصول إليها، لأن اللغات التي يمكن أن تظهرها ستكون ميتة قبل أن تتاح الفرصة لتسجيلها؟

المفردات هي المجال الثالث الذي يحتاج إلى الشرح عند توضيح أنواع التفكير المختلفة المتعلقة بالدراسات اللسانية المقارنة. تتعلق معظم الأمثلة هنا بمقارنة الكلمات التي تتيحها اللغة للحديث عن مجال معين من مجالات الخبرة[٧٢]. الفرضية المطروحة هنا أنه إذا كانت اللغة تحتوي على كلمة تستطيع بها التعبير مباشرة عن شيء معين (دون استخدام الإطناب مهما يكن نوعه)، فإن هذا يعني أن هذا الشيء موجود وهو جزء من هذه الثقافة. إنّ الفروق التي تظهر في استخدام هذه الكلمات تعبر عن مفاهيم واحتياجات ثقافية مهمة. إنّ بعضاً من هذه الاختلافات واضحة تماماً وعادية: فعلى سبيل المثال، ليس مدهشاً عندما نلاحظ أنّ اللغات الأوروبية تحوي كلمات كثيرة تتعلق بأنواع السيارات، بينما لا وجود لمثل هذه الظاهرة في اللغات البرازيلية في الغابات المطيرة. ويجب أيضاً أن نميز بين الحقيقة والخيال: إذ إنّ العدد الخيالي للكلمات التي تعبر عن "الثلج" في لغات الإسكيمو يصب في

٧٢- ولرؤية مفهوم المعاني الجذرية المعجمية من الناحية الفنية انظر (Crystal (1997a: 104 ff.. ومن المهم أن نقدّر أنّ الوحدات الدلالية للغة لا تتوافق دائماً مع طريقة الكلام بكلمات منفصلة أو تمثلها كتابةً. *Flowerpot* هي وحدة لغوية دلالية بغض النظر عن طريقة كتابتها سواء كانت اسماً مركباً أو كانت اسماً من كلمة واحدة. كذلك switch on على الرغم من انها تتألف من كلمتين "فعل مركب" وكذلك مشتقات كلمة take "يأخذ" takes. taking. taken, took كلها أشكال لوحدة دلالية واحدة. هذه النقطة لها أهمية خاصة عند الحديث عن أنّ اللغة "س" تمتلك مئات الكلمات وهذه المئات قد تكون نتيجة للعديد من اللواحق في نهاية بعض الكلمات. وهذا هو أحد المفاهيم الخاطئة وراء أسطورة "كلمات للثلج في الأسكيمو ". انظر هامش رقم ٧٣.

هذا التصنيف[٧٣]. ولكن الأكثر دهشة عندما تشترك ثقافات مختلفة جداً في مفاهيم مشتركة مثل مفهوم صلات القرابة.

٧٣- كان هناك فضول مبكر لعلم الإنسان عما إذا كانت لغات Inuit (الإسكيمو) تمتلك مفردة تشمل كل أنواع الثلوج وعليه كانت هناك مدة من التكهنات عن عدد الكلمات الدالة على أنواع الثلوج، وتتراوح هذه الكلمات بين العشرات والمئات. وهذا السؤال لايمكن الإجابة عنه ببساطة؛ إذ يعتمد على أيّ الكلمات تنتمي فعلاً إلى حقل الثلج، وفيما إذا كانت كلمات مركبة أم لا. بالإضافة إلى اختلاف في اللهجات واعتبارات أخرى. وقد قام أنتونيو ودبيري Woodbury Anthony من جانبه بتعريف عدةكلمات في لغة الإسكيمو تشير إلى خمسة أشكال من جزيئات الثلج، وخمسة أنواع من الثلوج المتساقطة، وثلاثة أنواع من تشكيلات الثلوج، ونوعين من ظروف طقس الثلج. هذه مجموعة عددها ١٥ رائعة فعلاً. وإذا نظرنا إلى قائمة الكلمات في اللغة الإنجليزية *فهي: sleet* "مطر متجمد" *slush* "ثلج ذائب" *snow* "ثلج" *flurry*"تساقط ثلج شديد" *dusting* "غبار" *powder*"مسحوق" *avalanche* "انهيار ثلجي" *blizzard* "عاصفة ثلجية" drift "انجراف" *snowflake* "ندفة ثلج" *snowstorm* "عاصفة ثلجية" *snowdrift* "انجراف الثلج" *snowman* "ثلج على هيئة رجل" *snowball* "كرة الثلج" *snowbank* "ثلجي" *snowbound* "محاط بالثلج" *snowcap* "قمة ثلجية" *snowfield* "حقل الثلج" *snowpack* "كثافة الثلج" *snowscape* "منظر الثلج" *snowslip* "زلة الثلج" ..... ويمكننا أن نستمر. لمزيد من المناقشات انظر Martin (1986) Pullum (1991).

تحتوي المصطلحات المتعلقة بصلة القرابة على كلمات مثل "أم"، و"أب"، و"عم (خال) "، و"عمة (خالة)"، و"ابن"، و"بنت"، و"ابن (ابنة) عم". تظهر اللغات الأوروبية بعض الاختلافات، على سبيل المثال، تظهر الفرنسية الاختلاف بين أبناء العم الذكور والإناث (*cousin / cousine*). أما في اللغة الإنجليزية فإنه من غير الممكن معرفة جنس ابن العم من خلال سماع الكلمة المتعلقة بها فقط. إذ إنه ليس للغة الإنجليزية مفردات كثيرة للتعبير عن صلة القرابة. لذا فإننا نلجأ إلى الإطناب عند الحديث عن هذه الصلات مثل: خال من جهة الأم "uncle on mother's side". لأنه لا يوجد هناك كلمة بعينها للتعبير عن الفوارق مثل "أخ الأم" و"أخ الأب" أو "أخت الأم" أو "أخت الأب". كما أنه لا يمكن تمييز الإخوة والأخوات الأكبر والأصغر: فإذا كان لديك "أخ أكبر" واحد فإنه لا يوجد صعوبة في وصفه، ولكن إذا كان لديك أكثر من أخ فإنه ليس من السهل دائماً أن تفرق بينهما: "هذا ثاني أصغر إخوتي الأربعة الصغار". ومن الصعوبة بمكان الإشارة إلى"أب زوجة الأخ" بطريقة بسيطة. ولكن عندما يصل الأمر إلى حد ابن العم "الثاني" مقارنة مع الثالث أو إلى علاقات أبعد من ذلك، يتوقف الناس عن السؤال عن ذلك لصعوبة فهمه. أما علاقات القرابة الناتجة عن الزواج القانوني"in law" فهي أكثر صعوبة. هل عم الزوج أو عم الزوجة 'الأب في القانون' هو "العم في القانون"؟ وهل يُعد "عما" في كل الأحوال؟ في المقابل، نجد أنّ كثيراً من اللغات الفطرية الأصلية لديها مئات من المفردات لتحديد

العلاقات العائلية في ثقافة متكلميها، وتتعامل مع هذه العلاقات بسهولة طالما تم استيعاب تلك المصطلحات. تأخذ هذه الكلمات بعين الاعتبار الاختلافات الرئيسة في الدور الاجتماعي للأقارب– مثلا: الشخص الذي سيربي الأطفال بعد وفاة أحد الوالدين، ومن يعتبر قريباً حميماً ومن لا يعتبر كذلك. تحدد هذه الكلمات الأدوار التي تؤديها مجموعتا الأقارب الناتجة عن الزواج القانوني، وحدود العائلة الممتدة. وتؤثر في هذا عوامل مختلفة– الجنس، والعمر، والدم، والزواج، والجيل، والعشيرة (العلاقة التي يوصف فيها الناس بأنهم أهل إذا كانوا ينتمون إلى مجموعة في قبيلة). لذا تعد صلة القرابة مثالاً جيداً لتوضيح كيفية اختلاف اللغات في الطريقة التي تتعامل بها في مجال من مجالات الحياة الانسانية. إن هذه العلاقات الأحيائية نفسها مشتركة في كل مكان، ولكن يتم التعامل معها بطرق مختلفة بسبب تأثير العوامل الثقافية. توضح العديد من لغات الهنود الحمر والأستراليين الأصليين، بشكل كبير، أنظمة معقدة من القرابة؛ ونتيجة لذلك فقد حازت قدراً كبيراً من الاهتمام في اللسانيات.

يعد ترتيب المواليد حسب الولادة أمراً مهماً: فهناك كلمات تستخدم للتمييز بين الإخوة والأخوات حسب السن، وحسب الولادة، وبهذا يمكن تجنب الالتباس، ويمكن التفريق بين "الأكبر" و"الأصغر". قد يكون هناك مجموعة كاملة من الكلمات التي تستخدم للتعبير عن قرابة الزوج. إذ إنه يمكن استخدام كلمة "أب" للتعبير عن إخوة الأب أو حتى

أبناء العم، وبعبارة أخرى، فهي تعبر عن مجموعة الرجال المتساوين في المسؤولية والمركز الاجتماعي. كذلك يمكن أن يسمى أبناؤهم "إخوة" و"أخوات". كما يمكن أن يكون هناك تأثيرات دورية متتالية، إذ تطلق الكلمة نفسها على "أب الأب" و"ابن الابن"– فعلى سبيل المثال في Pitjantjatjara كلمة *tjamu* قد تعني "الحفيد" و "الجد" في الوقت نفسه. لا يوجد لأيّ لغة ما للغة الإنجليزية من استخدامات لا محدودة لكلمات مثل "great" و"great–great" وهكذا. يوجد في لغة بينتوب Pintup * كلمات للتعبير عن روابط متعددة من القرابة مثل "الأخوين" و "الأب وابنه". أما لغة أليوارا Alyawarra** فإنّ معظم الضمائر الشخصية المتعلقة بالمثنى والجمع في هذه اللغة لها ثلاثة أشكال مختلفة، اعتماداً على المجموعة القبلية التي ينتمي إليها المخاطبون. إنّ كلاً من النماذج الثلاثة التالية تعني "أنتم الاثنان"، ولكن يختلف المشار إليه في كل مرة:

تستخدم ***mpula*** لأفراد المجموعة الضيقة نفسها ضمن القبيلة(٧٤).

تستخدم ***mpulaka*** للأشخاص الذين ليسوا أعضاء في القبيلة الضيقة نفسها، ولكنهم من المجموعة الأوسع نفسها.

---

* من لغات السكان الأصليين غرب الإقليم الشمالي لأستراليا. (المترجم).

** من لغات السكان الأصليين للإقليم الشمالي لأستراليا. (المترجم).

٧٤– أنا أتجنب هنا استخدام مصطلحات الأنثروبولوجيا مثل: section "قسم" أو subsection "قسم فرعي" أو patrimoiety "النسب" لمزيد من الشرح عن اللغات الأسترالية انظر Yallop (1982: 152 ff.).

تستخدم ***mpulantha*** لأفراد قبيلتين رئيستين مختلفتين.

ويمكن أن تعبر اللغة أيضاً عن علاقات القرابة بطرق أخرى دون المفردات: قد تتغير أساليب الخطاب نتيجة للعلاقات المحظورة بعد الزواج أو بعد الموت. وقد تم مناقشة مثل ذلك في "لغات التجنب" الموجودة في أستراليا. إن من الشائع أن يتجنب الرجل ذكر كثير من أقارب زوجته – والدة زوجته وإخوتها مثلاً– وفي بعض الأحيان والد زوجته وأخواتها. التجنب يعني أشياء مختلفة، تتراوح بين التجنب أو الابتعاد الجسدي الكامل إلى استخدام لغة خاصة للمخاطبة. لقد لفتت الانتباه إلى الخيارات اللغوية دراسة ديكسون Dixon الكلاسيكية المستخدمة لإظهار التجنب في Dyirbal[٧٥]، حيث تدعى هناك لغة الحياة اليومية بـ Guwal، بينما تدعى اللغة التي تتعلق بأم الزوج بـ Dyalngy والتي تستخدم للتحدث مع الآخرين عندما يكون على مسمع من أحد أقارب العلاقات المحظورة. وغالباً ما تتعلق هذه الاختلافات تماماً بالمفردات؛ إذ إن Dyalngy لديها مفردات لا تتجاوز ربع حجم مفردات Guwal.

إنّ المفردات والقواعد والأصوات هي المحاور الرئيسة للبحث، عندما يحاول اللسانيون معرفة نطاق وتعقيد ومحددات الملكة للغة البشرية. وقد تم الأخذ في الاعتبار عوامل أخرى،

٧٥– Dixon (1972). لهجة دامن Damin مثالٌ لنموذج خطابي فريد في اللغات الأسترالية ويتعلمها المرء كجزء من بداية تعلم لاردل Lardil شمال ولاية كوينزلاند. ولغة دامن لها نظام صوتي مختلف تماماً عن لغة لاردل ولها عدد قليل جداً من المفردات مبنيّ وفقاً لكين هيل Ken Hale، بطريقة تمكّن من التعبير عن أي فكرة يتم تعلمها يوماً ما باستخدام نظام من الأسماء المجردة لعائلات من المفاهيم المتناسقة منطقياً. وقد توفي آخر من يتحدث لغة دامن بطلاقة منذ بضع سنين، انظر Hale (1998: 205 ff.).

مثل نماذج الخطاب، والاختيارات التداولية، وتنوع الأسلوب. وبالطبع فإن البحث يطرح في معظم الأحيان قضايا لها أبعاد غير لغوية: إذ تقودنا المفردات التي تعبر عن صلات القرابة إلى الأخذ بعين الاعتبار العلاقات الاجتماعية، كما أن الجمل الدلالية المختلفة تقودنا إلى كيفية نظرة المجتمع إلى الحقيقة. إن المهمة الأساسية للساني هي وصف طريقة عمل اللغات بدقة وشمولية بطريقة تُسّهل المقارنة بين اللغات. وفي النهاية، يجب أن يكون هدفنا واضحاً في تحديد جميع المتغيرات المعنية، كي نستطيع أن نجيب بكل ثقة عن السؤال: "ما هو الشكل الذي يمكن أن تتخذه لغة البشر؟" هذا السؤال يجعل اللسانيات النظرية أكثر تركيزاً وذات أساليب صياغة أفضل، كما أنها ستستخدم في العقود الحالية أفضل الأساليب للإجابة عن هذا السؤال. من الحكمة أن ندرك مدى بُعد إجابتنا عن الحقيقة في عالم تسوده لغة واحدة فقط. فإذا استمرت اللغات المهددة بالانقراض دون دراسة فإن رؤيتنا اللسانية ستضيق أكثر وأكثر، وستبتعد كل البعد عن تقديم إجابة شاملة.

إنّ التحدي العقلي لإنشاء القواعد ذات الصيغ المجردة القادرة على التعامل مع الفروقات والتشابهات المتعددة بين اللغات قد جذب بعضاً من أفضل العقول اللغوية، ولكن كان له تأثيره السلبي؛ إذ إنّ البحث في عالميات اللغة قد نتج عن توسّع مهم للقدرة على نقاط التشابه الخيالية أو الحقيقية بين اللغات، مع قليل من التركيز على الفروقات اللغوية. من الممكن الآن استمرار اللسانيات مهنة ناجحة دون وصف لغة، ناهيك عن لغة

مهددة بالانقراض. عندما عملت في قسم اللسانيات في جامعة ريدنج Reading بين عامي ١٩٦٠م و١٩٨٠م كان تدريب الطلاب تطبيقاً أساسياً على مجالات اللسانيات الأساسية يوظف اللغات المحكية لرواة كانوا يلتحقون بالجامعة لأسباب أخرى (كدراسة فصل في الزراعة). وكان من تعقيدات المقرر أنه من غير الممكن أن نخصص اكثر من ٢٠ إلى ٣٠ ساعة للغة، ولكن كان يمكن عمل الكثير في ذلك الوقت. فقد زود المقرر بحقائق تقرب العمل الوصفي الذي يتسم بالفوضى بصورة أكثر مما يتقبله مؤلفو النظريات. لا شيء من هذا يمكن أن يُقارن بكمية العرض المتوقع في مجال العمل الميداني في الخارج، لكنها كانت نقلة في الاتجاه الصحيح. وما يجلب الندم هو عدم إنجاز أعمال أخرى من هذا النوع.

هذه النقطة أوضحها ديكسون Dixon، الذي له باع طويل في هذا المجال أكثر من غيره. فقد اضطلع ويضطلع بتحليل لغة لم يسبق وصفها، وهذا من بين كل أنواع العمل اللساني بالنسبة إليه هو المهمة الأصعب في اللسانيات؛ لكنها الأكثر إمتاعاً وإرضاءً في العمل.

وقد أوضح هذا في فقرة تستحق أن تنقل كاملة[٧٦]:

٧٦– Dixon (1997: 134)، الاقتباسات في الأسفل هي من صفحة ١٣٧ و١٤٤. لوجهات نظرٍ مماثلة انظر Krauss (1998: 108–9) Grinevald (1998: 154–5). وهناك عدة حالات رُفضت لطلاب تقدموا بأبحاث عن اللغات المهددة بالانقراض إلى قسم اللسانيات بحجة أنّ مقترحاتهم ليست كافية من الناحية النظرية.

من الصعب التحدث عن التفاعلات التي تدور في ذهن الباحث عند البحث ميدانياً في لغة جديدة. أولاً، يجب أن يدرك الشخص المشكلات التحليلية المهمة التي يواجهها؛ إذ يمكن أن يخطر في ذهن الشخص خلال الليل عدة بدائل لحل المشكلات التي تواجهه. ويقوم الباحث بتدوينها عند حلول الصباح، بسلبياتها وإيجابياتها. ومن الممكن أن يقوم خلال النهار بتقويم البدائل من خلال التحقق مرة أخرى من النصوص التي كانت قد جُمِعَت سابقاً ومن خلال طرح أسئلة على المتحدثين الأصليين للغةتم صياغتها بعناية. قد يبدو للباحث أنّ أحد الحلول صحيح بشكل واضح، وأبسط من غيره ويفسر الظاهرة بشكل جلي. عندها يدرك الشخص أنّ الحل لهذه المشكلة يسلط الضوء على لغز معقد أقلقه لأسابيع، وهكذا.

لكنه أخيراً لفت النظر إلى المشكلة في كتابه:

إنّ العمل الأكثر أهمية في اللسانيات هذه الأيام – إنه العمل المهم الوحيد– هو الخروج للميدان ووصف اللغات. ولايزال المجال متاحاً لعمل ذلك... فإذا عمل كل طالب لسانيات (وكل عضو هيئة تدريس) هذه الأيام على لغة واحدة بحاجة إلى الدراسة؛ فإنّه سيكون هناك مستقبل مزدهر لتوثيق اللغات المهددة بالانقراض (قبل أن تتلاشى). ولكنني لست متأكداً مما إذا كان هنالك لساني واحد من بين عشرين يقوم بمثل هذا العمل.

إنّ تداعيات هذا الأمر خطيرة جداً، وسيتم التطرق لها في نهاية الفصل الخامس.

خاتمة

إني أعلم بوجود كثير من الناس على هذا الكوكب غير قادرين على التعايش مع فكرة الاختلاف، أو على تقبل الأشخاص بهويات مغايرة لهويتهم؛ ويتمثل ذلك إمّا برفضهم أو بمهاجمتهم، أو بظلمهم. تتزاحم الصحف على طرح أمثلة متعددة مليئة بمشاعر الحقد والكراهية الصادرة عمن يتكلمون باسم العنصرية والوطنية. وللأسف، لن تروق لهؤلاء

الأشخاص، الذين يفكرون في مثل هذه الطريقة تلك النقاشات المقدمة في هذا الفصل. وعلى النقيض من هذه الصورة، هناك العديد من الأفراد الذين يؤمنون بالمساواة بين البشر، ويدينون التمييز العنصري، ويظهرون مشاعر القلق إزاء التوجه العالمي نحو التوحد في إطار قياسي، ويهتمون بالقضايا البيئية، ويبتهجون بالتنوع الثقافي. يجدر القول: إن اهتمام هؤلاء الأشخاص بالآخرين ينبع من نقاط الاختلاف الموجودة في ثقافاتهم، ونقاط التشابه التي يتصفون بها. إنهم يعلمون بأن التقدم والتطور من أعماق تصورهم، عما يمكن أن تعنيه أن تكون إنسانياً، يتعزز عند الولوج إلى عالم مكون من أشخاص يفكرون ويتصرفون بشكل مختلف. وسوف يتقبلون دعوى هاملت *Hamlet: بأنّ "هناك أشياء أخرى موجودة في الجنة وعلى الأرض، يا هوراشيو Horatio، أكثر مما يمكن أن تحلم به في فلسفتك" (I.v. 166).

الأمر المحير هو جهل العديد من الأشخاص في العالم الذي ينتمي إليه هوراشيو، بالحقائق والحجج المحيطة بموت اللغة. بالنسبة إليهم هي بالفعل كثيرة و(لتوقع واحدة من الحجج الموجودة في الفصل الخامس) عدد منها يعني المال. وكما سنرى هناك العديد من الأمور التي يمكن إنجازها لتخفيف حدة الموقف ولكنها جميعاً مكلفة. فإن كانت التكاليف تسدد من الحكومة أو من جهة خاصة من إحدى الوكالات الخيرية، فإنّ الرسالة الضمنية ستكون نفسها، وهي: تغيير جذري واسع في الموقف الشعبي سيكون له أثر منشود سواء

* بطل مسرحية شكسبير المشهورة وهو يخاطب صديقة هوراشيو. (المترجم).

عن طريق الاقتراع أو عن طريق النقود. يريد الناس حقائق وبراهين للشروع في أي تغيير مماثل، وأيضاً إلى الاعتقاد الجاد بأنّ اللغة "هي الملكية الوحيدة ذات القيمة للجنس البشري" (٧٧). ومن هذا المنطلق، ظهرت الحاجة إلى كتب مثل هذا الكتاب ولعروض صحفية وإعلامية ولمنظمات كالتي تمت الإشارةإليها في الملحق. وفي الختام، كل ذلك متعلق بما نؤمن أنه أمر مهم في الحياة. كما اتضح عند أحد العاملين الميدانيين: "يمكن أن يتحول الكفاح للحفاظ على الثقافات الصغيرة ولغاتها إلى كفاح للمحافظة على الأشياء الأكثر قيمة والتي تجعل مِنا بشراً، قبل أن نتلاشى في الأرض المشبعة بالتاريخ" (٧٨).

٧٧- Hockett (1958: ch. 1, line 1).

٧٨- Crow (1997: 4).

٣ لماذا تموت اللغات؟

إذا أبدى الناس اهتماماً باللغات المهددة بالانقراض، فإنهم سيحتاجون إلى نوع من الفعل. ولكننا قبل أن نتمكن من أن نقرر ماذا نستطيع أن نفعل، أو ما يجب فعله، فنحن في حاجة إلى فهم واستيعاب الأسباب التي تؤدي، عادة، إلى الانقراض في المقام الأول. فلماذا إذاً يستمر موت اللغات، وبهذه الأعداد؟ وهل نسبة موت اللغات في ازدياد؟

اللغات دائما تموت. وبما أنّ الثقافات تزدهر وتسقط، فإنّ لغات هذه الثقافات قد تبرز وقد تتلاشى. ونشعر بهذا الأمر من خلال تتبع ظهور اللغات المكتوبة، إذ إننا نملك الآن سجلات (في أشكال مختلفة – نقوش، ألواح طينية، وثائق) لعشرات من اللغات المنقرضة من العهود التقليدية: البيثينية Bithynian، قليقيا Cilician، البيسيدية Pisidian، الفريجية Phrygian، البافلاغونية paphlagonian الإيتروسكانية Etruscan، السومرية Sumerian، العيلامية Elamite، الحثية Hittite.*... ونعرف عما

---

* اللغات: البيثينية، قليقيا، البيسيدية، الفريجية، البافلاغونية هي لغات بائدة لحضارات قديمة عاشت في آسيا الصغرى، تركيا اليوم. أما اللغة الإتروسكانية فقد عاشت في إيطاليا القديمة. واللغة السومرية عاشت جنوب بلاد الرافدين. واللغة العيلامية عاشت في إيران. واللغة الحثية عاشت في تركيا وشمال سوريا. انظر فهرس اللهجات واللغات والعائلات اللغوية والمجموعات العرقية. (المترجم).

يقارب ٧٥ لغة منقرضة كانت من اللغات المحكية في أوروبا وآسيا الصغرى[١]. لكن اللغات المنقرضة التي نملك لها سجلات تاريخية في هذا الجزء من العالم ما هي إلا جزء يسير من تلك اللغات التي لا نملك عنها أية معلومات. وعندما نوسع تغطيتنا على العالم كله، حيث الغياب الكامل لأي تسجيلات مكتوبة عن اللغات القديمة، فإنه من السهل أن نرى أنه ليس في الإمكان الحصول على تقديرات معقولة عن النسبة التي يمكن أن تقيس مقدار موت اللغات في الماضي. وبالطبع يمكننا عمل تخمينات عن حجم وكثافة السكان في العهود السابقة، ومقدار حجم المجتمعات، وعمل استخلاص للأعداد المحتملة للغات (وذلك على افتراض أنّ كل مجتمع كانت له لغته الخاصة). وتأسيساً على هذا، يزعم مايكل كراوس Michael Krauss أنه قبل عشرة آلاف سنة، كان عدد اللغات بين خمسة آلاف إلى عشرين ألف لغة[٢]؛ وذلك بافتراض أن سكان العالم آنذاك كان يتراوح بين خمسة إلى عشرة ملايين نسمة، وأن متوسط حجم الجماعة اللغوية آنذاك كان بين ٥٠٠ و١٠٠٠ شخص. وقد اختار مايكل كراوس الرقم ١٢ ألفاً على أساس أنه متوسط التقدير الأعلى لعدد لغات العالم في أي زمن من الأزمان. فحالياً هناك ما يقارب ٦٠٠٠ لغة. ولكن لا أحد يستطيع أن يعرف كم عدد اللغات التي جاءت وذهبت خلال هذه المدة، وكم عدد اللغات الجديدة التي دخلت الميدان، وذلك لنقف في

---

١ – هذه مجموعة من العناصر والإشارات لهذه الأجزاء من العالم التي تم سردها في كتاب Voegelin and Voegelin (1977)

٢ – Krauss (1998: 105).

مواجهة فقدان ما يقارب ٦٠٠٠ لغة. وكذلك لا يمكننا أن نعرف ما إذا كانت نسبة تغير اللغات ثابتة عبر كل هذه العصور الطويلة أم كانت مجزأة بفواصل من العصور والأوقات التي اتسمت بسرعة الانتقال والانحطاط؛ ومع ذلك فإن الموضوع قد نوقش كثيراً[٣].

هناك عدد قليل جداً من السجلات التاريخية عن الاستخدام العالمي للغة، باستثناء تلك السجلات التي تم تجميعها خلال حقبة امتداد الاستعمار الأوروبي، وأغلبها يمكن وصفها بأنها مقطعة ومشتتة ومتفرقة، وفي الوقت نفسه متناقضة وانطباعية. أما المادة المرتبة أو المنظمة فقد بدأ تجميعها مع تطور علم فقه اللغة المقارن، ومع توافر بيانات وعمليات التعداد السكاني في القرن التاسع عشر، وبروز علم الإنسان وعلم اللسانيات في القرن العشرين؛ لكن موضوع اللسانيات لم يحدث تقدماً ملحوظاً وواسع النطاق في الدراسات العلمية الاستقصائية حتى الربع الأخير من ذلك القرن. إن الرأي الواسع الانتشار القائل بأن موت اللغات أصبح يزيد في سرعة فائقة، هو رأي يستند بصورة كبيرة إلى سبب عام؛ فنحن نعلم على سبيل المثال، أنه قد أصبح هناك نمو مهم في مفهوم الدولة القومية في القرن العشرين، يصاحبه اهتمام خاص باللغات الرسمية؛ ونعلم أنه قد أصبح هناك نمو ذو شأن في اللغات المشتركة في كل العالم خلال تلك الحقبة نفسها؛ يمكننا أن نستنتج من ذلك أن لغات الأقليات قد وضعت تحت ضغط متزايد.

---

٣ – هذا هو الموضوع المركزي عند Dixon (1997).

وبعض المراقبين رصد ملاحظات جمعت بصورة أساسية منذ الستينات قد تمكننا من تحديد نسبة الانحطاط؛ فالإحصاءات عن أعداد المتحدثين بمختلف لغات الأقليات بمختلف أعمارهم (كما هو موضح في الفصل الأول) يمكن أن تقع ضمن هذه المجموعة، مع قليل من الاستثناءات (انظر الفصل الرابع) حيث تبدو كمنحنى شديد الانحدار. لكن سواء أكان هناك زيادة حقيقية في النسبة أم لا، فإن التقديرات المقارنة التي أجريت للفصائل اللغوية في أجزاء مختلفة من العالم تحكي القصة نفسها، وهي أن السنوات الخمسمائة الأخيرة كانت سنوات تدهور دراماتيكي. فعلى سبيل المثال، إن عدد اللغات التي كانت منتشرة في البرازيل عام ١٥٠٠م قدر بنحو ١١٧٥ لغة، وأصبحت اليوم أقل من ٢٠٠ لغة[٤].

يستحيل أن يكون هناك سبب واحد فقط يوضح هذا التدهور، فهناك عوامل كثيرة جداً تسهم في الموضوع، ولكنها تجتمع بطريقة متباينة بحسب المواقف الإقليمية: "فالبحث عن سبب وحيد يؤدي حتماً إلى موت اللغة لا طائل من ورائه"[٥]. إجابات ذات جملة واحدة عن "لماذا؟" يمكن سماعها غالباً، وبخاصة في الصحافة الشعبية (مثل الانشغال الحالي بمقولة: إن الإنجليزية حول العالم هي السبب في موت اللغة)، ولكنهم بهذا لا يفعلون أكثر من عزل أحد الأسباب المؤدية إلى التدهور. أما السلسلة الكاملة

---

٤ – Rodrigues (1993). للحصول على أدلة أخرى عن تحولات اللغة مؤخراً في مجتمعات معينة، انظر England (1998: 105).

٥ – Dorian (1981: 69).

لعوامل تدهور اللغات فأصبحت يسيرة ويمكن تعريفها وتصنيفها، بفضل ما جرى من جهود في مجال دراسة الحالات. لكن الذي لا يمكن القيام به، في وضعنا المعرفي الحالي، هو تعميمها، لتصبح مصطلحات عالمية. إنّ الوضع الحالي ليس له مثيل سابق: فالعالم لم يحو أبداً مثل هذا العدد من السكان، والعولمة لم تكن واضحة بهذه الصورة؛ وتقنيات وسائل الاتصال والمواصلات لم تكن بهذا الانتشار؛ فالتّماس اللغوي لم يكن أبداً بهذا القدر؛ ولم يحدث أن لغة قد حققت أثراً عالمياً كاللغة الإنجليزية. فكيف للغات الأقليات أن تنجح في مثل هذه البيئة؟ إنه أمر يخضع للاستكشاف المستمر. ونحن لا زلنا في مرحلة تقويم دور هذه العوامل داخل كل بلد، وفي أغلب الأحوال داخل مواقع محددة من البلد. واتضحت التوجهات لكن محدودية قاعدة البيانات تجعلها بالفعل مؤقتة وتجريبية؛ وعليه فلا ينبغي أن يعد السبب التالي ممثلاً للصدارة.

عوامل تعرض الناس للخطر جسدياً

من الواضح أن اللغة تموت إذا كان كل من يتحدثون بها قد ماتوا. لذلك فإن أي ظرف يمثل تهديداً مباشراً وآنياً للسلامة الجسدية لبعض أو كل أفراد المجتمع، هو بطريقة أو بأخرى، الخط الأخير الذي لا ينبغي الوصول إليه. لغات كثيرة أصبحت في عداد المنقرضات، أو في طور الاحتضار، أو في طور الانقراض، وذلك نتيجة لعوامل درامية مؤثرة في حياة متحدثيها.

عدد مستخدمي لغة ما يمكن أن ينخفض بصورة كبيرة، أولاً وقبل كل شيء، بسبب الكوارث الطبيعية. وطالما أنه من غير الممكن عملياً الوقوف على أرقام دقيقة، فإن من المشهود به أن المجتمعات الصغيرة في مناطق معزولة يمكن بكل سهولة أن يتم إهلاكها أو مسحها من على وجه الأرض بالهزات الأرضية، والأعاصير، وتسوناميات، والفيضانات، والثوران البركاني، والنوازل الأخرى. في ١٧ يوليو ١٩٩٨م ضربت هزة أرضية عنيفة بقوة ٧,١ على قياس ريختر ساحل مقاطعة سوندون الشرقية E. Saundaun الشرقية في بابوا Papua، في غينيا الجديدة، وقتلت أكثر من ٢٢٠٠، وشردت أكثر من عشرة آلاف، ودمرت قرى سيسانو Sissano، واروبو Warupu، أروب Arop، مالول Malol. وقد قتلت نحو ٣٠٪ من قريتي أروب وواروبو. أهل هذه القرى قد قام بتعريفهم الباحثون في المعهد الصيفي للسانيات على أنهم مختلفون في طريقة حديثهم بما يمكّن من تعرّف أربع لغات مختلفة بعضها عن بعض، ولكن الأمر لم يُحلّ: وفقاً لقاموس إثنولوج *Ethnologue* (١٩٩٦م)، فقد كانت هناك حاجة إلى دراسات استقصائية في ثلاث حالات مع بعض التقدم في الحالة الرابعة. أعداد السكان تعد قليلة: سيسانو كان فيها فقط ٤٧٧٦ في تعداد ١٩٩٠م، مالول قدر سكانها بـ ٣٣٣٠، وأروب ١٧٠٠ عام ١٩٨١م. وأروبو ١٦٠٢ في عام ١٩٨٣م. مجموع سكان أروب وواروبو يكون قد نقص ٥٠٠ نسمة لكل منهما. ونظراً لأن تلك القرى قد دمرت، وتحرك الناجون منهم إلى مراكز الرعاية وإلى مناطق أخرى، ينبغي أن تكون هناك علامة استفهام حقيقية عما

إذا كانت هذه المجتمعات (ومن ثم لغاتها) تستطيع التغلب على صدمة الإخلاء المكاني الذي حدث لهم جراء ذلك.

لدينا هنا نموذج يمثل التدمير الكلي لموطن ما. في حالات أخرى ربما يبقى الموطن، ولكنه قد يكون غير صالح للعيش فيه، وذلك من جراء ائتلاف ظروف مناخية واقتصادية غير مؤاتية. المجاعة والجفاف هما عاملان أساسيان. فمجاعة البطاطس الآيرلندية (كان سبب فساد البطاطس آفة زراعية ١٨٤٥ – ١٨٤٦م) نتجت عنها وفاة مليون شخص بين سنتي ١٨٤٥ – ١٨٥١م)، كما نتج عنها بداية حقبة طويلة من الهجرة، فنقص عدد السكان من ٨ ملايين في سنة ١٨٤١م إلى ٦ ملايين ونصف خلال عقد من الزمان. وكان الأثر أعظم في المجتمعات الريفية التي تتحدث الآيرلندية، فأسهمت المجاعة في إضعاف اللغة الآيرلندية في ذلك الوقت[٦]. أثرت المجاعة التي حصلت مؤخراً، خاصة في إفريقيا، في اللغات، فقد أثبتت الإحصاءات أن المجاعة مؤتلفة في معظم الأحيان مع الصراع المدني. كانت وكالات الأمم المتحدة قد ذكرت أن نحو ٢٢ مليوناً في أكثر من ٢٠ دولة كانوا قد تأثروا في جفاف الساحل الذي كان في الأعوام ١٩٨٣ – ١٩٨٥م، في شرق وجنوب إفريقيا. وفي زمن جفاف الصومال الذي حدث عام ١٩٩١ – ١٩٩٢م، نجد أن ربع الأطفال تحت سن الخامسة قد توفوا. وفي

٦ – للاطلاع على وصف تاريخي للعوامل المختلفة التي أسهمت في تراجع اللغة الآيرلندية في القرن التاسع عشر، انظر Edwards (1985: 53 ff.).

سنة ١٩٨٨م، ووفقاً لبرنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة، فإن ١٠٪ من عدد سكان السودان البالغ آنذاك ٢٩ مليون نسمة كانوا تحت خط المجاعة، وبصورة أساسية في ولايات جنوب السودان. وكانت مشكلة المجاعة قد تفاقمت بصورة واسعة بسبب استمرار الحرب الأهلية. ولا شك في أن المجاعة كانت قد أثرت بصورة كبيرة في اللغات الضعيفة التي كانت موجودة في عدة أجزاء من البلاد. فمن مجموع اللغات السودانية ألـ ١٣٢ الحية والتي كانت تحت قائمة لغات السودان في قاموس إثنولوج *Ethnologue* (١٩٩٦م)، هناك تقديرات منحت لـ ١٢٢ لغة؛ من هذه كانت هناك ١٧ لغة تم رصدها على أن المتحدثين بها كانوا أقل من ١٠٠٠ متحدث؛ و٥٤ لغة تم رصدها على أن المتحدثين بها أقل من عشرة آلاف شخص. و١٠٥ لغات كان متحدثوها أقل من ١٠٠ ألف.

إنّ أثر الأمراض المستوردة في السكان الأصليين عبر التاريخ، لا يمكن أن يعد أساسياً في أوائل حقبة الاستعمار، على الرغم من عدم الأخذ به بصورة واسعة[٧]. وفي غضون ٢٠٠ سنة من وصول أوائل الأوروبيين للأراضي الأمريكية، هناك اعتقاد بأن ٩٠٪ من السكان الأصليين قد قتلوا بالأمراض التي لازمتهم، والتي أصابتهم عن طريق الحيوان أو الإنسان. خذ مثلاً منطقة واحدة: المنطقة المركزية من المكسيك، من المعتقد

٧- انظر McNeill (1976)، Stearn and Stearn (1945) ، Duffy (1953)، Peat (1995: ch. 5). أجزاء أخرى من العالم كان لها تاريخ مماثل فكان هناك وباء الجدري في جنوب إفريقيا سنوات 1713، 1735، 1767، (وصل الهولنديون إلى الرأس الاخضر عام 1652). انظر كذلك Kincade (1991: 157).

أن سكانها كانوا أكثر من ٢٥ مليوناً في سنة ١٥١٨م، حينما وصل إليها الإسبان، لكن العدد قد تراجع إلى مليون وستمائة ألف بحلول سنة ١٦٢٠م. بعض التقديرات ترى أن عدد سكان العالم الجديد ربما كان مائة مليون قبل الاتصال الأوروبي بتلك المناطق. وفي غضون ٢٠٠ سنة تهاوى العدد إلى أقل من مليون واحد. إن المعيار الذي يمكن أن نقدر به حجم هذه المأساة يمكن إدراكه فقط من خلال مقارنتها بالمآسي الأخرى: إنها تفوق بكثير ألـ ٢٥ مليوناً الذين يعتقد أنهم ماتوا بسبب الطاعون العظيم (الموت الأسود) في أوروبا القرن الرابع عشر؛ بل تفوق مجموع الأموات في الحربين العالميتين (نحو ٣٠ – ٤٠ مليوناً)[٨].

مع ذلك، فإن أمراضاً أقل ضراوة يمكن أن يكون لها تأثير مدمر في المجتمعات التي لم تعمل حساباً لمقاومة تلك الأمراض. هناك تقارير عديدة عن مرض الأنفلونزا، وعن مرض البرد العام (كما ورد في المصدر)، التي تقود إلى وفاة مجموعات من السكان الأصليين. تلك المخاطر تسيطر دائماً على عقول عمال الإغاثة وعلماء الإنسان، والبعثات، واللسانيين، وغيرهم ممن يعملون مع هذه الفئات. وتعد الأمراض عاملاً حاسماً في العديد من الحالات: فعلى سبيل المثال، حالة الأندامانية Andamanese (بيوسيكوار

٨– أرقام الضحايا من موسوعة كامبردج في الإصدار الثالث (Crystal (1997c. إذ يشير التقدير إلى أنّ منطقة الأمازون هي الأكبر إذ إنها كانت تحتوي على ما يقرب من ٦,٨ مليون شخص في القرن السادس عشر ونحو ٧٠٠ ألف بحلول عام ١٩٩٢م: انظر (Grenand and Grenand (1993:94 . إنّ أقلية، يانا Yana، في كالفورنيا الشمالية كان عددها حوالي ١٩٠٠ شخص عام ١٨٤٦م لكن بعد عشرين عاماً من وصول المستوطنين البيض أصبح عددهم ١٠٠ شخص أو أقل من ذلك: انظر (Johnson (1978: 362 .

Pucikwar نزل العدد في سنة ١٩٨١م إلى ٢٤ متحدثاً)[٩]. وبالطبع فإن نقص المناعة المكتسبة (الأيدز)[١٠] كان له نصيب الأسد في التأثير السلبي في المجتمعات واللغات أكثر من أي شيء آخر. برنامج الأمم المتحدة المشترك لمكافحة الأيدز الذي يقوم بمكافحة فيروس نقص المناعة، أصدر تقريراً بأن هناك ٣٣,٤ مليون مصاب بالأيدز في العالم في نهاية سنة ١٩٩٨م، و٩٥٪ من حالات الإصابة والموت حدثت في الدول النامية: ٢٢,٥ مليون في شبه الصحراء الإفريقية، ٦,٧ مليون في جنوب وجنوب شرق آسيا، و١,٤ مليون في أمريكا اللاتينية، مناطق تحتوي مجتمعة أكثر من ثلاثة أرباع لغات العالم. إنّ ارتفاع حالات الإصابة بالسل (المتسببة في ٣٠٪ من وفيات الأيدز) تُعد عاملاً إضافياً. في أكثر البلاد الإفريقية تأثراً بالمرض، خاصة بتسوانا، وناميبيا، وسوازيلاند، وزيمبابوي، فقد دمر المرض ربع السكان ممن تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والخمسين. في هذه البلدان الأربعة سيكون أثر المرض محدوداً في لغاتها، لأن عدد اللغات قليل نسبياً (مجموعها ٨٠). أما في نيجيريا حيث يبلغ عدد لغاتها ٧٤٠ لغة، تتحدث بعدد منها مجموعات لغوية صغيرة، فالأثر أوسع على الرغم من أن عدد الوفيات أقل (١٥٠ ألفاً في سنة ١٩٩٧م).

٩- Annamalai (1998: 18). وقد أشار تقرير Iatiku 1.2 لأحد اللسانيين الذي كان مهتماً بآخر شخصين يتحدثان لغة جافات Gafat الأثيوبية وكان يسجل لغتهم، لكن فجأة بعيداً عن بيئتهم الخاصة أصيبا بالزكام وتوفيا.

١٠- تطورات وباء الإيدز (برنامج الأمم المتحدة للإيدز) ديسمبر، ١٩٩٨م.

إنّ التأثيرات التي تسببها المجاعة والأمراض متعلقة بشكل أساسي بعوامل اقتصادية. فهناك أعداد لا حصر لها في وقتنا الحاضر مسجلة في سجل الناس بأنها، متأثرة مباشرة بالاستغلال الاقتصادي الذي يمارسه في مناطقهم القادمون من الخارج. التصحر *Desertification* هو اسم أعطي لحالة التدهور البيئي في المناطق الجافة وشبه الجافة حول العالم، من خلال توالي وتتابع الزراعة والرعي الجائر، والمداومة على زراعة المحاصيل بهدف الحصول على النقد (التي تقلل من مساحات الأراضي المخصصة للمحاصيل الغذائية للسكان المحليين) وإزالة الغابات، والممارسات السيئة في عمليات الري، مع الأنماط المناخية المتغيرة والمؤثرة (مثل النينو ElNiño)[١١]. فالأرض إذا فقدت خصوبتها، فلا قدرة لها على إمداد سكانها، وهي ظاهرة قد تكرر حدوثها في إفريقيا خلال السبعينات والثمانينات (١٩٧٠ – ١٩٨٩م)، حينما حدث التصحر على امتداد الساحل. حدثت هجرات غير متوقعة وجدت فيها المجتمعات أنه من الصعب المحافظة على سلامة الناس، وأنّ ما يعتمدون عليه من تقاليد ثقافية ولغوية قد تم تدميره.

تعرضت الموارد الطبيعية الأصلية في بعض أجزاء من العالم إلى الاستغلال القادم من خارج المنطقة، نجد التأثير على الأهالي المحليين مدمراً، وقد تم رصده وتوثيقه من منظمات حقوق الإنسان. إن معالجة مجتمعات الغابات الأمازونية الممطرة تعد سبباً للاستنكار العالمي. وعلى الرغم من عقود من الجهود لتأمين حقوق الأرض للسكان الأصليين،

١١– موسوعة كامبردج (Crystal 1997)، مدخل إلى التصحر.

وعمال المناجم، وقاطعي الأشجار، فإنّ التقارير عن الإحلال والاغتيالات العرقية ما زالت قائمة. يكفي مقتطف من تقرير واحد من تقارير منظمة العفو الدولية لتوضيح ضخامة الملف ومدى إحباطه[١٢]. هذا التقرير يشير إلى مرسوم حكومي قد هدد عمليات تحديد الحدود الجارية حالياً لنحو ٣٤٤ من الأراضي الطبيعية في البرازيل:

منذ أن تم تمرير القرار الحكومي في يوم ٨ يناير ١٩٩٦م، رصدت العديد من عمليات الغزو لأراضي السكان الأصليين. ففي الماضي قام عديمو الضمائر من رجال السياسة المحليين والاقتصاديين المدعومين غالباً بالسلطات في عدد من الولايات، بالتحريض على غزو واجتياح الأراضي الأصيلة بالمستوطنين المستعمرين، وعمال المناجم وقاطعي الأشجار، مستغلين أي نوع من عدم اليقين يتعلق بتعيين الحدود. وقد نتج عن ذلك مصادمات عنيفة وعمليات قتل، وقد فشلت السلطات على كل المستويات في حماية حقوق الإنسان الأساسية لأعضاء المجموعات الأصيلة، أو تقديم أولئك المسؤولين عن تلك الاجتياحات للقضاء والعدالة.

وبما أنّ منظمة العفو الدولية لا شأن لها بموضوع نزاعات الأرض، فإنّ منظمة حقوق الإنسان قد نظمت حملات ضد انتهاك حقوق الإنسان التي عانت منها مجتمعات برازيلية أصلية من أولئك الذين يطمعون في أراضيهم والموارد التي تحتويها خلال السنوات الأخيرة، والذين يعملون بصورة متكررة مع إذعان رسمي أو تواطؤ. ولم تألُ منظمة العفو الدولية جهداً في مخاطبة السلطات المسؤولة على كل المستويات مرة بعد أخرى لوضع حد لإفلات الذين يقومون بالقتل من العقوبات الدولية، وكذلك الذين يقومون بالاعتداءات والتهديدات الموجهة إلى أفراد مجتمعات أصلية. إن أرقام الإحصاءات الجزئية تشير إلى أن هناك ١٢٣ فرداً من الجماعات الأصلية قد تم اغتيالهم على يد أعضاء في الجماعات غير الأصلية في منازعات الأراضي خلال الخمس السنوات الماضية. وفيما عدا بعض الاستثناءات، فإنّ أحداً لم يقدم للمحاكمة بسبب تلك الاغتيالات. على سبيل المثال، إلى هذا التاريخ لم يقدم أحد للمحاكمة في مذبحة ١٤ فرداً من قبيلة تيكونا Ticona في الأمازون سنة ١٩٨٨م، كذلك مذبحة ١٤ فرداً من قرية يانومامي Yanomami التي يقطنها الهاكسيمو Haximu على الحدود البرازيلية الفانزويلية سنة ١٩٩٣م.

من النادر أن تحمل عبارة "على سبيل المثال" مثل هذا الصدى غير المنطوق به. في الحالات التي يكون فيها المجتمع قد تم إجلاؤه، فإنّ معظم الناجين يجدون طريقهم إلى

١٢– تقرير من Linda Rabben من خدمة أخبار منظمة العفو الدولية، ٢٥ يناير ١٩٩٦م.

مراكز التجمع السكانية سواء بسبب عدم الرغبة أو عدم القدرة على البقاء في مواطنهم، وفي تلك المراكز يفقدون، ببطء، هويتهم الثقافية داخل وسط اجتماعي يتسم بالفقر والحاجة. ومن أجل البقاء على قيد الحياة، يكتسبون أكبر قدر يستطيعونه من لغة جديدة، في البرازيل هي البرتغالية، أو إحدى لغات الكريول Creoles المتحدث بها في الإقليم على أنها لغة مشتركة. فاللغة العرقية لا تستطيع الصمود خلال جيل، هذا إذا بقي أفراد من ذاك الجيل على قيد الحياة.

في أجزاء من العالم، نجد أن الموقف السياسي يؤدي دوراً أعظم من الموقف الاقتصادي، ويكون السبب المباشر لانهيار أو اختفاء مجتمع. فالدمار يمكن أن يكون بسبب الحرب الاهلية، أو أزمة عالمية؛ فعلى سبيل المثال، إن عدداً من مجتمعات الجزر في المحيط الباسيفيكي والمحيط الهندي قد تم الاستيلاء عليها في حروب الاحتلال ومعارك الحرب العالمية الثانية. وكانت النتائج انقراض اللغات لتلك المجتمعات (مثلاً: في جزر أندامان* Andaman)[١٣]. إن العداءات المستمرة لأسباب دينية أو عرقية قد تؤثر في هذا الأمر، كما في بعض أجزاء من إفريقيا. الاعتقاد الذي ذهب إليه بروس كونيل Bruce Connell في مسألة انهيار منظومة لغات المامبيلويد Mambiloid (والتي كان من

* جزر في خليج البنغال تابعة للهند. (المترجم).

١٣- (1998: 23) Annamalai. ونتيجة أخرى للحروب أنّ سجلات الأرشيف يمكن أن تضيع أو يتم فقدانها: في حالة فانيمو Vanimo في غينيا الجديدة تم تدمير جميع المواد باللغة العامية التي قام بها المبشرون على مدى سنين طويلة. تم تدميرها جميعاً في أثناء القتال بين القوات اليابانية وقوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية .انظر (1998:65) Landweer.

أعضائها كاسبي Kasabe (انظر ص ٢٣) يقدم لنا توضيحاً[١٤]:

> الاعتقاد الأكثر شيوعاً هو أن مجيء جهاد الفولانيين خلال القرن التاسع عشر، وما نتج من استعباد العديد، وقتل المقاومين في مذابح، وقد شتت وأهلك مواطنيهم، إلى درجة أن توقفت لغاتهم عن النمو ولم تعد قابلة للاستعمال.

والظروف قد تصل إلى مستوى الإبادة الجماعية. وقد تم تقديم تظلمات مثل تلك المتعلقة بمصير النوبة في السودان، والأوغوني في نيجيريا[١٥].

في كثير من الأماكن يصعب الفصل بين العوامل السياسية والعوامل الاقتصادية. فاختفاء العديد من اللغات في كولومبيا، على سبيل المثال، تعزى إلى خليط من الظروف القاسية[١٦]. خيط واحد يسلط الضوء على تاريخ الأزمة العسكرية، والتي فيها قد تم إبادة العديد من المجتمعات الأصلية: نحو ٣٠ لغة أصبحت منقرضة منذ وصول الإسبان. الصراع اليوم أكثر تعقيداً، إذ تشمل القوات النظامية والقوات شبه العسكرية، وقوات الغويريلا، وقوات مكافحة الجرائم المتعلقة بالمخدرات، والتي تعمل في المناطق الريفية، ووجد أفراد المجتمعات العرقية أنفسهم متورطين في تلك المشكلات والأزمات؛ إذ إنهم كثيراً ما يتم اتهامهم من إحدى هذه القوات بالعمل والتعاون مع الآخرين. خيط آخر يسلط الضوء على استغلال المجتمعات الصغيرة بواسطة المنظمات من داخل البلاد ومن خارجها على حد سواء، وسجل عن عمل الرقيق (في إنتاج المطاط على طول

١٤- Connell (1997: 27).

١٥- Brenzinger (1998: 91) .

١٦- Seifart (1998: 8–10) .

الأمازون) وعن الهجرات القهرية من المناطق الريفية إلى المدن. ومهما يكن توازن الأسباب، فإن النتيجة لا تغير فيها – عدد من الوفيات بين الناس، وانحلال المجتمع في وقت قصير(١٧).

عوامل تغير ثقافة شعب

قد يعيش شعب، ومع ذلك تموت لغته. فالمنظومة الثانية للعوامل المسببة لفقدان اللغة ليس لها أية علاقة مباشرة بالسلامة الجسدية للشعب. إذ يبقى أفراد المجتمع على قيد الحياة وعلى أحسن حال، وكثيراً ما يستمرون في السكن داخل مقاطعتهم التقليدية، ومع ذلك تتدهور لغتهم، وتختفي تدريجياً، لتحل محلها لغة أخرى. والمصطلح الأكثر توظيفاً في هذه الحالة هو مصطلح "الاستيعاب الثقافي" *cultural assimilation*، وهو أن تتأثر ثقافة بأخرى أكثر هيمنة، وتبدأ الأولى في فقدان خصائصها نتيجة لتصرف الناطقين بها، وتبني سلوك جديد وعادات جديدة. هذا يمكن أن يحدث بطرق عديدة. فالغلبة قد تكون نتيجة للطمس السكاني ـ فتصل أعداد كبيرة إلى عقر دار المجتمع، وتغمر السكان

١٧– على سبيل المثال يُعتقد أنّ شعب Andoke قد انخفض عددهم من عشرة آلاف تقريباً عام ١٩٠٨م إلى نحو ١٠٠ شخص من ثنائيي اللغة في سبعينيات القرن الماضي نتيجة لاستعبادهم من أجل استغلال المطاط: انظر Landaburu (1979). وفي الحقيقة يظهر بحث سايفرت Seifart (انظر الهامش ١٦ أعلاه) بعض التفاؤل للغات السكان الأصليين وعددها ٦٠ أو أكثر ماتزال مستخدمة في كولومبيا. وتمثل منظمة وطنية مصالح الشعب على مستوى الحكومة واعترف دستور عام ١٩٩١ لأول مرة بحق اللغات وجعلها لغات رسمية في مناطقها وضمن تعليم ثنائي اللغة في هذه المناطق. على اي حال، ماتزال هناك حاجة ملحة للتحليل اللغوي لعدد من اللغات وحاجة لإيجاد المواد التعليمية المناسبة وهو الشيء الذي يتم العمل عليه بشكل رئيس في المركز الكولومبي لدراسة لغات السكان الأصليين (*Centro Colombiano de Estudioso de Lenguas Aborigines*) للمزيد انظر الفصل الخامس.

الأصليين، كما حدث بصورة متكررة في أثناء الاستعمار. ومن النماذج المعروفة في هذا الأمر أستراليا وأمريكا الشمالية. ويمكن بدلاً من ذلك أن تهيمن ثقافة ما على أخرى دون تدفق المهاجرين، وربما كان ذلك من خلال التفوق العسكري أو لأسباب اقتصادية. في كلتا الحالتين فإن اللغة سرعان ما تصبح رمزاً لتلك الهيمنة، وتأخذ دور اللغة الرسمية التي جلبتها الأمة القادمة. وحجم السكان ليس دائماً حاسماً: فقد تهيمن جماعة لغوية صغيرة على جماعة كبيرة، كما كان الحال، بصورة متكررة، في التوغل الأوروبي في إفريقيا.

كما لا يعد التقارب الجغرافي حاسماً كي تتمكن ثقافة من التأثير في أخرى. ففي القرن العشرين بصورة خاصة، أصبحت دوائر التأثير تتسع أكثر وأكثر، وفي الحالة المسماة ثقافة المستهلك الغربي، أصبح الأمر يعم العالم كله؛ لأن العوامل معروفة جيداً[١٨]. وظاهرة التحضر أنتجت مدناً تستقطب وتجذب المجتمعات الريفية، وقد سهل تطور المواصلات والاتصالات على سكان الريف الوصول إلى تلك المدن. وداخل هذه المدن أتيحت لهؤلاء الفرصة للوصول الفوري إلى المجتمع المستهلك، بامتيازاته الأمريكية، مع تآلف حتمي يجلبه مثل هذا الاحتكاك. إن تعلم اللغة المهيمنة –كالإسبانية أو البرتغالية في أمريكا الجنوبية، والسواحلية في معظم شرق إفريقيا، والكويشوا Quechua

١٨– انظر Babe (1997) وأبحاث أخرى في كتاب Cliché (1997) . إنّ مفهوم "الديناميكية القصوى" من واقع كونها سمة العصر هو نقطة الانطلاق عند (المقدمة: Grenoble and Whaley (1998a.

والأيمارا Aymará في دول الأنديز، والإنجليزية في كل مكان – يمهد لمرحلة الاستيعاب الثقافي. حتى وإن تمسك الناس بأماكن إقامتهم الريفية، فلا مناص (ما عدا المجتمعات شديدة الانعزال)؛ لأن أنظمة ووسائل المواصلات التي تنقل الناس إلى داخل المدن هي نفسها التي تنقل المنتجات الاستهلاكية والإعلانات ذات العلاقة وتعود بها إلى تلك المجتمعات. فتمركز القوة داخل المدينة ينتج عنه خسارة حتمية لاستقلالية المجتمعات المحلية، وغالباً ما يعتريهم شعور بالانسلاخ، عندما يدركون أنهم لا يتحكمون في مصائرهم ، وأن الاحتياجات المحلية قد أصبحت متجاهلة من صناع القرار البعيدين عنهم. وتتسلل لغة الثقافة المهيمنة إلى كل الجهات، معززة بالضغط الإعلامي اليومي المتشدد، وبخاصة التلفاز، ذلك المؤثر الذي شبهه أو وصفه مايكل كراوس Michael Krauss بأنه (غاز العصب الثقافي)[١٩]. المعارف والممارسات التقليدية سريعاً ما تتلاشى. ويعزز هاربرت سكيلر Herbert Schiller هذه النقطة مشيراً إلى الطريقة التي يهدد بها التماثل الثقافي العالم بأسره، ويعلق: "نجد أن الثقافة المحلية في كل مكان تعاني من استسلام الجمهور لتدفق الإعلانات التجارية". ويوضح كتاب لاحق له ذلك على النحو التالي[٢٠]:

> ما قيمة أن تكون هناك حركة وطنية تكافح لسنوات للحصول على الحرية، إذا كانت هذه الحال التحررية ستقوض مرة أخرى بقيم وطموحات مستمدة من مسيطر يظهر أنه مقهور؟

١٩– Krauss (1992: 6).

٢٠– الاقتباس الأول من Schiller (1969: 113)، والثاني من Schiller(1976: 1) ، انظر كذلك Babe (1997).

عندما تستوعب ثقافة ما ثقافة أخرى، فإنّ تسلسل الأحداث التي تؤثر في اللغة المهددة بالانقراض تبدو متشابهة في كل مكان. وهناك ثلاث مراحل عامة: المرحلة الأولى، ضغط هائل على الناس ليتحدثوا اللغة المهيمنة، ضغط يمكن أن يكون مبعثه مصادر سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية. وربما يكون من الأعلى إلى الأدنى، في شكل حوافز أو توصيات أو قوانين مقدمة من الحكومة أو المؤسسة الوطنية، وربما يكون من الأدنى إلى الأعلى في صورة توجهات حديثة أو مجموعات ضغط من داخل المجتمع، أو مرة أخرى، قد لايكون لها أي توجه واضح، وإنما تظهر نتيجة تعاملات وتفاعلات بين العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يمكن تعرفها بصورة جزئية. ولكن مهما يكن مصدر الضغط؛ فإنّ النتيجة هي المرحلة الثانية، وهي بروز ثنائية اللغة، فيتبنى الناس لغتهم الجديدة بكفاءة، ويحتفظون بلغتهم القديمة. وبعد ذلك تبدأ الثنائية في الاضمحلال السريع، وتتلاشى اللغة القديمة مفسحة الطريق للغة الجديدة، وهذا يقود إلى المرحلة الثالثة، وفيها يصبح الجيل الشاب ماهراً بصورة متزايدة في استخدام اللغة الجديدة، متميزاً بها، ويجد لغته الأولى غير مناسبة لاحتياجاته الجديدة. وهذا في الغالب يكون مصحوباً بالشعور بنوع من الخجل عند استخدام لغتهم القديمة، يستوي في ذلك الآباء والأبناء. يقلل الآباء استخدام اللغة القديمة مع أطفالهم، أو أمامهم، وعندما يكثر المواليد في المجتمع الجديد، يجد الكبار فرصاً أقل لاستخدام تلك اللغة مع هؤلاء الجدد. تلك الأسر التي تستمر في استخدام اللغة القديمة، تجد أن أعداد الأسر التي يمكن

الحديث معها أصبحت أقل، وأن استخدامهم هم أنفسهم يصبح أمراً باطنياً شاذاً، مما ينتج عنه "لهجات عائلية". وخارج إطار المنزل، يحجم الأطفال عن التحدث بعضهم إلى بعض بتلك اللغة. وخلال جيل – أحياناً حتى خلال عقد من الزمان – يمكن لثنائية اللغة القوية داخل العائلة أن تنزلق إلى لغة وسط بين هذه وتلك بما يشبه الثنائية، ومن ثم يزداد الانزلاق أكثر إلى أن يتحول المجتمع إلى أحادية اللغة. وهذا الانزلاق يضع اللغة الأولى على مشارف الهاوية[٢١].

القوى العالمية، بحكم ما هي عليه، تهتم بمستقبل اللغات المهددة بالانقراض، وتعرف أنه من المستحيل حالياً التأثير في العوامل التي تشكل الأساس للمرحلة الأولى في هذه العملية. والمرحلة الثالثة، بالنسبة إلى أغلب اللغات، متأخرة جداً. فهي إذن المرحلة الثانية – مرحلة ظهور ثنائية اللغة – هي التي تكون فيها فرصة حقيقية لتحقيق تقدم في هذا الأمر. فإذا كان من المفترض إبطاء اضمحلال اللغة، أو إيقاف هذا الاضمحلال أو رجع اللغة، فإن هذا المكان هو المكان الذي ينبغي تسليط الضوء عليه (كما سيأتي في الفصلين الرابع والخامس). وقد لخص ستيفن وورم Stephen Wurm هذا الموضوع بما يلي:

> العديد من اللغات المهددة بخطر الاختفاء هذه الأيام لم يكن ينبغي أن تكون في هذا الوضع، لولا مواقف معظم المتكلمين باللغات المركزية الكبرى مع الذين يتواصلون معهم، مع أغلب أولئك الذين

---

٢١ – لفت عدد من المعلقين الانتباه إلى سرعة هذه العملية. على سبيل المثال: England (1998: 102). وللحصول على مثال لتطور "لهجات الأسرة " انظر Furbee, Stanley and Arkeketa (1998: 77).

يعتقدون بشدة أن أحادية اللغة حالة طبيعية ومرغوب فيها لأولئك الذين ينبغي أن يكونوا بالداخل، الذين، نتيجة لذلك، يضعون المتكلمين بمثل تلك اللغات المهددة بالانقراض قبل منحهم فرصة تتعلق بلغتهم: (إما) أن يتبنوا لغتهم المركزية، (أو) البقاء خارج المزايا النابعة من سيطرتها على الثقافة التي فيها لغتهم المركزية المهيمنة. هذه المواقف... تتجاهل تماماً احتمالية أن يكون المتكلمون بمثل تلك اللغات المهددة بالانقراض، ثنائيي اللغة في لغتهم، وفي لغة مركزية كبيرة معينة، ونتيجة للضغط الثقافي والاجتماعي من ثقافة العاصمة أحادية اللغة، فإن هذه الاحتمالية نادراً ما تحدث للمتكلمين بلغات الأقليات المهددة بالانقراض[٢٢].

لماذا هذه المرحلة مهمة جداً؟ لأن ثنائية اللغة bilingualism تمنح تسوية مؤقتة بين اللغة المهيمنة واللغة المهيمن عليها خياراً للبقاء المشترك بدون مواجهة. وهذا ممكن من حيث المبدأ؛ لأن الأسباب المؤدية إلى وجود اللغتين تختلف كلياً. اللغة المهيمنة جذابة؛ لأنها تيسر حراكاً إلى الخارج من المجتمع الأصلي؛ فهناك آفاق جديدة يرغب أعضاء المجتمع الوصول إليها، ومستويات جديدة من العيش يسعون إلى اكتسابها، ونوعية جديدة من الحياة يتبعونها. (لا أعدّها جزءاً من مختصر رسالتي، في هذا الكتاب، لأبين ما إذا كانت هذه الحياة الجديدة هي أفضل أو أسوأ من الحياة القديمة). اللغة المهيمنة ضرورية؛ لأنها تزود الناس بجسر بين العالمين، جسر يتسم بالوضوح، بدونه سيكون التقدم متواضعاً. وفي المقابل، فإنّ اللغة المهيمن عليها لها دور آخر. وتعرف بأنها ليست ذات قيمة عالمية

---

٢٢ – Wurm (1998: 193–4) ، وهذا الأمر قد لا يحدث أيضاً لمتحدثي اللغة الذين يسكنون المدن. وكما رأينا في الفصل الثاني (صفحة ٨٤، ٨٥): الناس الذين يتحدثون لغة واحدة لا يعتقدون بأن المقدرة على التحدث بلغتين تعد شيئاً ضرورياً يمكنه أن يمنح هؤلاء الذين يتحدثون لغتين آفاقاً فكرية أوسع وأبعاداً معرفية أكبر وقدراً أكبر من المرونة والتفهم والتسامح الذي يخص الفوارق الاجتماعية. إنّ ثنائية اللغة ببساطة ليست جزءاً من عقلية أحاديي اللغة. وهم ليسوا ضد ثنائية اللغة بسبب ارتباطها بتقاليد استعمار طويل الأمد، لقد أصبحت أحادية اللغة الطريق الطبيعي للحياة. وكان عدد قليل من الناس الذين التقيتهم في بيئتي الاجتماعية وطرحت عليهم مفهوم ثنائية اللغة وفوائدها فكانوا ضد الفكرة لمجرد أنها لم تحصل لهم.

ولا تكون لغة ثقافية مشتركة؛ فلا تصلح لتعزيز التواصل بين الشعوب وليس لها أفق خارجي. إنها لغرض مغاير هو التعبير عن هوية المتكلمين كونهم أعضاء في مجتمعهم. إنها ذات صبغة داخلية وفي أحسن الوجوه (انظر الفصل الثاني) هي مظهر داخلي يعزز الروابط الأسرية بين أفراد العائلة، ويصون العلاقات الاجتماعية، ويحافظ على العلاقات التاريخية، ويعطي الشعب إحساساً "بأصله" (ص ٧٩). اللغة المهيمنة لا تستطيع القيام بهذا الدور[٢٣]؛ لأن لها هويتها الخاصة، وأولئك الذين يتكلمون بها كلغة أم لهم جذورهم الخاصة بهم. واللغة المهيمن عليها فقط تستطيع إعادة الحيوية لهوية المجتمع الأصلي ـ هذه الجزئية التي لا تستطيع اللغات الأخرى الوصول إليها.

لكن ليحدث ذلك، ينبغي لمصطلح "الهيمنة" أن يختفي. فالثنائية اللغوية المقبولة هي حالة يمكن للغتين أن تُرى كل واحدة منهما مكملة للأخرى وليستا متنافستين ـ تؤديان أدواراً منوعة وكل منهما يتمتع بالكفاءة نفسها[٢٤]. فتسميات مثل "مهيمن عليها" لا تساعد على تعزيز المواقف الإيجابية المطلوبة؛ وعندما يتعلق الأمر باللغات المهددة بالانقراض، فإنّ المعوّل عليه هو السلوك ونظرة الناس إلى لغتهم، وشعورهم نحوها. فإذا استطاع المتحدثون بلغة ما الاعتزاز بها، والاستمتاع بحديث من يستعملونها بمهارة،

٢٣– ستكون اللغة الجديدة بديلاً جيداً بالنسبة للسكان الأصليين فقط في حال فقدانهم الشعور والحس تجاه أصولهم العرقية (وفي هذه الحالة سيكتمل الاندماج الثقافي).

٢٤– لقد تم وصف التعدد اللغوي في الفصل الثاني على أنه حالة طبيعية في الجنس البشري. ولكشف بطلان الأساطير المرتبطة بثنائية اللغة والدليل الشامل لنقاط القوة. انظر إلى المراجع في الفصل الثاني، الهامش ٤٥.

ويستخدمونها بقدر المستطاع مع شيء من الإبداع أحياناً، ويحرصون على سماعها في المناسبات، فإن هذه الظروف تمكنهم من المحافظة عليها. والمرحلة الثانية هي أن مثل هذا الوضع يمكن اللغة من الاستمرار مدة طويلة. وعلى العكس من ذلك، إذا كان الناس يتحرجون من استخدام لغتهم، ويتحولون إلى اللغة المهيمنة متى استطاعوا ذلك، ويطلقون النكات عن الحديث باللغة المهددة بالانقراض، ويتجنبون المناسبات التي تحتفي باللغة، في هذه الحالة فإنّ المرحلة الثانية على الأرجح سوف تستمر لمدة قصيرة فقط وتنتهي. فتعزيز المواقف اللغوية الإيجابية للغة، وفقاً لذلك، يمثّل إحدى أهم المبادرات التي ينبغي تحقيقها للحفاظ على اللغة (انظر تفاصيل أوسع في الفصل الرابع).

تضعف اللغة عندما تكون هذه المواقف الإيجابية مفقودة. وفي حالات كثيرة هي مفقودة فعلاً، لأن الظروف ضدها، لأسباب سياسية على الأغلب. على سبيل المثال، معظم الحكومات في إفريقيا تنظر إلى التنوع اللغوي على أنه تهديد للوحدة الوطنية الهادفة إلى بناء أمة[٢٥]. الأقليات تكون مصدر قلق لهذه الحكومات بسبب التاريخ الموثق عن الصراعات العرقية في المنطقة. أعضاء الحكومة أنفسهم غالباً ما ينتمون إلى مجموعة عرقية محددة. وأي مقترح يهدف إلى تعزيز العرقية ينظر إليه بنوع من الارتياب والشك، ونظراً لأن اللغة مقيدة بالهوية العرقية، فإن المقترحات لتقوية لغات الأقليات يمكن أن توجه إليها أصابع الاتهام. ومن الممكن أن تتعرض لغة السكان الأصليين

٢٥– ولكنه ليس بوضوح في أريتيريا التي ذهبت إلى أبعد من ذلك برفض تعيين أي لغة من لغاتها لغة رسمية.

للخطر حين يسمح ببساطة للوافدين بالدخول وتسجيل لغتهم[٢٦]. والسلطات تغضب من ذلك؛ لأن المخرجات السياسية الاجتماعية لا يمكن توقعها، وهناك لغات معروفة استخدمت أدوات مقاومة ضد الأنظمة القمعية، وقد تستخدم وسائل لتوصيل المعلومات سرياً في أثناء الحرب[٢٧]. والدور القوي الفعال للغة لإشعال الثورة كان معروفاً لدى تجار الرقيق الأوائل، الذين كانوا، عن عمد، يخلطون الناس من لغات مختلفة في السفن المتجهة إلى أمريكا، حتى لا يستطيعوا التواصل بعضهم مع بعض بطريقة مؤثرة. وكانت هناك مبادرات شبيهة بهذه طبقت على قبائل هندية ذات لغات مختلفة، إذ تم وضعهم معاً في معتقلات أو أماكن حجز في أمريكا الشمالية؛ مما جعلهم يضطرون إلى تعلم اللغة الإنجليزية[٢٨]. وما زالت الأساطير تحكي بكثرة: جاء في أحد التقارير، أنّ ضابط جيش كولومبياً، وصف امبيرا Embera، وهم قوم من الساحل الباسفيكي، بأنهم ببساطة صنعوا لغتهم من أجل إرباك البيض[٢٩].

٢٦- Brezinger (1998: 89).

٢٧- هناك حقيقة غير معروفة بشكل جيد هي: أن لغات الهنود الحمر في أميركا تم استخدامها بهذه الطريقة: خلال الحربين العالميتين، إذ إنّ أفراداً من ١٧ قبيلة على الأقل تم استخدامهم متحدثين للقوات الأمريكية في أوروبا والمحيط الهادئ ومن ضمنهم عدد كبير عملوا مع القوات البحرية الأمريكية في الحرب العالمية الثانية: انظر Paul (1973) و Bixler (1992). وفي عام ١٩٩٩م كانت هناك حملة في أميركا من أجل أن تمنحهم الحكومة ميداليات شرف.

٢٨- Kincade (1991: 157).

٢٩- Seifart(1998: 9) . لاحظ أيضاً هذا التعليق في تقرير صحيفة عن وضع بعض شعوب الخوزيان في جنوب إفريقيا (Koch and Maslamoney (1997): "المزارعون والموظفون يهددون الأشخاص الذين يستخدمون لغة خوخيوجواب Khoekhoegowap (Nam) لأنهم يعتقدون أن هؤلاء الأشخاص يخططون للتخريب أو التدمير" .

لكن الكراهية المطلقة ليست موجودة في كل مكان. في أمريكا الجنوبية، على سبيل المثال، لغات السكان الأصليين لا تُعد عادةً تهديداً للوحدة الوطنية، وربما كان سبب ذلك أنّ الولايات قد استغرق تأسيسها وقتاً طويلاً. فكان موقف عدم الاهتمام أكثر من موقف الخصومة[٣٠]. إنّ الكراهية يمكن لها أن تأخذ أشكالاً غير ظاهرة للعيان. بل يجد الناس أن فرص استخدام لغتهم محدودة؛ لأنها أصبحت مهمشة رسمياً. فهي لا تستخدم في المجالات الرسمية، مثل مكاتب الخدمة المدنية والمصارف المحلية، وليست مستخدمة في الإعلام، وليست لغة للتعليم العالي، على سبيل المثال ـ لايوجد بين الـ ١٢٠٠ لغة أو لغات السكان الأصليين في إفريقيا، أي لغة مستخدمة حالياً على أنها لغة تدريس في المدارس الثانوية هناك[٣١]. اللغة تتلاشى وتختفي تدريجياً من جانب الحياة "الفعلي"، مع الأخذ في الحسبان أن الدين دائماً هو آخر مجال يمكن أن يتم التأثير فيه. ووجودها يمكن أن يكون قوياً في بعض المجالات، مثل الفنون والآداب، والبيئة الشعبية، والفولكلور، ولكن كل هذه المجالات ينظر إليها على أنها مجالات ذات اعتبار أقل. من وجهة النظر السياسية، فإن اللغة تصبح خفية غير مرئية. جوشوا فيشمان Joshua Fishman عالم لغة اجتماعي أمريكي، أشار مرة إلى مثل هذه الحالة على أنها نمط من أنماط "جعل اللغة

٣٠- Adelaar (1998: 9). إنّ عدم المبالاة هي بطبيعة الحال لا تفيد؛ لأنّ عدم فعل أي شيء في مواجهة الاتجاه التنازلي سوف يؤدي إلى تدهور الوضع. وبشكل أقل وضوحاً، حتى الدعم السياسي للغات المهددة بالانقراض من الممكن ألا يغير مواقف الناس إذا انتشر بين الناس نظرة مفادها أنّ الحكومة لايمكن الوثوق بها وأن دوافعها محل شبهة.

٣١- Brenzinger (1998: 95) .

جزءاً من الفولكلور" Folklorization أي استخدام لغة السكان الأصليين في مجالات غير مهمة[٣٢]. لابد أن نلاحظ أنه ومع خسارة كل مجال من المجالات، أن هناك خسارة في المفردات، وفي أنماط الخطاب، والسلسلة الأسلوبية. ومن السهل رؤية كيف يمكن للغة أن تموت في آخر المطاف، وذلك مرده ببساطة إلى أنها قد جردت من معظم مجالاتها، حتى يصل الأمر إلى أن يصعب على الناس الحديث عن موضوع معين لصعوبة وجود مفردات تعبر عنه. تصبح اللغة شكلاً من أشكال السلوك يألفه المتحمس والمتخصص، والساعي وراء حب الاستطلاع، وهي تفتقر إلى المكانة الرفيعة.

هذا هو السبب الأساس الذي يبين أن اللغات التي لها عدد كبير من المتحدثين بها، ربما لا تكون في مأمن أيضاً، فعلى المدى البعيد تتضاءل مكانة هذه اللغات تدريجياً، حتى تصل إلى درجة أن لا أحد يريد التحدث بها. في أمريكا الجنوبية، يتحدث أكثر من مليون شخص بكل من لغتي الكويشوا Quechua والأيمارا Aymará وتنوعاتها المختلفة، ولكن الهجرة للمدن الساحلية من بيرو قد أصبحت تخفض العدد بصورة ملحوظة، بسبب تحول الناس إلى التحدث بالإسبانية[٣٣]. وهذا الأمر لم يكن ذا أهمية لو تمت المحافظة بقوة على اللغة في المناطق الريفية؛ ولكن أنماط السلوك تجاه اللغة هناك تتغير

٣٢- Fishman (1987). وتحدث آخرون عن حرمان بعض اللغات من نطاقاتها: انظر Bamgbose (1997). وقد تم توضيح طريقة اختفاء اللغات في الهند بواسطة Annamalai (1998: 20 ff., 30) التي أشارت أيضاً إلى إمكانية تبديل اللغات نتيجة التعداد السكاني. وتصبح هوية اللغات مطموسة بسبب الواقع السياسي في حال تجميع متحدثي اللغات بعضهم حول بعض تحت اسم تجمع سكاني أو احتواء اللغة تحت لغة أكثر هيمنة.

٣٣- Adelaar (1998: 6).

باستمرار. إذ ينظر السكان الأصليون إلى لغاتهم على أنها مؤشر تخلف ورجعية، أو عوائق تقف حائلاً دون التطوير الاجتماعي. فهم لا يثقون فيها. والشعور السلبي قد يكون راسخاً جداً لدرجة أن السلطات عندما تفكر في عمل شيء، كتقديم مشاريع المساعدة الاجتماعية، وسن قوانين الحماية الرسمية للغة ـ يحجم السكان الأصليون عن هذه الجهود فيستقبلونها بعدم الحماس، أو الشك، أو العداء الصريح.

لكن الناس يكتسبون مواقفهم السلبية من مكان ما. فالمرء لا يولد مصحوباً بمشاعر الخجل وفقدان الثقة في النفس تجاه لغته. من أين أتى هذا؟ في الواقع أن كل الحالات، تبنتها ثقافة أكثر هيمنة، أعضاؤها يسمون الناس بمصطلحات مثل: أغبياء، وكسالى، وهمجيون (على الرغم من وجود دليل على المكتسبات الفنية العظيمة في ماضي الشعب، كما هو الحال في حالة المايا Mayas والأزتك Aztecs)* ويسمون لغتهم على أنها متجاهلة، أو متخلفة، أو مشوهة، أو غير ملائمة، أو حتى (في حالة بعض البعثات) إنها من صنع الشيطان. أكيرا ياماموتو Akira Yamamoto يقتبس عبارةً مطابقة، صدرت عن مفوض شؤون الهند في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر:"التعليمات الموجهة للهند بلغة الإقليم ليست غير مفيدة لهم فحسب، إنما ضارة

* لغات المايا عائلة من اللغات الأمريكية الهندية يتكلم بها نحو خمسة ملايين في منطقة تمتد من جنوب المكسيك إلى هندوراس. والأزتك هي دولة الأمريكيين الأصليين، حكمت ما يعرف الآن بالمكسيك (١٤٢٨-١٥٢١م)، ثم غزاها الأسبان. (المترجم).

لتعليمهم وحضارتهم"[٣٤]. هذه المواقف تم تعزيزها من خلال ممارسات تعاقب على استخدام اللغة المحلية. الكاتب الكيني نجوجي واثيونغ Ngugi wa Thiong استرجع مثل هذه الخبرات من أيام الدراسة، حينما كانت الإنجليزية معياراً تعليمياً[٣٥]:

> إحدى أكثر الأحوال ذلاً أن يتم القبض على أحدهم وهو يتحدث الجيكويو Gikuyu جوار المدرسة. المتهم كان يتعرض لعقاب جسدي – ثلاث إلى خمس ضربات بعصا الخيزران على أرداف عارية – أو يعاقب بأن يحمل لوحة معدنية معلقة حول عنقه مكتوباً فيها عبارات مثل "أنا غبي" أو "أنا حمار". وأحياناً يطلب من المتهمين دفع غرامات مالية لم يكن بوسعهم تحملها. وكيف كان المدرسون يقبضون على المتهمين؟ هناك كرة معدنية كانت تعطى لأحد التلاميذ والذي بدوره يسلمها لآخر تم القبض عليه متلبساً بتهمة التحدث بلغته الأم. والذي تكون لديه الكرة المعدنية نهاية اليوم عليه أن ينادي الاسم الذي كان قد سلمه الكرة وهكذا تتوالى العملية، فيظهر كل متهمي ذلك اليوم. ومن ثم فإن الأطفال يتم تحويلهم إلى مطاردي ساحرات ويتعلمون قبض ثمن خيانة مجتمعهم السابق.

ممارسات مماثلة تم رصدها في أجزاء عديدة من العالم، وليست فقط ذات علاقة باللغة الإنجليزية؛ على سبيل المثال، الفرنسية، والإسبانية، والبرتغالية، وسياستها القمعية كانت سائدة في إفريقيا وأمريكا اللاتينية. اللغة اليابانية بدورها قامت بقمع لغة الأينو Ainu في اليابان. لغات السكان الأصليين تكون ممنوعة أو محظورة في المدارس الداخلية. ويلز منعت من لغتها الويلزية، وفي القرن التاسع عشر على وجه الخصوص، تعلق قطعة خشب أو لوح صخري مكتوب عليه الحروف WN حول عنق أيّ تلميذ يتم القبض عليه وهو يتحدث اللغة الويلزية، ثم تنقل الخشبة إلى كل تلميذ يسمع وهو يستخدم اللغة الويلزية، والتلميذ الذي تبقى الخشبة معلقة في رقبته نهاية اليوم تتم معاقبته. وفي

٣٤- Yamamoto (1998s: 215).

٣٥- Ngugi wa Thiong'o (1986: 11).

آيرلندا كانت هناك ممارسة مشابهة لتلك. وفي أماكن أخرى كانت هناك ممارسات أخرى شائعة مثل غسل الفم بالصابون: كما وصفها رجل تلينجيتي Tlingit من ألاسكا: "كلما تحدثت بلغتي التلنجيتية* أشعر بأنني أتذوق طعم الصابون"(٣٦). ولكن ومهما تكن الآلية، فإن النتيجة كانت واحدة: شعور متزايد أو استحياء من استخدام اللغة خوفاً من الإدانة، ورغبة طبيعية لتحاشي تعريض الأطفال للتجربة نفسها. وإذا كان الناس يعتقدون، خطأ أو صواباً، أن لغتهم الموروثة هي التي أبقتهم متخلفين، وكأنهم سحبوا إلى الوراء فلم يتقدموا بسبب عدم قدرتهم على التحدث جيداً باللغة المهيمنة، فليس مدهشاً أن ينفروا من حفظ لغتهم فلا يدعمون مشاريع حماية اللغة (مثل التي تكون في المدارس). وعندما تعزز هذه النظرة من الشباب أنفسهم الذين يمكن أن يروا أن اللغة القديمة غير مناسبة، أو عائقة، ويرون في كبار السن الذين ما زالوا يتحدثونها تخلفاً وجهلاً، فمن المتوقع هنا أن تعم المواقف السلبية المجتمع، وتنتشر فيه بأكمله(٣٧).

---

* لغة السكان الأصليين لساحل شمال غرب أمريكا. (المترجم).

٣٦- إنّ مثال اللغة التلنجيتية Tlingit هو من Dauenhauer & Dauemhauer (1998: 65).ويتضمن أيضاً مناقشة مفيدة عن العوامل الكامنة وراء المواقف السلبية في استخدام اللغات الأصلية .انظر أيضاً (182 :1998) Mithun عن أميركا الشمالية . انظر أيضاً (183 :1998) Sawai فيما يخص لغة الآينو Ainu.

٣٧- الجدير بالذكر أيضاً أن المواقف السلبية يتم تعزيزها بسهولة من خلال الإشارات المتكررة إلى حالة اللغة المهددة بالانقراض وخصوصاً عندما تأتي هذه التصريحات من الغرباء. ومن الصعب غرس الحماس بين أفراد المجتمع إذا قيل لهم: إن لغتهم تموت أو "ميته" بالفعل. وهذا كان عاملاً في تراجع لغة Ainu وفقاً لـ Sawai (1998: 185).

إنّ المحاولة المتعمدة التي يقوم بها ناطقون بلغة ما، لسحق آخرين يتحدثون لغة أخرى، كثيراً ما يتم رصدها وتوثيقها، وعندما يكون هنالك دليل على أن هذا قد حدث فعلاً، كما هو الحال في مراحل مختلفة من التاريخ الاستعماري، شعر بعض المؤلفين بالحاجة إلى استخدام لغة درامية مناسبة، فتحدثوا عن اغتيال اللغة أو انتحار اللغة. استطاع هارولد بينتر Harold Pinter أن يجذب الانتباه بقوة إلى الطريقة التي يمكن بها أن يتركز التنافر أو التضاد على لغة ما، في مسرحيته "لغة الجبل" Mountain Language (١٩٨٨م، الفصل الأول)، إذ نجد في مشهد ضابطاً يخاطب مجموعة من النساء على النحو الآتي:

> **الآن اسمعن هذا. أنتن أهل الجبل. هل تسمعنني؟ إنّ لغتكن قد ماتت، إنها ممنوعة. ليس مسموحاً التحدث بلغتكن، لغة الجبل في هذا المكان. لا تخاطبن رجالكن بلغتكن، هذا غير مسموح به، هل تفهمن؟ لا تستطعن التحدث بها، إنها محظورة. لكن يمكن التحدث فقط بلغة العاصمة، فتلك هي اللغة الوحيدة المسموح بها في هذا المكان. فإذا حاولتن الحديث بلغتكن، لغة الجبل، في هذا المكان، فسوف تتعرضن لعقاب شديد. هذا أمر عسكري، إنه القانون. لغتكن محظورة. إنها ميتة. لا أحد مسموح له بالتحدث بلغتكن. لغتكن لم تعد حية.**

تلك هي بالفعل نغمات اغتيال اللغة. ومع ذلك فإن الموقف ذاك قد تم صنعه أو إنجازه بطريقة تجعل هذا المصطلح ليس مناسباً دائماً: مواجهاً بموقف حيث يتخذ الناس قراراً واعياً لإيقاف استخدام لغتهم، أو عدم تمريرها أو نقلها إلى أطفالهم، إذ يرونها عبئاً لا يطاق، الوصف الأفضل من ذلك قد يكون "انتحار اللغة". وهذا الأمر يحدث في أغلب الحالات عندما تكون الإنجليزية هدفاً مرغوباً فيه. فلماذا الحديث عن الإنجليزية "لغة قاتلة" وتبسيط الحالة بالرغم من أنها معقدة[٣٨]. إن تأثيرات اللغة المهيمنة تختلف بصورة واضحة في مختلف أجزاء من العالم، كما تختلف أنماط السلوك تجاهها. وجود اللغة الإنجليزية في أستراليا تسبب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، في تدمير لغوي كبير، إذ جعل ٩٠٪ من اللغات في مرحلة الاحتضار، ولكن الإنجليزية ليست هي اللغة المهيمنة على امتداد أمريكا اللاتينية، فإذا كانت اللغات في تلك المناطق في مرحلة الموت، فليس للغة الإنجليزية أي ذنب في ذلك. علاوة على ذلك فإن وجود لغة مهيمنة لا يؤدي تلقائياً إلى نسبة انقراض تصل إلى ٩٠٪. هيمنت اللغة الروسية مدة طويلة على دول اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية السابق؛ لكن التدمير الذي حدث للغات المحلية هناك قد تم تقديره بـ ٥٠٪ فقط[٣٩].

٣٨- لمناقشة أكثر منطقية لمصطلحات مثل "القتل" و"الاضطهاد" و"الانتحار" وعلاقتها باللغة انظر (Edwards 1985: 51-3). بينما هناك بعض الحالات التي يكون فيها استخدام مثل هذه المصطلحات مناسباً مجازاً. وتجدر الإشارة إلى استنتاجه: "مناقشات تدهور اللغة وموتها ستكون جيدة لتجنب مصطلحات مثل "القتل" و"الانتحار" والتأكيد على التعقيدات الاجتماعية التي تحصل فيها مثل هذه الظواهر" .

٣٩- Krauss (1992: 5).

جانب آخر من المعضلة يتمثل في الطريقة التي يتم المحافظة بها على اللغة المهددة بالانقراض عن طريق الاستعانة بحضور قوي من اللغة المهيمنة في الإقليم، وبهذا يجبر المتحدثون على التصدي للحالة التي يجدون أنفسهم فيها، ويعززون مستويات تنشيط دعم أفضل من المتوقع. حالة تقليدية هنا هي الدعم الدرامي الممنوح للغة الويلزية، الذي قاد إلى تشكيل مجتمع هذه اللغة Welsh Language Society (Cymdeithas yr Iaith Gymraeg) عام ١٩٦٢م، وعدد من ممارسات الناشطين كان أشهرها عام ١٩٨٠م حين قرر جوينفور إيفانز Gwynfor Evans، القيادي في الحزب الوطني الويلزي، بليد سيمرو Plaid Cymru، البدء في الإضراب عن الطعام حتى الموت، فأجبر الحكومة على التعهد باحترام الانتخابات وبثها على قناة تلفزيزنية ويلزية[٤٠]. وفي أمريكا الجنوبية، كان الاحتفال بمرور نصف قرن على وصول الأسبان في سنة ١٩٩٢م مشجعاً على تنظيم سلسلة من النشاطات الواسعة التي تدعم حقوق السكان الأصليين[٤١].

عندما ينظر إلى لغة أخرى على أنها مرغوبة ومفيدة إلى درجة كبيرة، فلا غرابة أن يرغب الناس في تعلمها؛ وإذا كانت تساعدهم على الاستمرار في الحياة، فهذا بكل وضوح أمر جيد. النقاش ليس في عدم تعلم الناس للغة المركزية، لكنه عن عدم حدوث التحدي الحتمي بين هذه اللغة الجديدة واللغة القديمة. إن الاعتزاز الذي يشعر به كل

٤٠- للاطلاع على مراجعة تاريخية، انظر Bellin (1984).

٤١- Grinvaled (1998: 142).

فرد حينما ينجح في اكتساب لغة جديدة ينبغي ألا يجعله، بأي حال، أقل اعتزازاً بلغته الأصلية. وإن كانت ثنائية اللغة أكثر تجلياً في مجتمع مركزي، فإن احتمالية التخلي الطوعي عن اللغة من الناطقين الأصليين بها تحدث بدرجة أقل، وفي هذه الحالة تكون المصطلحات التي يمكن أن تهدد اللغة الأصلية غير منتشرة[٤٢].

خاتمة

عوامل كثيرة تسهم في ظاهرة موت اللغة، لذلك فإن تشخيص الحالات المرضية يأتي دائماً معقداً. يحاول اللسانيون الاجتماعيون تحديد عنصر واحد يصلح أساساً لتوضيح الطريقة التي بها يتحول الناس من لغة إلى أخرى، ولكن كل هذه المحاولات محل خلاف. على سبيل المثال، أحد المقترحات يحدده حاجة الناس لاكتساب اللغة المهيمنة من أجل الحصول على عمل جيد (أو للتأكد من أن أطفالهم سوف يحصلون على عمل جيد): إنها فرضية معقولة في كثير من المناطق (إنها بالتأكيد تشرح نوع الحالة التي تم توضيحها في حكاية جوهانسبيرج التي تناولتها في صفحة ٤١) ، ولكن الفرضية ربما تكون أقل ملاءمة في حالات أخرى؛ إذ إنّ نوع نظام التعليم والإعلام، وطبيعة الضغوط السياسية،

٤٢– في حال انعدام هذه الروح في معظم البلدان المتقدمة سيكون من السخرية أنه كلما ازدادت اللغات لديك ستكون في أدنى السلم الاجتماعي. (Hale (1995: 5 هو من بين الذين لاحظوا هذه الفكرة، وفي عمله في آلوا Ulwa في نيكاراغوا أشار إلى أنّ أفراد أقلية تواكا Twahka: وهم في "أدنى الترتيب الاجتماعي" يحتاجون إلى خمس لغات ليحصلوا على هذا الترتيب.

تعد اعتبارات ذات أهمية أكبر. اللغات ليست مثل البشر في هذا الأمر؛ وليس من الممكن، عادة، كتابة سبب واحد في شهادة وفاة لغة ما.

ولأن هناك عوامل عديدة متداخلة في الموضوع؛ فإن اللغة عادة لا تموت بصورة منسقة. وربما تبدو عليها علامات الاختفاء في منطقة ما، ولكن ليس (بعد) في مناطق أخرى، ويحدث ذلك لسلسلة من الأسباب المختلفة. بعض الدول قد أوجدت أماكن للحفاظ الثقافي – مثل أماكن الحجز أو المحميات – حيث يمكن للغة أن تكون معافاة تماماً، بينما تموت بسرعة كبيرة في مكان آخر. في بعض الأحيان يأتي التغاير في الحيوية من خلال التنوع أو الاختلافات في تاريخ المستوطنات الطبيعية: في كولومبيا، سكان الجبال يحافظون على لغاتهم أفضل من أولئك الذين يعيشون في السهول والغابات المطيرة في آيرلندا، إقليم الساحل الغربي Gaeltacht يركز بصورة أقوى على اللغة الآيرلندية من أي مكان آخر[٤٣]. وبمعزل عن الحوادث الكارثية، فإن موت اللغة تدريجي ومتنوع، مع توجهات عامة تؤثر في مختلف الأفراد أو القطاعات في مجتمع معين بطرق مختلفة. وهذا سبب عدم ملاحظة مجتمع معين أن لغته في خطر، إلا بعد فوات الأوان.

بعض العوامل التي استعرضناها أعلاه نهائية بلا جدال، ولا خلاف في دورها المسبب، فلا نقاش مع تسونامي. ولكن مع سلسلة العوامل الثقافية، من الممكن رؤية

٤٣– فيما يتعلق بكولومبيا انظر Seifart(1998) ، وفيما يتعلق بآيرلندا انظر John Edwards (1985: 53 ff.). وفيما يتعلق بالحالة المشابهة في أسكتلندا انظر Watson (1991: 41–59).

عدد من النتائج، معتمدة على طبيعة تاريخ البلد وظروفه، والسياسات المتعلقة بلغة البلد (إن كان لديها)، وعلى المدى الذي يعتمد فيه تخطيطها الإستراتيجي على الموارد ومدى درجة إنجاز ذلك التخطيط. يمكن أن يكون لنمو سكاني شأن في داخل مجتمع أصلي بأن يجعل عدداً أكبر من الأفراد قادرين على استعمال لغة (بالرغم من أنّ هذا العامل يصبح عقيماً إذا كانت مواقف الآباء منفرة). ستكون النتائج الإيجابية أكبر إذا كان لدى المجتمع إحساس قوي بالهوية الثقافية أو الدينية، ويتم الزواج من الجنسية نفسها، ومع وجود حرف يدوية نابضة بالحياة، وتقاليد أدبية. قدرات المجتمع على تحقيق ذاته في وسائل الإعلام المحلية لها أهمية كبيرة – فقد كان ذلك عاملاً أساسياً في مواجهة الانحطاط الذي أصاب اللغة الويلزية، على سبيل المثال. إنّ جلب الأجانب قد يكون عاملاً مساعداً وقد يكون عامل إعاقة، اعتماداً على مدى ما يمثله وجودهم من خلال النظر إليه على أنه تهديد (ديني أو ثقافي أو سياسي). وبعد المجتمع عن المجموعات الأخرى يعد أمراً حاسماً. وبالفعل بعضهم يقول بأن الطريقة الوحيدة للغة صغيرة للبقاء على قيد الحياة هي أن يظل الناطقون بها في منأى عن غيرهم، وهو خيار نادر الحدوث في العصر الحالي.

إن القوى التي تتسبب في موت اللغة هائلة العدد حتى إنه من الصعب معرفة الأعداد التي يمكن مواجهتها. إن تصور لغة واحدة لكل أمة خلال مئات قليلة من السنوات، ومن ثم لغة واحدة لكل العالم، الذي أكده عدد من العلماء، يبدو

حقيقياً[٤٤]. ومن المرجح أن مخزون اللغة يمكن تجديده بقدر ما، بالطبع، من خلال تطوير أو تنمية لغة جديدة: كما رأينا في الفصل الأول (ص ٣٤، ٣٥)، فبعض تنوعات اللغة الإنجليزية الجديدة تؤهلها بما فيه الكفاية لأن تصبح لغات مستقلة لانفصالها (إنجليزية الأسكتلنديين Scots وإنجليزية الأمريكان من أصول إفريقية Ebonics وإنجليزية أستراليا Australian Aboriginal English وإنجليزية السنغافوريين Singlish وهكذا). إنّ القوى التي تجعل حالياً اللغة الصربية والكرواتية والبوسنية تختلف بصورة مستمرة كل واحدة عن الأخرى، يمكن في يوم ما – مع أنه بعيد إلى الآن – أن تصنع ثلاث لغات متبادلة غير مفهومة. وعلى الدوام تظهر أنماط جديدة من التهجين. ولكن ليست هناك أمثلة عديدة لمثل أيّ درجة من درجات هذه الأنماط. وكما وضعها مايكل كراوس Michael Krauss: "نحن لا ننظر إلى الأمام لإعادة التنويع وتعويض الخسائر المهمة"[٤٥]. ولكن يضيف: "ومع ذلك، فإن درجة تلك الخسارة يمكن أن تتأثر بمدى استجابتنا للتهديد. إن الفرق بين أفضل السيناريوهات وأسوئها، هو الفرق بين خسارة نصف (لغات العالم) وبين خسارة ٩٥٪، ويظل هذا الفرق عظيماً جداً، وبالفعل هو كذلك. وهو الإدراك المتزايد بأن الاستجابة للتهديد أمر ممكن، وهو الذي أعطى الدافع لسرد كمٍ هائلٍ من النشاطات في الفصلين الرابع والخامس.

٤٤– على سبيل المثال، Dixon (1997: 140,148).

٤٥– Krauss (1998: 106).

٤ من أين نبدأ؟

مواجهة مشكلة على هذا المستوى العالمي، ومحدودية الإطار الزمني في جوانب متعددة، توضح الحاجة لعمل منسق يتسم بالتأني والحذر. وهناك الآن دراسة حالات كافية للتنشيط في جميع أنحاء العالم توضح أنّ خسارة لغة ما ليست أمراً لا يمكن تجنبه دائماً. ومن خلال مجتمعات السكان الأصلية، ومجموعات الدعم المحلية، والهيئات الخارجية، يمكن أن يُقدم الكثير، وبالفعل قد قدم الكثير. وقد نما اهتمام لساني محترف بصورة ملحوظة خلال التسعينات*، كما لاحظنا في التمهيد. وفي ذلك العِقد أيضاً أخذ الوعي الدولي لحقوق اللغة خطوةً مهمةً للأمام، ولاسيما في الإعلان الذي صاغته جامعة برشلونة لحقوق اللغة[١]. وفي الوقت نفسه، أدّى الاهتمام المتزايد إلى بداية الكشف عن التعقيدات الحقيقية للوضع. وخلافاً لما يبدو، من النادر أن يكون مفهوم اللغة بالبساطة والوضوح اللذين يظهر بهما، ومهمة تسجيل لغة ما مهددة بالانقراض تبيّن لنا العديد من العقبات الخفية حتى وإن كانت واضحةً وسهلةً نسبياً. ونحن بحاجة إلى إعادة النظر للوضع كاملاً دون التقليل من شأن الصعوبات، كما لاحظت إحدى فرق البحث[٢]:

---

* المقصود خلال المدّة من ١٩٩٠م إلى ١٩٩٩م. (المترجم).

١ وثيقة أعدت خلال أكثر من سنتين، أعدها نادي PEN العلمي للترجمة، ولجنة الحقوق اللغوية، ومركز Escarré الدولي للأقليات والأمم، العرقية بدعم معنوي وتقني من اليونسكو، فنشروا لاحقاً مؤتمراً دولياً عام ١٩٩٦م. شاركت فيه نحو تسعين دولة. ومناقشة محتوياته لا تزال قائمة وقت الكتابة. والعمل مستمر نحو الاتجاه إلى صنع اعتراف دولي من الأمم المتحدة. انظر الملحق لمعرفة تفاصيل الاتصال.

٢ Dauenhauer and Dauenhauer (1998:78) .

االلغات بكل تأكيد سوف تموت ما لم نفعل شيئاً، ولكن في الواقع مهما نعمل من أجل بقائها فإنها من المحتمل أن تنقرض أيضاً؛ مما يجعل الوضع متناقضاً، إذن، ماذا نفعل؟

هذا هو السؤال الذي سوف نحاول الإجابة عنه في بقية هذا الكتاب. إذن، من أين نبدأ؟

تأسيس الأولويات الأهم

الأولويات الأهم، كما يبدو، هي جمع المعلومات، واتضح لنا في الفصول السابقة أنّ اللغات على مستوى واحد من الخطر، فبالرغم من أنّ هناك نحو ثلاثة آلاف لغة مهددة بالانقراض؛ إلا أنه من الواضح أنّ بعضها في مراحلها الأخيرة، وبعضها لا تزال الحياة تدب فيها بقدر كبير. ونظراً لمحدودية الوقت، وقلة العاملين وقلة المصادر، فإنّ تحديد الحالات الأهم أصبح حاسماً. وقد كان ذلك هو الدافع الرئيس لمختلف المنظمات المعنية باللغات المهددة بالانقراض خلال التسعينات (انظر الملحق)، وعلى وجه الخصوص مركز التبادل الدولي للغات المهددة بالانقراض في طوكيو. إنّ تقصي الحقائق وتحديد الأولويات هي الاحتياجات الملحّة الآن. وهنا عبارة تقليدية من واحدة من المنظمات الدولية تشير إلى الفكرة نفسها: "إنّ الخطوة الأولى لإنقاذ اللغة يجب أن تكون من خلال تقويم مفيد للوضع الراهن للغة"[٣]. واتفق محررون لمجموعة من المقالات

---

٣ Ostler (1997: 5).

الحديثة على "أنّ إمكانية التنبؤ بالصورة اللغوية العالمية على المدى الطويل أصبح حقيقة ممكنة وذلك فقط من خلال بيانات تفصيلية وشامله عن لغة نشطة"(٤).

ولكن جمع المعلومات لا ينبع من فراغ؛ فأيّ نوع من المعلومات يتعين جمعها؟ الحقائق عن أعداد المتحدثين، كما رأينا في الفصل الثالث، هي واحدة فقط من المعلومات التي نحتاج إلى معرفتها. تماماً كما هي مهمة معرفة حقيقة السياق الذي يعيشه المتحدثون، ومعرفة حقائق المواقف وأساليب التعبير التي يستخدمها المتحدثون أنفسهم والمجتمع الذي ينتمون إليه. والأمر ذو الصلة هنا هو الحيوية اللغوية وإمكانية تنشيطها، ومن أجل ذلك يحتاج التقويم إلى أن يأخذ بعين الاعتبار الحقائق التالية للمتحدثين: الطلاقة، والدقة، والمستويات العمرية، وكل ذلك من أجل التوصل إلى تقويم سليم يؤدي إلى الاستمرار. وبالفعل، ما عدد الأنواع المختلفة ذات الصلة بالحقائق هناك؟ ما الفرق بين المعلومات المفيدة والمعلومات غير المفيدة؟ نحن بحاجة أيضاً إلى بنية نظرية واضحة لتوجيه تقصي الحقائق، وتبني مبادئ توجيهية للتقويم والتشخيص. ومن شأن هذه البنية أن تثمر نتائج بإمكانها تحديث المتغيرات ذات الصلة، والعوامل المشاركة في الخطر، وتجعل بينها علاقة تبادلية، وسوف تولد هذه النماذج فرضيات تجريبية عن مسائل مثل: معدل الانخفاض، أو مراحل الإحياء. فمن الواضح أنه لا يمكن أن يكون هناك إجراء موحد، بالنظر إلى أنّ هناك أنواعاً عديدة من المخاطر، وهناك سبلاً عديدة للمساعدة أيضاً. وكل المجتمعات لديها أنواع مختلفة من الأساليب وطرق النطق تتعلق بلغتها، كما رأينا سابقاً. وقد يمثل

---

٤ Grenoble and Whaley (1998a: viii) ولمثال على طريقة استبيان مفصل لجمع الحقائق، انظر Mikhalchenko (1998).

التصنيف اللغوي كل ما يمكن تحقيقه في المستقبل القريب، وبه تتحدد أوجه الشبه والاختلاف بين الأوضاع اللغوية الخطرة، ولكن للوصول إلى تلك النقطة، نحن بحاجة إلى بنية نظرية تحقق قدراً من الإجماع. وليس من الجيد تأجيل هذه الخطوة إلى أن "نعرف كل الحقائق"؛ فلن نظفر أبداً بهذه الحقائق كاملة.

حتى هذه اللحظة، وأنا أكتب هذا الكتاب، لا وجود لمثل هذا الإطار؛ لأن الدراسات التي تعنى باللغات المهددة بالانقراض لا زالت في مرحلة تستخدم فيها الأطر المرجعية والمصطلحات المتنوعة على نطاق واسع. بل إنّ هذا الموضوع برمته ليس له اسم متفق عليه [٥]. مصطلحات مثل زائل *obsolescent* ومحتضر *moribund* ومهدد بالانقراض *endangered* لازالت توظف في مجموعة مختلفة من الحالات. والناس المتأثرون يوصفون بطرق مختلفة (مثال: أواخر المتحدثين *terminal speakers* وأشباه المتحدثين *semi-speakers*). ولم يُوظف المجاز للكتلة الحرجة (اللازمة من أعداد المتكلمين للحفاظ على لغة) على نطاق واسع؛ فقوائم العوامل المعروفة أسبابها منتقاة وانطباعية (مثلما جمعته في الفصل الثالث) ومحفزة جداً من دراسات حالات منفردة ومختلفة، ولكنها تفتقر إلى إمكانية التعميم. وكي تكون القضية مقدرة أُجرِيت دراسات وافية لمجموعة واسعة من الأماكن بصورة كافية، وأخذ التحليل مكانة كبيرة؛ لأن الحاجة الملحة ألهمت العديد من المقترحات المتخصصة عن سبل تحسين أوضاع اللغات المهددة بالانقراض.

---

٥ اقترح ماتيزوف Matisoff (1991: 201, 224) مصطلح *Perilinguistics* . وأنا أفضّل شخصياً مصطلحاً له صدى أكثر وهو *preventive linguistics* "اللسانيات الوقائية". قارن مع صفحة ١٤٦-١٤٧.

وعلى مستوى القاعدة الشعبية، يجب أن يكون هناك عمل ضخم "لإعادة اكتشاف العجلة"، يشمل جميع أنحاء العالم، وعندما يشكك الباحثون ومستشارو المجتمع في ما إذا كانت المبادرات الأخرى والخبرات التي لا تنطبق عليهم، يعززون نشاطات من صنع أيديهم. وفي ظل الاستعجال، وفي حال الذعر، تبدو فلسفة "أي شيء أفضل من لا شيء" مفهومة ومنتشرة على نطاق واسع. لكننا نعلم، من حقول علمية أخرى، مثل: علاج النطق، وتدريس اللغات الأجنبية، أنّ سياسة "الغوص"، أو ملامسة الاحتياجات الأهم يمكن أن تؤدي إلى نتائج غير فعالة وقصيرة المدى. في حقل يضيق فيه الوقت، ويشح المال، تبدو الحاجة للحفاظ على بعض المستويات النظرية المترابطة من الطلبات الملحة لتحقيق عمل تجريبي، وهذا في قمة الأولويات.

وقد أُحرز بعض التقدم منذ دعوة إينار هاوجين Einar Haugen لتجاهل دراسة "التصنيف البيئي" الذي يعطينا شيئاً عن مكانة اللغة ومصيرها والمقارنة بينها وبين لغات العالم الأخرى [٦]، ولكن معظم العمل كان ذا صلة باللغات بشكل عام، أو بلغات الأقليات، بغض النظر عما إذا كانت مهددة بالاندثار أو لا. وبطبيعة الحال يمكننا أن نكثف مقترحات في هذا الاتجاه، وقد بذلت بعض الجهود لتحقيق ذلك. مثل "الإطار التصنيفي" الذي وضعه جون إدواردز John Edwards للغات الأقليات، وميّز أحد عشر عاملاً ذا صلة، يُطبق كل عامل على لغات مختلفة وعلى متحدثيها والشؤون التي يتحدثون عنها: سكّاني، اجتماعي، لساني، نفسي، تاريخي،

٦ Haugen (1971: 25). هذا عنوان أطلق على مجموعة المقالات التي جمعها Haugen "بيئة اللغة" (1972) Haugen.

سياسي، جغرافي، تعليمي، ديني، اقتصادي، تقني [٧]. وفي التركيز على اللغات المهددة بالانقراض، اقترح لينور غرينوبل Lenore Grenoble وليندسي والي Lidsay Whaley أنّ محو الأمية هو عامل إضافي، واقترحا تنظيماً هرمياً لجميع العوامل مع إعطاء الأولوية للجانب الاقتصادي. وقاما بتوسيع النموذج بإضافة مستويات مختلفة من التأثيرات الخارجية في اللغة: محلية، إقليمية، وطنية، دولية [٨]. وهذا هو بالضبط أسلوب تطوير الإطار التصنيفي من خلال الأثر الثقافي في ضوء دراسة الحالات. ولا شك أنّ بعض العوامل تحتل مكانة عالية في معظم الحالات وأبرزها القوة الاقتصادية والحالة الاجتماعية، وكثرة المتحدثين. لكن تأسيس الأولويات يحتاج إلى وقت. وعلاوة على ذلك، هناك بعض القضايا اكتشافها بالغ الصعوبة مثل: تقويم مستوى قدرة فهم الفرد أو تحديد كفاءة المتحدث في إجادة مجموعة من الخصائص الأسلوبية في اللغة.

إنّ تلمس الحقائق وتبني إطار نظري يمكن أنّ يمثلا وجهين لعملة واحدة، وبوجود هذه العملة يمكننا أن نسير قدماً. ما نفعله بالعملة هو دفعها لتؤدي الوظيفة التي لابد من القيام بها. ومن المهم أيضاً أن نعرف التكاليف المترتبة على ذلك، أو على الأقل، ترتيبها من حيث الأهمية. وفيما يتعلق بمسألة المواجهة الأولية للعناية باللغة قدّرت مؤسسة مسؤولة عن اللغات المهددة

---

٧ Edwards (1992).

٨ Grenoble and Whaley (1998b).

بالانقراض[٩] أنّ مبلغ ٣٥٠٠٠ جنيه إسترليني (٥٦٠٠٠ دولار أمريكي) للغة الواحدة، سوف يوفر قواعد أولية، وقاموساً للغة، ويفترض أنّه يحتاج ما يقارب سنتين من عمل لغوي واحد. وجاء في تقدير ديكسون Dixon في ذلك: إنّنا إذا أردنا أن نعمل عملاً جيداً فنحن بحاجة إلى أن يعمل اللغوي الواحد ثلاث سنوات ولن تكون ٢٠٠٠٠٠ دولار أمريكي (١٢٥٠٠٠ جنيه إسترليني) كثيرةً إذا أخذنا في الاعتبار مقدار الراتب، ورسوم أتعاب مستشاري اللغة الأصلية، والسفر، والمعدات، والإقامة، ونشر النتائج، وتوفير مرافق بسيطة لتفعيل العمل[١٠]. وجردتس Gerdts له وجهة نظر أوسع، من خلال دراسات عميقة، فقد أضافت أرشيفاً سمعياً بصرياً مطوراً ومجموعة واسعة من المواد التعليمية والمنشورات، تحتاج إلى خمس عشرة سنة من الدراسة وهذا كله قد يكلف نحو مليوني دولار أمريكي (١,٢٥ مليون جنيه إسترليني) للغة الواحدة[١١]. والظروف تختلف كثيراً بحيث يصعب التعميم، ولكن ٤٠٠٠٠ جنيه إسترليني (٦٤٠٠٠ دولار أمريكي) في السنة للغة الواحدة لا يمكن أن تكون بعيدة عن الحقيقة. لو خصص هذا المبلغ خلال ثلاث سنوات لكل حالة من ٣٠٠٠ حالة من الحالات المذكورة في الفصل الأول، سوف يكون إجمالي المبلغ ما يقرب من ٣٦٠ مليون جنيه إسترليني (٥٧٥ مليون دولار أمريكي). هذا المبلغ قد يكون كبيراً، ولكن دعونا ننظر إليه من زاوية أخرى، فهو يساوي إنتاج يوم واحد من أوبك (خلال سنة عادية).

---

٩. Editorial, in Iatiku 1. 1.

١٠. Dixon (1997: 138).

١١. Gerdts (1998: 14).

إنّ جمع الأموال على المستوى العالمي، أو الوطني، أو الإقليمي، أو المحلي، من أهم الأولويات، والدعم المالي لا يأتي إلاّ إذا شعر الناس واقتنعوا بأنّ هذا الأمر يستحق ذلك الدعم (انظر الفصل الثاني). وتعزيز المناخ الفكري يجب أن يتم بالتوازي مع النشاطين المذكورين أعلاه، وهو ما يعني مجموعة واسعة من العلاقات العامة والمبادرات السياسية. ويجب أن تحتل اللغات المهددة بالانقراض مكانة أعلى في نظر الجماهير، وهو ما يعني الاستفادة القصوى من وسائل الإعلام وقيام الحملات الدعائية المناسبة. وعلى الرغم من أنّ كثيراً من المجالات ذات الاهتمام العالمي جلبت التأييد الشعبي من خلال تعيين "أيام" و"أسابيع" و"شهور" و"سنوات" رسمية؛ فعلى سبيل المثال عام ١٩٩٧م كان عاماً عالمياً للشعاب المرجانية، وعام ١٩٩٨م كان عاماً للمحيط، ولكن اللغات المفقودة أو المنقرضة أو المهددة بالانقراض لم تحظ بمثل هذا الاهتمام[١٢].

ولعل عدم وجود توعية باللغات المهددة بالانقراض يعد مظهراً آخر من مظاهر النقص العام في الوعي بأهمية اللغة بين الجماهير. وبالتأكيد، هذه ليست المرة الأولى التي يشكو فيها اللسانيون من الغياب الواضح للاهتمام الشعبي بمجال عملهم، ومن ضعف مستويات الاستثمار الأمثل أو قلة المصادر أو الرواتب الضعيفة نسبياً التي وضعت للتخصصات اللسانية. إنّ علاج اللغة والكلام (أو علم الأمراض اللغوية) هو أحد هذه الحقول التي جرت بشأنها نقاشات مماثلة جداً للنقاشات التي تراجع حالياً فيما يتعلق باللغة وتعرضها للخطورة، وقد تكررت المناداة

---

١٢ على الرغم من ذلك، نظّم المكتب الأوروبي للغات الأقل استعمالاً اليوم الأوربي الأول للغة في ١٢ إبريل عام ١٩٩٧م.

بالاهتمام بعلاج اللغة والكلام منذ السبعينات[١٣]. وربما كان المناخ السائد حالياً. عانى جميع اللسانيين من عواقب وخيمة تتعلق بدراسة اللغة التي لطالما عاشت بين عامة الناس، وهذه نتيجة حتمية (في رأيي) لتوجيه الناس لمدة قرنين نحو تدريس اللغة، وللإصرار على نقائها مما أُنتج عقلية تتوجس من التنوع والاختلاف وتغيير المصطلحات؛ فسحقت أصولاً لاتينية ذات فوائد طبيعية لمعظم الناس المتصلين بها[١٤]. وليست مهمة تدريس اللغة سهلة، فقد ثبت أنّه من الصعب للغاية أن ننقل حقائق اللغة دائماً إلى الجمهور، لكون اللغة بطبيعتها تجريدية ومعقدة. ولكن كانت هناك حالات ناجحة بما فيه الكفاية لعرض اللغة من خلال الكتب والإذاعة لإثبات أنّ مهمة التدريس عن اللغة يمكن القيام بها، وعند ذلك تكون هناك استجابة واهتمام على نطاق واسع، ومعظم الناس لهم فضول بدهي تجاه الأمور التي تتعلق باللغة (على الأقل، تجاه لغتهم الأم) سواء أكان تاريخ الكلمات، أم اللهجات المحلية، أم أصول الأسماء الشخصية وأسماء الأماكن. ولحسن الحظ، هناك دلائل واضحة على أنّ البنية تتغير الآن فيما يتعلق بتشكيل مناهج لسانية حديثة في عدة مناطق من العالم، حيث اتبع أسلوب الإثارة في تدريس اللغة، إذ يقوم به أجيال جديدة من المعلمين[١٥]. ولكن بالطبع هناك أمد لا مفر منه أمام الطلاب الذين

---

١٣ انظر على سبيل المثال بعضاً من النقاشات عند Crystal (1982).

١٤ وقد واجهت شخصياً مثالين عن هذه النتائج: عندما سنحت لي الفرصة أن أسأل مدير شراء الكتب في سلسلة رئيسة في المملكة المتحدة عن عدم توافر سلسلة كتب اللسانيات على الرفوف، فأجابني: إنه من الصعب شراؤها. وتحدث عن ذكرياته السيئة عن القواعد التقليدية في المدرسة. كما واجهت ردة فعل مماثلة في عدة مناسبات (في شركات إذاعية مختلفة) عندما سألت عن عدم وجود سلسلة أفلام إذاعية عن اللسانيات في التلفزيون أو الراديو.

١٥ انظر المناقشات عند Brumfit (1995), Sealey (1996), Crystal (1999).

يستفيدون من هذا التعليم للوصول إلى مواقع مؤثرة في المجتمع، وليشكلوا فوارق ملحوظة عند التعبير عن آرائهم. ونتيجة لذلك، فإن تعزيز موقف علني جديد نحو اللغة بشكل عام (ونحو اللغات المهددة بالانقراض على وجه الخصوص) لا يزال يمثل أولوية معاصرة.

لقد شاهد العديد من اللسانيين الذين شاركوا في هذا العمل الحاجة إلى الانخراط مع السياسيين والهيئات العامة لجذبهم نحو التفكير في السياسات والممارسات اللغوية. وقد نقلها أحدهم على النحو الآتي[١٦]:

> هناك العديد من الطرق للعمل نحو إبطاء تآكل التنوع اللغوي منها مهمة واحدة هي تطوير وتنويع الطرق التي يمكن أن يحدث بها من أجل الانخراط مع الناس العاديين من غير اللسانيين وفتح مجالات مبتكرة من التفكير والعمل.

المشكلة تتباين من بلد إلى آخر. ففي الدول الاستعمارية السابقة، على وجه الخصوص، يتعين على اللسانيين التعامل مع قلة الخبرة العامة بثنائية اللغة؛ مما يجعل الأمر أكثر صعوبة مما يتوقع لإيصال الرسالة. وكلما زاد تكثيف التعليم للغات الأجنبية في الدولة، سواء في المنزل أو في المدرسة، أصبحت المهمة سهلة. والهدف الرئيس هو تنمية شعور الناس بقيمة اللغة، وماذا يفقدون حينما تموت اللغة، وهذا النوع من النقاش روجع في الفصل الثاني. وهناك حاجة ملحة لتطوير طرق الحديث التي لا تنسى، وتطوير الاستعارات والنظر للغة على أنها ثروة وطنية، أو سبب للتقدم، أو مورد طبيعي. إنّ العلاقة ثنائية الاتجاه مع البيئة تحتاج إلى تطوير، ليس لعمل إطار بيئي للإشارة إلى مناقشة اللغة فقط، إنما قضايا اللغة في حاجة إلى أن تصبح جزءاً من

---

١٦ Rhydwen (1998: 104).

التفكير البيئي العام[١٧]. فمؤتمرات وحملات البيئة بحاجة إلى أن تضم اللغة على أنها جزء من اختصاصها. بالفعل هناك قلق عام بشأن المحافظة، كما حصل في العديد من الحملات البيئية الوطنية المتعلقة بالمناخ، وعلم الأحياء والتراث : ونحتاج الآن إلى التركيز على اللغة. وكان هذا هو الدافع الرئيس إلى تأسيس جماعة من جماعات الضغط الجديدة، خلال التسعينات، وهي جماعة تيرالينجوا Terralingua (انظر الملحق) وأحد أهم أهدافها:

> **لإلقاء الضوء على الصلات، بين التنوع الثقافي والتنوع البيولوجي، ينبغي إقامة علاقات عمل مع المنظمات العلمية/المهنية والأفراد الذين يرغبون في الحفاظ على التنوع الثقافي (منهم: اللغويون والمربون وعلماء الأنثروبولوجيا ورجالات الثقافة والمحامون المحليون، وجغرافيو الثقافة وعلماء الاجتماع، وغيرهم) والذين يرغبون في الحفاظ على التنوع البيولوجي (مثل: علماء الأحياء، وعلماء النبات، وعلماء البيئة، وعلماء الحيوان، وجغرافيي العلاج الفيزيائي، وعلماء الأجناس البشرية، وعلماء الطبائع البشرية، ودعاة الحفاظ على البيئة، ومحامي البيئة، والمشرفين على المصادر الطبيعية، وغيرهم) وبالتالي تعزيز المحافظة المشتركة واستمرار التنوع الثقافي والأحيائي.**

في البلدان التي يكون فيها التركيز على اللغة موجوداً فعلاً، مثل ويلز، وكيبيك، حيث القضايا اللسانية في الأخبار يومية، ولا يزال هناك حاجة إلى العمل؛ فإن تعزيز الوعي والاهتمام بالمشكلة، وكأنها موجودة في جميع أنحاء العالم، أمر لا بد منه؛ لأنّ جميع الأقليات واللغات المهددة بالانقراض ستستفيد من زيادة الوعي العالمي بالتنوع اللغوي. إنّ أنصار اللغة في كل مكان يعملون في الميدان نفسه، ولكنهم بحاجة إلى أن يدركوا هذا، وأن يبتكروا السبل اللازمة

---

١٧ عقد أول اجتماع مشترك عن فقدان التنوع الثقافي والأحيائي مع تركيز على اللغة في جامعة كاليفورنيا، بيركلي عام ١٩٩٦م، " اللغات المهددة بالانقراض، المعارف المهددة بالانقراض، البيئات المهددة بالانقراض". راجع التقرير في Iatiku 16–14 .4. والدعوة إلى منظور بيئي للغة تعود إلى الجيل السابق، وهناك بحث لم ينل حظه من الاهتمام قام به هوجين Haugen (17 :1971) : بيئة اللغة يمكن تعريفها كدراسة للتفاعلات بين اللغات وبيئاتها..... اللغات موجودة فقط في عقول مستخدميها وهي تقوم بوصل هؤلاء المستخدمين بعضهم ببعض وبالطبيعة وبعبارة أخرى بيئتهم وطبيعتهم الاجتماعية.

للعرض والتمويل[١٨]. وبالرغم من أنّ هناك منظمات الآن تعمل على تواصل المهنيين بعضهم مع بعض، إلا أنّهم لم يحرزوا إلا تقدماً محدوداً في آليات تعزيز التعاون الدولي المستند إلى قاعدة شعبية. قد تكون هناك أجزاء من العالم خدمت نسبياً: أوروبا على سبيل المثال، لديها المكتب الأوروبي للغات الأقل استخداماً the European Bureau of Lesser Used Languages، أنشئ سنة ١٩٨٢م، مع نشرته المنتظمة للمعلومات تحت اسم Contact "اتصال" (انظر الملحق). كما أن هناك منشورات على أوقات متقطعة من خلالها يستطيع الناس من مختلف القوميات أن يعرّفوا بعضهم بعضاً وضع اللغة في بلدانهم[١٩]، وهناك استخدام متزايد للشبكة العنكبوتية لخدمة هذا الغرض. وعلى سبيل الإجمال وبصرف النظر عن الأقلية السياسية، والناشطين اللغويين، واللسانيين، فإنّ الناس في جزء من العالم لا يدركون ما يجري في أماكن أخرى. إنّ الحاجة إلى منظور عالمي يوضح تعرض اللغة للخطر هو أمر ضروري، والتأكيد على أهميته لا يعد نوعاً من المبالغ، إذ المسألة ليست فقط شرح الحالات وتقديم الحلول ليتعلم الناس من بعضهم. والناس في حاجة إلى الدعم المعنوي والتشجيع، خصوصاً عندما يواجهون الحكومات المتمرّدة، وهم في حاجة إلى الوعي بأنّهم ليسوا وحدهم، وأنّ هناك قنوات يمكن استخدامها للحصول على تعاون دولي من شأنه أن يحدث فرقاً في الإنجاز.

---

١٨ قد يبدو هذا توقعاً غير حقيقي؛ فمن الطبيعي أن يشغل مجتمع السكان الأصليين بحالته نفسها، ومن غير المتوقع أن يبدي اهتماماً بأحوال اللغات المهددة بالانقراض في أماكن أخرى من العالم. ومستويات الاهتمام المتبادل والنشاط الذي تحقق في أوروبا وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية في السنوات الأخيرة ليس مألوفاً في أكثر الأماكن، وهو يتجه إلى التركيز الأقليمي كذلك.

١٩ Iorwerth (1995).

في إطار الدولة الواحدة لا يحتاج الناس إلى تغيير آرائهم؛ لأنّهم ليسوا في حاجة إلى تبني آراء إيجابية نحو اللغات المهددة بالانقراض، فعند ذكر المعلومات ذات العلاقة تتحرك المشاعر، وتثار النقاشات، وتأخذ الأعمال الأدبية دورها البارز في هذه المسألة. ولا تزال هناك قليل من القصائد والمسرحيات والروايات والأجناس الأدبية الأخرى موضوعها هو مفهوم اللغة[٢٠]. ولا ينبغي أن نهمل الاهتمام بالموسيقى، والرسم، والنحت، وغيرها من أشكال التعبير الفنية. ولنأخذ مثالاً واحداً من مكان واحد في عام واحد: قطعة من النحت في نيويورك من ١٩٩٧م إلى ١٩٩٨م[٢١]. هناك تقرير، ربما كان ملفقاً، عن الحدث الذي وقع للمستكشف ألكسندر فون همبولت* Alexander von Humboldt والبحث عن مصدر أورينوكو Orinoco في أمريكا الجنوبية في عام ١٨٠١م، إذ التقى ببعض هنود الكاريبي الذين كانوا قد أبادوا مؤخراً قبيلة مجاورة (ربما مجموعة ميبيور Maypuré) واستولوا على بعض الببغاوات المحلية التي كانت تتبع لهذه القبيلة. ولا تزال الببغاوات تتحدث بكلمات للغة انقرضت، وفون همبولت Von Humboldt – كما تذكر القصة – كان قادراً على تدوين بعض تلك الكلمات. وسمعت راتشل بيرويك Rachel Berwick، أستاذة النحت في جامعة يل، بهذه القصة، ورأت احتمالات جاذبيتها

---

٢٠ الأمثلة تضم: مسرحية هارولد بنتر Harold Pinter "لغة الجبال" عام ١٩٨٨م، شعر مارغريت اتوود Margret Atwood "لغات المستنقع"، في (1995) *Morning in the burned house*، القصة القصيرة التي كتبها ديفيد معلوف David Malouf "المتحدث الوحيد بلغته" عام ١٩٨٥م، ومسرحيتي "الحياة إلى الأمام" *Living on* عام ١٩٩٨م.

٢١ روجع في (1998) Holt.

* رحالة وعالم طبيعة ألماني (١٧٦٩–١٨٥٩م)، اشتهر برحلاته الاستكشافية في كل من كوبا، وأمريكا الوسطى، والجنوبية. (المترجم).

فقامت بإعداد عمل فني مبني على أساس ذلك؛ إذ قامت بتصميم سياج خاص يظهر منها ببغاوان من الأمازون كانا قد تدربا على بعض كلمات قبيلة ميبيور Maypuré. وقد عرض ذلك في أماكن متفرقة خلال عامي ١٩٩٧م و ١٩٩٨م. وبكل المقاييس يركز هذا العمل على الذهن بصورة رائعة. إذا كان هذا هو النحت فما بالك بالموسيقى؟ هل هناك سيمفونية للغات التي تموت؟ وهل أقيمت حفلة لموسيقى البوب لدعم إسعاف اللغة؟ كم هو جيد أن نرى بعضاً من هذه المبادرات في العقود الأولى من الألفية الجديدة.

إنّ المبادرات المنطلقة من القاعدة إلى القمة هي أيضاً أولوية قصوى للغاية؛ لأنّها تساعد على تشكيل أرضية خصبة تمثل الرأي العام الذي يقود الحكومات إلى العمل. إنّ قدراً كبيراً من العمل الموجه من القمة إلى القاعدة قد أُنجز على الأقل في الأقاليم التي ينشط فيها مساندو لغات الأقليات. ولكن النشاط القوي لصالح لغات الأقليات غائب أو أوقف في أجزاء كثيرة من العالم. فقد تكون الحكومات غير مبالية أو تتخذ مواقف عدوانية (انظر الفصل الثالث). ويمكن التلاعب بإحصائيات المتحدثين أو تشويهها. حتى في المناطق الأكثر نشاطاً؛ لأنّ مفهوم التهديد بالانقراض لا يعطى ذلك الاهتمام الذي يستحق[٢٢]. ففي أوروبا يتجه الاهتمام إلى حقوق اللغة أكثر من اللغات المهددة بالانقراض. ولا يزال العمل جارياً لإعطاء الإعلانات المتعلقة بقضايا

٢٢ على سبيل المثال، في عام ١٩٩٩م وجدت نفسي في مراسلات مع وزارة الخارجية البريطانية، حول تقرير للجنة الشؤون الخارجية بشأن تنفيذ وثيقة حقوق الإنسان والتي أشارت إلى كل ما يمكن تصوره من الحقوق، ما عدا اللغة.

اللغة وصفاً عالمياً. وفي غضون ذلك، تبدو الحاجة ماسة إلى كسب التأييد السياسي والحشد الفعال.

إنّ فكرة "من القمة إلى القاعدة" ليست على المستوى العالمي فقط، إنما يمكن تطبيقها أيضاً داخل كل دولة على انفراد وداخل المناطق المحلية. وتطوير بنية مناسبة على المستوى الوطني يعد أولوية خاصة في تلك الأجزاء من العالم التي تكثر فيها لغات السكان الأصليين ولم تدرس دراسة تاريخية واقعية. ومن المؤشرات الواعدة حقاً إنشاء مراكز أكاديمية في عدد من الدول خلال السنوات القليلة الماضية تمثل الشعور الجديد بقيم اللغة. ومن الأمثلة على ذلك: المركز الكولومبي لدراسة لغات السكان الأصليين في بوجوتا Bogotá و متحف Paraense Emîlio Goeldi في بيليم Belém في البرازيل وأكاديمية اللغات المايوية في جواتيمالا ومركز البحوث الثقافية Hokkaido Ainu في سابورو، ومركز اللغات المهددة بالانقراض في مدينة جوس Jos بنيجيريا. وتقوم هذه المراكز مجتمعة وفي وقت واحد بعدة أدوار؛ فإضافة إلى الوصف اللغوي وتقصي الحقائق تقوم بدور بارز تجاه التواصل بين المجتمع المحلي والحكومة نحو إيجاد آلية لترشيد المال والطاقات وتفعيل النشاطات. إنها تضفي طابعاً مؤسسياً على لغات السكان المحلية يمنحها مكانة وهيبة لازمتين لتحقيق نجاح الحركة اللغوية. وبعض الصعوبات التي تواجه هذه المراكز ستُعرض لاحقاً.

عدة أولويات عُرفت في هذا القسم، ويبدو من المستحيل الاختيار من بينها. بل لا يبدو الاختيار ضرورياً. ولا يوجد سبب معين لعدم استمرار هذه النشاطات المتنوعة في وقت واحد في

نوع من المعالجة المتوازية. وإذا كانت الاستعارة التي علينا أن نعيش بها جزءاً من المعركة، فلا بد من نشاط على عدة جبهات في آن واحد، ولابد من حملة طويلة. لا مكان للرضا عن الذات، فقد تتغير المواقف السياسية بين عشية وضحاها، ويترتب على ذلك خسارة للتمويل أو إعادة صياغة الأولويات. إنّ التعليم ثنائي اللغة باهظ الثمن وهو مهدد باستمرار. وتضارب الآيدولوجيا (مثل السياسة التي تدعم عدم الهجرة، أو الإنجليزية بوصفها لغة رسمية) قد تحصل على دعم شعبي يهدد بصورة مفاجئة مشروعاً كان يُعتقد في السابق أنه آمن. خلال التسعينيات كانت هناك عدة تقارير عن برامج دعم اللغة أصبحت معرضة للخطر من خلال إيقاف الميزانية. كان برنامج لغة هاواي واحداً من هذه البرامج، مما استلزم نداءً من أجل الدعم الدولي في عام ١٩٩٥م. وآخر كان في أستراليا في نهاية ١٩٩٨م عندما أعلنت حكومة الإقليم الشمالي عن خطط للتخلص من التعليم ثنائي اللغة لمجتمعات السكان الأصليين لتحل برامج لتدريس اللغة الإنجليزية محلها[٢٣].

للتقدم الحقيقي في مساعدة لغة مهددة بالانقراض تتضح أهمية عدة عناصر يجب أن تكون في مكانها الصحيح. فالمجتمع الأصلي عليه أن يكون راغباً في الحصول على المساعدة، مع شعور إيجابي تجاه إنقاذ اللغة. ولابد من مناخ سياسي إيجابي يلتزم بالحفاظ على حقوق الهوية العرقية والثقافية، وينفق المال من أجل المبادئ، ويدرك الآثار السياسية لصيانة اللغة. ولا بد من مختصين

٢٣ انظر التقارير في Iatiku 1 (1995), 3; Ogmios 10 (1998), 8.

يساعدون في اختيار اللغة، وتسجيلها، وتحليلها، وتدريسها. وسوف أعرض الآن، بشيء من التفصيل، ما ينطوي عليه كل عنصر من هذه العناصر.

رعاية مواقف المجتمع الإيجابية

مواقف المرء السلبية تجاه لغته شائعة بصورة مدهشة (انظر الفصل الثالث). وبدافع الوعي اللغوي وحسن النية، أحياناً ينصدم الغربيون عند مواجهة مجتمع أفراده لا يهتمون ببقاء لغتهم، أو لا يهتمون بصيانتها. فكيف يجب أن تكون ردة فعلنا، عند مواجهة مثل هذه المواقف؟ هل علينا أن نقول: إنّ القرار قرارهم وحدهم، وليس لنا الحق في التدخل فيما ليس لنا به سوى علم محدود. أم هل علينا تبني نطاق أوسع من التوقعات، يسمح لمعرفتنا بالقضايا اللغوية المعنية طويلة الأجل أن تبرر الاهتمام المستمر في لغتهم وأن تضمن محاولات لتغيير أفكارهم؟ لقد كان هذا السؤال محل نقاش ساخن[٢٤]، ورفع قضايا شديدة التعقيد والحساسية. من الضروري أن نلقي نظرة إلى هذا الموضوع، لأنّه سوف يؤثر في صنع قرار الدعم. بالنظر إلى أنّ هناك لغات كثيرة في حاجة إلى المساعدة، فالحجة تزول، وينبغي بعد ذلك أن توجه الموارد المحدودة نحو تلك المجتمعات التي يرغب أفرادها في حفظها، إذا أرادت الطوائف الأخرى الانتحار اللغوي فهذا من شأنهم، وينبغي ألا نضيع وقتنا وطاقتنا وأموالنا في محاولة لإقناعهم بغير ذلك.

---

٢٤ دفاع عن وجهة النظر السابقة قدمه لدفوجد (Ladefoged (1992 وهذا بدوره قد جاء في مذكرة نقاش وقد رد عليه دوريان (Dorian (1993 وهناك نقاشات عديدة سيشار إليها لاحقاً.

الأمر الأول الذي ينبغي لنا أن نعترف به هو أنّ القضايا في واقع الحياة ليست واضحة جداً. وداخل جماعة ما سوف تكون المواقف مختلطة: بعض الأفراد سيكونون بجانب الحفظ وآخرون سيكونون ضده. سيكون هناك فخر، ولامبالاة، وشعور بالذنب وحرمان وأسف ومشاعر أخرى كثيرة. وفوق ذلك فإنّ أسباب التأييد والمعارضة سوف تكون مختلطة. وقد تفخر عائلة ما بتراث هويتها العرقية، وعائلة أخرى قد لا تفخر. وعائلة ما قد تكتسب مكانة اقتصادية كبيرة نتيجة التحول إلى لغة جديدة، وعائلة أخرى قد تخسر. وقد يرى شخص ما أن لغة الأجداد عديمة الفائدة، وآخر قد لا يوظف الحجج على الإطلاق ويرى اللغة مصدراً للقوة الروحية والنفسية. وفقا لذلك، فإنّ الهدف المبكر في تقويم وضع اللغة المهددة بالانقراض هو أن نفهم سبب وجود المواقف السلبية، وتحديد كيفية ونمط وجودها في المجتمع، وتقويم أثر هذه المواقف في طريقة حياة المجتمع في المدى القصير والبعيد.

بعض المواقف التي قد تكون سلبية لأسباب معقولة ينبغي قبولها؛ فمن البدهي أنّ الصحة البدنية من الأولويات، إذ ليس من المجدي أن نهتم باللغة بين أشخاص هم مرضى إلى درجة أنّهم لا يستطيعون الحديث، أو جائعون إلى درجة أنّهم لا يستطيعون الاستماع. وفي غياب الغذاء والرعاية الاجتماعية والعمل، الأمر المتوقع هو أن يوجه الناس طاقاتهم إلى الطرق التي تعزز مواردهم ونموهم الاقتصادي. وهذا ينطبق أيضاً على وجود الصراعات العسكرية، والطغيان السياسي، وتعكير صفو الحضارة الذي يهدد السلامة اليومية والبقاء. كان ماثيو ماك دانيال

Mathew McDaniel واحداً من العاملين حقلياً الذين أشاروا إلى هذه النقطة ذات العلاقة بلغة أخا Akha في تايلند؛ ومع أن لغته عاطفية ودرامية، لكنها تمثل الحقيقة فقط[٢٥]:

> **ما يريده هؤلاء الناس هو المساعدة الإيجابية ذات الخبرة الواضحة، ليتمكنوا من الحفاظ على حياة مواليدهم، ويتمكن مواليدهم من العيش حياة كافية لتعلم اللغة ..... عندما يكافح أحدهم ليعرف لماذا يموت الرضع سريعاً، قبل اللجوء للعلاج ولا يوجد أطباء شرعيون لتعرف الأسباب الحقيقية للموت، يظل المرء في الظلام بينما يحدث ذلك بما يشبه حال محرك الساعة، ويمكنك أن تتعجب: هل تهتم بلغة تكتب في معجم، في الوقت الذي ترى فيه رضيعة ميتة، ولها من العمر ثلاثة أشهر على أرض كوخ، وتشعر مراراً وتكراراً بالهلاك وعدم القدرة على المساعدة.**
>
> **مالم يفتح الناس في الغرب محافظ نقودهم وأوقاتهم ليعطوا هؤلاء الناس مساعدة حقيقية، ومادام المنهج الاقتصادي الغربي يحكم قبضته لاستهلاك كل شيء في مشهد محطم ويحطم وحدات الاستهلاك، أظن أن لا أمل. وكل هذا الجهد يصبح غبيّاً.**

قول ماري ريدوين Mari Rhydwen يشير إلى نقطة مماثلة [٢٦]:

> **عندما لا تتوافر الحاجات الأساسية كالمأوى، والطعام، والسلامة، والصحة، فإنّ التفكير في اللغة والحفاظ عليها وإحيائها يبدو أمراً غير وارد وترفياً.**

هذه الملحوظات تبدو غير قابلة للإجابة. وإلى الآن فإنّ سنّة الحياة هي التي تجعل الظروف والأولويات والأهداف كلها تتغير مع الزمن. فإذا كانت البرامج المطورة التي تتبناها المنظمات الدولية كلها ناجحة، فإنه سيأتي الوقت الذي يجد فيه الناس الأصحاء، الطعام الجيد والوقت والطاقة للحياة النوعية في مقابل الحياة العادية. وهنا سينظرون إلى إحياء تقاليدهم وتأكيد هويتهم الثقافية. وهذا عندما يبحثون عن لغتهم مدركين أنها إذا ذهبت غير مسجلة ولا يتذكرها أحد، فلا توجد طريقه تعيدها لهم. وفي المقابل إذا خُصص جهد يسير لحفظ اللغة حتى في

---

٢٥ McDaniel (1998: 15).

٢٦ Rhydwen (1998: 105).

الظروف الاقتصادية الصعبة، فإنّ هؤلاء الناس قد أبقوا خيارات مفتوحة على الأقل، ثم يختارون هل نفكر في هذا الجيل أم في الجيل القادم؟[٢٧].

هذا هو نوع النقاش الذي ينبغي لنا الاستفادة منه، عندما نواجه بمعارضة للجهود المبذولة لحفظ اللغات المهددة بالانقراض، حتى عندما تكون المعارضة من أولئك الذين يتحدثون هذه اللغة أو تلك. وهي المناقشة نفسها التي يستفاد منها، عندما يقول أهل اللغة بأنّ الوافدين على اللغة لا حق لهم بالتدخل، وبخاصة أولئك الذين يأتون من بلدان سبق لها استعمار الآخرين. وكما سنرى لاحقاً، فإنه ليس من السهل تقرير ما نستطيع أو ما يجب أخذه لحماية اللغة في أغلب الأحوال في ظروف ينقسم فيها الناس إلى فئتين: إحداهما، غير مكترثة بالموضوع، وأخرى تعمل جاهدةً من أجل أهداف بديلة (كما في تعلم اللغة الإنجليزية ، انظر ص ٤٠، ٤١) هناك حساسيات لاستحقاق الاحترام، وكذلك ضغوط سياسية ينبغي وضعها في الحسبان. وفي الوقت نفسه فإن الوافدين على اللغة من الخارج يمكنهم، غالباً، تدارك فضائل وحسنات الرؤية بعيدة المدى، في الوقت الذي يعجز فيه أهل اللغة عن ذلك، وهم يعلمون تماماً، من خلال خبراتهم العالمية، أن من أهم وأوضح الشكاوي التي تظهر هي ناتجة من نوع (فقط لو كان .....) (فقط لو كان والداي قد فعلا .....) أو (فقط لو كان جيل الأجداد قد فعلوا .....) وقد وصفها نيكولاس أوستلر Nicholas Ostler بهذه الطريقة متفاعلاً مع رؤية ما إذا

---

٢٧ قدم علم الاجتماع طرقاً مختلفة لتوصيف الأولويات الاجتماعية والتوقعات: فعلى سبيل المثال رتب ماسلو Maslow (1954) سلم الحاجات الاجتماعية كالتالي: وظائف > سلامة > انتماء > ثقة بالنفس > تحقيق الذات. وللتطبيق على اللغة انظر Walke (1993)

كان شعب قد اختار ألا ينقل لغته الحالية إلى الجيل القادم، فهذا اختيارهم، ومن نحن حتى نقاوم وننتقد هذا الاختيار؟[٢٨].

إجابتي عن هذا السؤال هي أنّ [أيّ] رؤية للعالم ينتج عنها هذا التحليل هي نفسها جامدة، وتفتقر إلى التغيير. وفي حالات عديدة هي أيضاً تبحث عن الإرضاء. وليست اللغات تختلف فقط، إنما الناس يختلفون أيضاً وهذا الاختلاف يطال أهدافهم وطموحاتهم، وفي بعض المحطات التاريخية يلحظ أنّ أفراداً من مجتمع ما قد يختارون تعطيل لغتهم، ويحاولون التقرب إلى مجتمعات أخرى من خلال تبني لغة مشتركة وهم عادة يلاحقون هدفاً اقتصادياً مناسباً. وتنشأ المشكلة عندما يتغير ذلك الهدف، أو ربما عندما يتحقق، وبذلك لم تعد له أهميه، لا مجال إلى الرجوع إلى الوراء: فإمّا اختيار أو إثبات هوية كانت قد ثبتت باللغة القديمة لكنها ذهبت إلى غير رجعة.

نانسي دوريان Nancy Dorian قدمت مثالاً محدداً ناشئاً من خبرتها خلال عملها وسط الأسكتلنديين في شرق سذرلاند Southerland الذين يتحدثون لغة Gaelic[٢٩]. لقد لا حظت عدم الارتياح والعداء الذي يبديه بعض هؤلاء المتحدثين "الذين لا يقصدون إلى أكثر من البقاء في حالة عدم وضوح" عندما يتعلق الأمر بلغة Gaelic. و إشارة إلى ما أثاره بيتر ليدفوقد Peter Laedefoged الذي لاحظ أنّ أحد الناطقين بلغة دهلو Dahalo في كينيا، كان يظهر بأنه مسرور من أنّ أبناءه حالياً لا يتكلمون إلا اللغة السواحلية. وقد تساءل بيتر في مقالته "ومن أنا حتى أقول: إنه كان مخطئاً في ذلك؟" وعلقت نانسي قائلة:

إنّ هؤلاء الناطقين بلغة Gaelic، من صيادي الأسماك شرق سذرلاند Southerland بأسكوتلاندا، قد ثبت أنهم مخطئون؛ لأن بعض الأفراد الأصغر سناً قي محيط عائلاتهم بدأوا في توبيخهم لاختيارهم عدم نقل لغة أسلافهم مما تسبب في موتها.

---

٢٨ Ostler (1996: 1). والمرجع إلى Ladefoged (1992).

٢٩ Dorian (1993); وانظر Dorian (1981).

عندما يخفق جيل في نقل لغته إلى الأجيال المقبلة؛ لأنّ هناك نوعاً من ردة الفعل من الجيل الأصغر المعاصر لهذا الجيل الذي أخفق تجاه استمرار لغته[٣٠]، فإنّ الجيل الأول يكون عادة غير مكترث كثيراً بهذا الأمر؛ لأنّ أفراد هذا الجيل يبدون دائماً في نضال وكفاح لتأسيس وضعهم الاجتماعي الجديد الخاص بهم ولغتهم الجديدة وتؤمّن حياة اجتماعية واقتصادية أفضل، مع انشغال هؤلاء بمسائل أخرى، على رأسها مطالبات امتلاك الأراضي، ومن خلفهم الحقوق المدنية، وهذا مما ينعكس على التراث الذي فقدوه، ويتمنون لو كانت الأمور غير ذلك، اللغة القديمة بعد أن كانت سابقاً مصدر خزي وعار أصبح ينظر إليها على أنها مصدر فخر وإثبات وجود، ولكنها تبقى مفتقرة إلى أيّ نوع من مقاييس الحفاظ عليها، فقد فات الأوان.

إنه لأمر مصيري أن يعي الناس تسلسل هذه الأحداث بصورة أوسع، فببساطة، هناك مئات الحالات المماثلة تحدث في السابق. فكلما خطا مجتمع بطريقة ما نحو الاستيعاب الثقافي (انظر ص ١٣٨) أصبح يستمسك بقوة بمواقف سلبية نحو اللغة العرقية. وعلى أفراد هذا المجتمع أن يدركوا تأثير هذه المواقف السلبية في أبنائهم وأحفادهم، الذين لن يكونوا في وضع يسمح لهم بالاختيار. الوافدون، مع تأكيدهم على أحقية المجتمع في اتخاذ قراره المناسب، إلا أنهم ما زال لهم دور مهم في التأكيد على أن ذلك القرار جوهري. فالموضوع ينبغي معالجته باهتمام، طالما نحن نعيش في مناخ عقلاني إذ أصبحت حقوق الإنسان، وحرية الإرادة، وتقرير المصير تأخذ مرتبة عليا عند أي تفكير في التدخل. ولكن سياسة عدم التدخل بالكامل، على

---

٣٠ اللغة الأصلية لجنوب شرق ألاسكا تعطي مثالاً آخر. انظر Dauenhauer and Dauenhauer (1998: 60).

الرغم من سلامة القصد، ستكون تجاهلاً سافراً لحقائق التاريخ. ومهما يكن حجم إدانتنا للسياسة التي اتبعها أسلافنا، ينبغي لنا أن نعيش في ظل تبعات ونتائج أفعالهم، وسواء نرى دورنا الحالي في هيئة تعويض عن خطيئة أو تأكيد للإنسانية العامة، أو أيّ شيء آخر، فإنه من السهل جداً التهرب من المسؤولية من خلال القول: "دع الأمر فإنّ المشكلة مشكلتهم". والعالم عندما يواجه مشكلات المجاعة أو الأمراض فإنه لا يتفاعل بهذه الطريقة السلبية السابقة. فعند ذلك لا مجال للشك في قيمة التدخل الحساس. العديد من برامج المساعدة قد أسست على افتراض أن مستويات المعيشة يمكن تحسينها من خلال التعليم. ولا أرى فرقاً جوهرياً بين برامج تعليمية تصمم لمحو الجهل حول –فلنقل– إدارة المياه، أو السيطرة على الطاعون، أو مكافحة الحشرات، وبين برامج زيادة الوعي التي تُصمّم لمحو الجهل باللغة.

حتى في مجتمع لا تظهر فيه مواجهات فكرية أيديولوجية أساسية، إذ الناس يهمهم أمر لغتهم، والعمال الغربيون قد قبلوا مبدأ تقرير المصير، فإنّ الحاجة إلى التخلص من الجهل قد تكون ما زالت ملحة وعاجلة. لأنّ هناك حقيقة مؤداها أنّ الناس عامة لا يدركون طبيعة لغتهم. وأنا هنا لا أتحدث فقط عن السكان الأصليين، بل هناك مجالات لسانية معاصرة وأساسية (على سبيل المثال: اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات التربوية) فضلاً عن الجهود والمبادرات عن لغات جماهيرية في الإذاعة والصحافة، قد برزت جزءاً من علاج نقص الوعي هذا[٣١]. وظاهرة تعرض اللغة للانقراض ليست مستثناة من هذا. وأنا هنا لا أعزو هذا الأمر إلى اختلاف الرأي

---

٣١ لمثال بريطاني حديث انظر (1998) Bauer and Trudgill؛ ولمثال أمريكي حديث انظر (1999) Wheeler.

العالمي. فإذا كانت جزءاً من معتقدات الناس أنّ الرب (أو ربهم) أراد أن تموت لغتهم، فهناك الكثيرون سيقبلون بأنّ هناك قليلاً من الوافدين يمكن أن يعملوا، أو يجب أن يعملوا (إلا إذا كان هناك بالطبع تعهد بالتدخل لأسباب فكرية أو آيديولوجية مختلفة، كما في حالات النشاطات التبشيرية والسياسية). وبالمثل، إذا كانت هناك مجموعة تعتقد أن موت اللغة عملية تطورية طبيعية، فقد ينتابهم شعور قوي بأن يكون من غير الطبيعي أن يتدخل الإنسان في ذلك، وما على الوافدين إلا احترام ذلك المعتقد. هناك آراء ووجهات نظر عديدة تتضمن اعتبارات لمثل هذه الظاهرة، التي تجعل من الصعوبة، أو من المستحيل، على اللسانيين التدخل بأيّ نجاح. وإذا كان مجتمعاً أصلياً يعتقد أنّ الأوربيين جميعاً يتأصل فيهم الشر أو اكتسبوا الشر، أو أنهم يبحثون عن السيطرة، أو أنّ كل المقترحات بشأن التدخل تأتي بصورة قطعية من وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية؛ لذلك تكون فرص العمل من أجل اللغة بعيدة المنال. والموضوعات لا تقل صعوبة عندما يقحمون التعقيدات الاجتماعية التي تحكم التفاعل، فمثلاً قد يسود اعتقاد بأن المدرس الأبيض ربما لا يستطيع أن يفهم موقفاً أهلياً، أو أنّ النساء يجب ألا يسمح لهن بتدريس الرجال.

من ناحية أخرى، فإنّ هناك أموراً متعلقة بالوعي اللغوي، ولا تتصل بتلك الموضوعات الأساسية. وعلى وجه الخصوص معظم الناس ليس لهم إدراك بالمراحل التي تمر اللغة بها عندما يزداد الخطر عليها، فتأخذ طريقها إلى الانقراض. فهؤلاء لا يعلمون حتى مدى السرعة التي يمكن أن يتحول بها المجتمع من ثنائي اللغة إلى أحادي اللغة. ولا يعرفون شيئاً عن الانتقال

المأساوي الفاجع السريع للغة (انظر الفصل الأول) فإنهم لا يرون المؤشرات التحذيرية مثل نمو ثنائية اللغة، أو الزيادة التدريجية في الكلمات الدخيلة على لغتهم من اللغة المهيمنة. إنهم ينظرون حولهم، فيرون الآخرين لا يزالون يتحدثون اللغة، فيستنتجون أن اللغة ما زالت قوية، وأن هناك شخصاً ما يعرف القصص، وربما ينكرون أنه لم يبق إلا عدد قليل من المتحدثين باللغة. يقولون إنهم يفضلون اللغة الأصلية، ويستخدمونها بأنفسهم كثيراً. ويرفضون تقبل أن لغتهم بالفعل "معرضة للخطر"، أو أنها "تتلاشى"، أو وأنها "تموت". ويعترضون بشدة على كل تلك النعوت التي تلصق بهم، ويفهمون أنها إنكار لعرقيتهم (بدلاً من أن تكون خاصة باللغة فقط) وقد يصدقون أن لغتهم مصونة بحماية خاصة[٣٢]. لذلك قد تكون هناك صدمة إذا تم إجراء مسح يوضح أن هناك أعداداً قليلة من المتحدثين، واستخداماً واسع النطاق للغة المسيطرة[٣٣]. وقد لوحظ أن المجتمع قد لا يرى أن هناك حاجة للعمل من أجل الحفاظ على اللغة إلا بعد فوات الأوان[٣٤]. وقد زودت المسوح اللسانية بدقة هذا الحث على العمل.

---

٣٢ Quesada (1998:57) قدم تقريراً عن مقابلة مع ملك شعب Teribes في بنما، والذي تبدو لغتهم، حسب تقديره، في خطر كبير. وقد أوضح الملك قائلاً: "إننا لسنا في خطر". وعندما سئل عن سبب تفاؤله أضاف: "لأننا نعلم أننا مخلوقات الرب، والرب لم يخلقنا ليدمرنا الآخرون. دعنا نواجه: إذا لم نتعرض للإبادة خلال هذه الخمسمائة سنة تحت ظروف أصعب، فالانقراض في الوقت الحاضر بعيد جداً. إنّ قانون الحكم الذاتي الهندي [لعام ١٩٦٨م] وثيقة مكتوبة. ويصدق الأمر نفسه على اللغة".

٣٣ أمثلة لردات الفعل هذه وردت في Mohawk and Quechua: انظر Jacobs (1998:118).

Grinvald (1998:139).

٣٤ على سبيل المثال MacKay (1996: 18): "لسوء الحظ كلما كانت اللغة قوية كان متوقعاً ألا يشعر المتحدثون بها على أنها في حاجة للتعامل مع العواقب المحتملة قبل فوات الأوان".

أو مرة أخرى، فإنّ الناس قد لا يدركون تماماً ما يقومون به، عندما يحافظون على اللغة، وقد لا يدركون التبعات التي تأتي نتيجة فقد اللغة، فنحن في حاجة إلى تذكير أنفسنا. عند هذه النقطة، يتضح أنّ السبب العاجل لخدمة موضوع اللغات الآيلة للانقراض ليس من أولوياته أن يقدّم للناس، من الأجيال المختلفة، طرق التخاطب مع بعضهم؛ فقد نالوا ذلك تقريباً عن طريق اللغة المهيمنة (مثل الإنجليزية والأسبانية) ليصبحوا ثنائيي اللغة. الهدف الأول بالأحرى هو مساعدة مجتمع ما لكشف ما يتفرد به تراثه، وعظم هذه المهمة التي لا ينبغي التقليل من شأنها. وتعرّف ما يحويه تراث لغة ما بكل وعي وإدراك يتطلب بعض الجهد لنتعايش مع اللغة "داخلياً" وذلك يجعل من غير الممكن رؤية أوجه تميزها. كثير من أوجه التميز لم تكن ملاحظة، وإنما كانت تؤخذ على أنها تفاعلات اجتماعية مسلّم بها، أو سلوك شعائري يومي، أو نشاطات تتعلق بمناسبات متعددة في أوقات محددة من السنة. الناس يحتاجون إلى مساعدة في التفكير في كل جوانب الموضوع. وبخاصة إذالم يكونوا ينتمون إلى تقاليد فكرية تقدر التنظيم الموسوعي للمعرفة. ومقياس المشكلة يمكن الإحساس به من خلال تجربة فكرية: تخيل أنّ اللغة الإنجليزية لغة مهددة بالانقراض؛ وأنّ علينا القيام بالتعريف بإنجازاتها وتجاربها المهمة، التي تستحق المحافظة عليها لأبنائنا. من الصعب تحديد من أين نبدأ[٣٥]، علينا أن نختار من الأدبيات الكنسية، ذكريات من المجتمع السائد كما هو عند راي برادبري Ray Bradbury في روايته Fahrenheit 551. بحيث

٣٥ طريقة أخرى لتقويم تميز التراث اللغوي عن طريق فحص ما تغطيه موسوعة تورد موجزاً عن ثقافة معينة مثل (1982) Hook أو موسوعة ويلز القادمة (الأكاديمية الولزية).

يتعهدكل فرد بعمل معين في ذاكرته، وقد نحتاج إلى تلمّس بعض الطرق للتمكن من جوهر ديننا ولغتنا القانونية، وقد نحتاج إلى فن الخطابات العامة وإلى وسائل الإعلام. ولن ننسى اللغة التي نقوّم بها احتفاليتنا الروحانية، مثل تهاني عيد الميلاد، وترميزات الكريسماس، ومداخلاتنا مع الأطفال، من خلال أناشيد الحضانة والألعاب اللغوية. كل هذا وأكثر، ينبغي أخذه في الحسبان عندما نسلك طريقاً للتعامل مع لغة مهددة بالانقراض؛ لأن الذي تخبرنا به اللغات عن إرثها يعد عاملاً مشتركاً في كل مكان.

كثير من الأساطير لابد من تفنيدها وتبديدها من أجل إيجاد المناخ الصحيح للحفاظ على اللغة، بعضها متعلق بالتدريس. وعلى سبيل المثال هناك معتقد واسع الانتشار مؤدّاه أنّ الوالد إذا كان طلق اللسان، فتلك إشارة إلى أنّه مؤهل ليكون مدرساً جيداً داخل الفصل. ومعتقد آخر هو أنّ المدرسين، من العرق نفسه فقط، يستطيعون تدريس تلك المجموعة اللغوية. وأساطير أخرى متعلقة بالتعلم؛ لأن تعلم اللغة الأم يبدو تلقائياً وسريعاً بدون وعي، والناس على استعداد لافتراض أنّ الأطفال الكبار سوف لا يجدون فرقاً بين أن يكون تعلم اللغة نفسها بطريقة متكلفة في المدارس، أو في غمار معسكر صيفي، أو في فصول البالغين؛ فعليهم التقاط اللغة فحسب. والأسباب العرقية قد توظَّف لتعزيز هذا الرأي، والبالغون من الأهالي الناطقين باللغة قد يعتقدون أنّ الأطفال الذين ينتمون إلى العرقية نفسها التي ينتمي إليها الكبار، فإنّ أمر تعلم لغتهم على أنها لغة ثانية، سيكون ميسراً (ما يعرف بالمغالطة الجينية genetic fallacy). وبطبيعة الحال فإنّ حقيقة الأمر هي أنّ الأطفال الذين يتعلمون لغة الأسلاف، على أنها لغة ثانية في موقف تعليمي

ينبغي لهم العمل بجد للوصول إلى النجاح، بغض النظر عن عرقيتهم. فأسابيع قليلة مكثفة لا تمكنهم من ذلك، حتى وإن كانت اللغة تدرس بطريقة منظمة في المدرسة. بل يحتاج ذلك إلى تعزيز من الأهل في البيت، أو المجتمع المحلي. وإذا كان الناس لا يدركون هذا فسيبنون لأنفسهم توقعات نجاح خاطئة، وعندما يخفقون فإنّ مواقفهم السلبية ستُعزز حتماً.

هذا لا يعني أنه من السهل مساعدة الناس ليروا نتائج آرائهم السلبية نحو حفظ اللغة، وليس من السهل استئصال الأساطير. ولكن إذا كان من البدهي أنّ المجتمع مسؤول بصورة أساسية عن اتخاذ القرارات المتعلقة بهذا الموضوع، فإنه ينبغي له اتخاذ هذا القرار مراعياً كل الحقائق المتوافرة، كما هي معلومة حتى الآن، بعد أخذ فرصة للتفكير في النتائج. فالأمر المهم هو الاختيار كما يؤكد كين هيل Ken Hale[٣٦]:

> لإيقاف خسارة اللغة، ينبغي، وبصورة أساسية، أن يسود شرط معين. يتلخص في: على الناس أن ينالوا خيار تعلم أو نقل اللغة المحلية لعائلاتهم أو لأيّ وحدة اجتماعية مناسبة.

ثم يضيف لاحقاً:

> الشرط الذي يجب أن يسود من أجل إيقاف خسارة اللغة يكون في هيئة عدالة اجتماعية سياسية واقتصادية، يكون هذا الخيار فيها غير محدود. وهذا الشرط المهم لا يتحقق، في أيّ بلد أعرفه.

الخيار حساس في حقيقة الأمر، لكنه ينبغي أن يكون خياراً معلوماً، فإعطاء الوالدين حق اختيار المستقبل اللغوي لأبنائهم ليس حلاً، إذا لم تكن هناك معلومات تبنى عليها قاعدة ذلك الخيار. وإعطاء الناس فرصة للوقوف على النقاشات المتعلقة بحفظ اللغة دون تقليل الصعوبات التي يتضمنها أي تعهد بالعمل يجب أن يكون الخطوة المبكرة للتعامل مع مجتمع لغته مهددة

---

٣٦ Hale (1998: 213, 215)

بالانقراض، وأينما كانت حالة عدم ثقة بالعملية. وهنا يمكن للسانيين وغيرهم أداء دور مهم؛ فالمجتمع الأصلي فقط هو الذي يمكنه الحفاظ على لغته. لكنه يترك الكثير للقادمين من الخارج لتقديم النصح والمساعدة.

لذا، فإن اللسانيين العاملين في مجال اللغات المهددة بالانقراض أمامهم مهمة واضحة، عندما يجدون آراء سلبية تجاه لغة موروثة وسط أفراد مجتمع أهلي. والهدف المبكر للتدخل ينبغي أن يتيح للناس فرصاً لتحسين المعنويات، حتى يتمكنوا من التفكير في لغتهم بكل مشاعر الثقة والاعتزاز بالنفس والفخر، وبهذه الطريقة فقط يمكن للمجتمع أن يطوّر قدرة داخلية للتعامل مع الضغط الناتج عن التغيير المستمر، كما وضعتها مجموعة من الباحثين بقولهم: "قرار إنسان ما التخلي عن لغته يكون دائماً ناتجاً من تحول الجماعة اللغوية عن الاعتزاز بنفسها"[٣٧] ومن ثم، كيف يمكن لمجتمع أن يعزز ثقته بلغته؟ الأمل ضئيل للغة ما لم يشعر أهلها أنها تستحق الاستمرار، ولكن ما نوع المناقشة التي يمكن أن تغرس شعور الاستحقاق، إذا كان ذلك قد تآكل خلال سنوات احتقار اللغة؟ والخبرة التي طورها اللسانيون من خلال العمل في عدة مجتمعات، استطاعوا بها تطوير اتجاه يجعل الأمور مقنعة، لكن لا يمكن بطبيعة الحال أن يكون هناك ضمان بأنّ المجتمع التالي سوف يخضع لها. فالمواقف ليست بعيدة الشبه عن موضوع الطب الوقائي: معرفة الطريق الصحيح للأمام شيء، وإقناع الناس بأن يسلكوه شيء آخر.

---

٣٧ Brenzinger, Heine, and Somner (1991: 37).

وذلك هو الشيء نفسه في اللسانيات الوقائية؛ إذ المرض الذي تنبغي إبادته يتمثل في عدم المبالاة والقنوط في مجال اللغة.

وثنائية اللغة تبدو مزيّة حقّة لبعض الناس، سواء وُجدت معهم أصلاً، أو اكتسبوا الثنائية نتيجة الاحتكاك باللغة المهيمنة. (انظر صفحة ٨٥). وعلى الرغم من منزلتهم المتواضعة نسبياً، إلا أنهم يدركون حدود أحادية اللغة؛ فالقدرة على التحدث بأكثر من لغة تعد مصدر هيبة وقوة في عدة مجتمعات، والأمثلة على ذلك تشمل: الأمينوي Emenyo في غينيا الجديدة، وتيوا Tewaفي أريزونا. فضلاً عن ذلك، هناك ظروف كثيرة يمكن فيها للغة الأهلية أن تكون ذات قيمة علمية، على سبيل المثال أن تستخدم لغة عامة بين أقطار لها لغات مختلفة ذات أكثرية ناطقة بها (والمثال على ذلك لغة البانتو Bantu التي تربط جنوب إفريقيا وموزمبيق). لغة كهذه يمكن توظيفها كقناة تواصل خاصة داخل المجتمع الأصلي الذي لا تشترك فيه الجماعة المهيمنة[٣٨]. والعديد من النقاشات الإيجابية يمكن أن تأتي من أفراد المجتمع أنفسهم. يمكنهم فقط الإشارة إلى مكتسبات نفسية أو روحية أتت من وجود علاقة مع لغة موروثة. مكتسبات ليست ملموسة ولكنها تتمثل في السرور الذي يأتي مصاحباً لقراءة كتابات قديمة، أو الاستماع إلى حكايات قديمة، ومشاعر بالأمن يولّدها الإحساس بالهوية والتاريخ.

---

٣٨ بطبيعة الحال، هذا الاحتمال يبدو، بصورة دقيقة، أحد أسباب محاولة المجموعة المهيمنة القضاء على اللغة الأصلية في المقام الأول: انظر ص ١٤٣. وانظر أيضاً Wurm (1991:15).

الأدب أيضاً وسيلة أساسية لتنمية شعور الاعتزاز بالنفس، من خلال تطوير جلسات القصص، والمجموعات المسرحية والقراءات الشعرية، ومسابقات الخطابات العامة، ومهرجانات الغناء والتجمعات الثقافية، مثل تقاليد Eisteddfod في ويلز، أو احتفالات Mod في أسكوتلندا الناطقة بلغة Gaelic. التراث الأدبي القوي يمكن أن يكون مصدراً للمنزلة العظيمة ليس في المجتمع الأهلي فحسب ولكن في المجتمع الأوسع أيضاً. وحتى في حالات الأشكال الفنية التي تحتاج إلى العنصر اللغوي مثل الرقص، إذ تستفيد اللغة من انتشاره الشعبي؛ فإلى الآن ليس هناك رقص مبتدع لم يطلق عليه اسم أو تفسير، وبذلك تأتي اللغة في المقدّمة. ولكن عند الحديث عن الأشكال الأدبية والفنية يكون محتماً أن تشمل كل قطاعات المجتمع، ففي موقف ذي علاقة بالانقراض، لا مكان للنّخبية الخاطئة ولا مكان لمناهضة النُّخب، وينبغي أن تكون هناك شمولية، لأنه، ببساطه، لن يجد كل فرد في المجتمع القابل للانقراض مساواة في الأمور الجاذبة. فالعمر هو البعد الحاسم؛ فهذا النوع من النشاطات المعززة باحتفالات ثقافية ذات جذور في التأسيس، يمكن أن تظهر وكأنها قديمة الطراز، أو لا تتسع لشباب المجتمع. من ناحية أخرى، فإن نوع النشاط الذي يمكن أن يعجب الشباب قد يلغيه الجيل الأكبر منهم، بتخفيض مستويات تلك النشاطات. فبدون أن تكون هناك اهتمامات مشتركة، وبدون التسامح، فإنّ المجتمع يمكن أن يجد نفسه وقد مزقته الأزمات الداخلية والطاقات التي كان ينبغي تسخيرها في الاتجاه نفسه تصبح وقد تبددت.

هنا مثال تقليدي للحظة ضائعة حدثت في ويلز في سنة ١٩٩٨م، عندما استخدمت المجموعة المشهورة عالمياً *Manic Street Preachers "مبشرو شارع مانيك" اللغة الويلزية في ورقة ضخمة علقت خارج مبنى مكتب في مدينة كارديف؛ للإعلان عن ألبومهم الجديد بعنوان (هذه هي حقيقتي – أخبرني عن حقيقتك *Dyma'n ngwirionedd – Dwêd un ti*) وأعضاء المجموعة لا يتحدثون اللغة الولزية، ولكن طالما وضعها المتحدث الرسمي لهم، فقد (أرادوا أن يفعلوا شيئاً خاصاً من أجل ويلز)؛ لأنهم "فخورون جداً بتراثهم الويلزي". هذه الإيماءة نادراً ما تُتاح للغة تحت التهديد، والمرء عليه أن يتوقّع أن تنال اللغة اهتماماً إعلامياً مناسباً. وهذا ما حصل للغة سيئة لكهنة شارع مانيك قلبت الأرض رأساً على عقب تحت أقدام آبائهم. جاء في العنوان الرئيس في جريدة الإندبندنت عدد (٢٧ سبتمبر ١٩٩٨م) والسبب في ذلك أنّ اللغة التي استخدموها قد أدينت من جانب أكاديمي ويلزي بقوله:

> رطانة ويلز، وعدم صحة قواعدها..... يجب أن تكون Dawêd un ti إنها عامية .... فاللغة قد سُمح لها بالتدهور. إنها قذى للعين ولم يُحافظ على مستوياتها المعيارية.

متحدث باسم مجلس لغة ويلز دافع عن ذلك بقوة فقال:

> نحن نرحب بحقيقة أنّ كهنة شارع مانيك Manic قدموا مثل ذلك الشعار الضخم في وسط ويلز، والذي يمثل ثقافة شبابية شعبية. كثير من الشباب المراهقين يتعلمون لغة ويلز الآن، وإيماءات مثل هذه تجعلهم فخورين بكونهم ويلزيين قادرين على التحدث باللغة.

وصحفي آخر في الديلي بوست استخدم لغة أكثر قوة:

> الأستاذ بوزيبودي Bosybody يعرّف سلامة اللغة الويلزية بالحفاظ عليها آمنة في حدودها الدافئة عند الطبقة الوسطى لكاردف. وترك بقيتنا يتحسر على ضياع الفرصة، بوزيبودي يدافع عن صحة اللغة الويلزية، والحفاظ

---

* مجموعة ويلزية عرفت بنشاطاتها الموسيقية، ثم الثقافية، والسياسية. أسست عام ١٩٨٦م. (المترجم).

عليها سليمة في حدودها الدافئة من الطبقة الوسطى لكارديف. وترك بقيتنا يتحسر على ضياع الفرصة لتغيير فهم لغة الشباب الناطقين باللغة الإنجليزية، جنوب ويلز. والشعار الجريء هو الإعلان بأنّ المال لا يستطيع الشراء، ولكن الأستاذ المدقق عرف الطريق.

استنتج الصحفي المذكور، توافقاً مع مجلس لغة ويلز بأنّ "كهنة شارع مانيك Manic كانوا على حق".

وعن السؤال عن المجموعة العمرية نجد أنها ذات طبيعة دقيقة لمستقبل اللغة الويلزية. وبالرغم من أنّ الإحصاء السكاني الحالي يظهر أنّ هناك نمواً في استخدامات اللغة في أعمارٍ معينة إلا أنّ أعمار المراهقين تظل مصدر اهتمام. خلاصة القول: إن الكثير من فئة المراهقين والمراهقات (والذين سيصبحون الآباء والأمهات للجيل القادم) لا يشعرون بالفتور بالتحدث باللغة الويلزية وبهذه المكانة المتميزة. هذا الرأي بدأ ينعكس؛ لأن بعض الولزيين الكبار لا يرون أن هذا الأمر يمثل خطراً حقيقياً لمستقبل اللغة. ومن العجيب أن يكون أحد العوامل التي يمكن أن تعجّل بفناء لغة هو الأزمات التي تنشأ داخل المجتمع بواسطة أولئك الذين يحملون وجهات نظر وأراء مختلفة نحو اللغة. يمكن أن تمزق مجتمعاً صغيراً إلى أجزاء. وقد أخطأت تقدير عدد الناس في ويلز الذين يعدّون، بطريقة أو بأخرى، متعاطفين مع الويلزيين الذين قد نفروا من اللغة بسبب آراء المتطرفين في مجال اللغة. الإضافة الأخيرة لعضو مجلس محلي وهي كل شيء ويلزي ما عدا اللغة (انظر تفاصيل أوسع لاحقاً) هذه الإضافة كانت عندما وصل عضو المجلس إلى مكتب تابع للحكومة المحلية، في جويند Gwynedd في شمال ويلز، ليستلم تقريراً. فوضع التقرير على مكتب الموظف. نظر إليه الموظف، وسأله هل نسي أن جويند لها سياسة ثنائية اللغة.

فاضطرب عضو المجلس، مجيباً بأنّ تقريره فعلاً مكتوب بلغتين، الإنجليزية في صفحة، والويلزية في صفحة أخرى. فأجاب الموظف: "ولكنك وضعته إلى الأسفل. الجانب الإنجليزي إلى أعلى". فالناس الذين يتمتعون بطريقة ذكية للحفاظ على اللغة يرفعون أعينهم بيأس، عندما يسمعون مثل هذه الحكايات. و كلها للأسف شائعةٌ جداً.

لا شي من هذا خاص باللغة الويلزية. فالتقارير عن حالات عديدة مهددة بخطر الانقراض شاهدة على تلك النزاعات، إذ الجيل السابق ينظر إلى جيل الشباب على أنه لا يتحدث اللغة "المناسبة"، ونجد أن المتعاطفين مع اللغة يتبنون آراء تؤدي إلى الضرر فعلاً من خلال رؤيتهم الضيقة. فالموضوعات بكل وضوح هي أمور عامة لها بعض الأهمية، ونحتاج إلى سبر أغوارها. أولاً: بمواجهة لغة تزداد سرعتها نحو الانقراض، وبافتراض وجود دافع للحفاظ عليها. وعلينا طرح السؤال: ما شكل اللغة التي ينبغي العمل على استمرارها؟ والسؤال: كيف يقرر المرء ماهية الأصالة؟ وثانياً: الموضوع الأوسع يعني أن تكون جزءاً من مجتمع أصلي؟ وهل اللغة جزء إجباري إلزامي في الثقافة الأهلية؟ وما هو نوع الاهتمام الذي ينبغي أن يعطى للغة؟

تعزيز أصالة المجتمع كاملاً

إنّ ردّ اللساني عن المجموعة الأولى من الأسئلة هو ردٌّ لا لبس فيه: إنّ اللغة برمتها أصيلة في جميع لهجاتها، وتنوعاتها، وأنماطها. ومن المسلّم به، في مجال اللسانيات، أنّ جميع اللغات تتغير

خلال مواكبتها للمجتمع[٣٩]. وإحدى نتائج هذا التغيّر توالد كلمات جديدة، وطرق نطق جديدة، وأنماط نحوية جديدة، وأنماط خطابية جديدة، بالإضافة إلى تنوعات إقليمية، ومجتمعية جديدة، مصحوبة بفقدان تدريجي لأنماط أشكال التعبير القديمة. وهناك تعايش حتمي بين الأشكال اللغوية القديمة والحديثة في كل لغة، وهذا الوجود المشترك للأشكال القديمة والحديثة هو نتيجة عدة عوامل، منها: العمر، والجنس، والطبقة الاجتماعية، بالإضافة إلى مهن متحدثي هذه اللغات. وفي هذا السياق، يوجد توازٍ مهم جداً بين اللغة المزدهرة واللغة المهددة بالانقراض. اللغة الإنجليزية هي بالفعل أكثر اللغات قوة، فهي من حيث العدد معروفة بمعدل تنوعاتها (ص ٣٥). وهي معروفة أيضاً بجاهزيتها لضم كلمات جديدة من اللغات التي يتم التواصل معها (ص ٧١). تقوم الحياة الحقيقية لأيّ لغة على اتساع تنوعاتها، وجاهزيتها للتغيير، والتكيف حسب الظروف المحيطة. واللغات التي لا تتطور هي لغات ميتة بالفعل.

إنّ الرسالة الموجهة للغات المهددة بالانقراض واضحة جداً: يجب أن يكون ناطقوها مهيئين للتغيير، وليس لهم خيار آخر حيال هذا الموضوع. وعلى الرغم من أنّ الكبار في السن في المجتمع سيكون لديهم تحفظ طبيعي في مواقفهم، فلن يكون بوسعهم فعل أيّ شيء لوقف هذا التغيير اللغوي. ومن الممكن أن تكون هذه التغييرات اللغوية أمراً بغيضاً لهم، وبشكل خاص دخول كلمات "غريبة" من اللغة المهيمنة، أو دخول الأساليب العامية. وإنّ قبول أشكال لغوية

---

٣٩ (Aitchison (1991 وفي تعليق شعري قال: Louis MacNeice "التركيبة تفشل، عندما تفشل في التوضيح / ويسود تغيير وحيد، كما أنّ الفصول تصنع السنة" (Plurality", 1940").

جديدة للغة ما لا يعني إطلاقاً تغيير كل التعابير والأنماط القديمة، بل هو فقط وصول أسلوب موسيقي يقضي على كل شيء وجد من قبل. ومن منظور أكثر دقة، يجب أن نفكر بقبول اللغة للتوسع واستيعاب أشكال وأنماط جديدة. وبالنسبة للغة الطقوس، و الشعائر الدينية، ولغة الأدب، فمن الممكن الاحتفاظ بها جنباً إلى جنب مع كل ما يجري من إدخال المستجدات. أما الكلمات المقابلة في اللغة الأم فيمكن دمجها (غالباً عن طريق لجان متخصصة باللغة) وطرح كلمات مكافئة للكلمات التي تم أخذها من اللغة المهيمنة[٤٠]. إنّ لغات مثل اللغة الانجليزية المعاصرة والإسبانية تحتوي على مجموعة كبيرة من التعابير والأشكال القديمة في عدة مجالات، مثل: الدين، والقانون، والأدب، متماشيةً، جنباً إلى جنب، مع أحدث الابتكارات. واللغات المهددة بالانقراض قد تكون أصغر بكثير ولكن بوسعها أن تحقق نوعية التعبير نفسها.

وهناك بطبيعة الحال اختلاف جوهري بين اللغة الدولية السائدة وبين اللغة المهددة بالانقراض، وهذا الاختلاف هو فيما يخص مفهوم ملكية اللغة[٤١]. وعند انتشار اللغة تبدو نقطة عدم ملكية أحد للغة بطريقة تعطيه الحق في توجيه تطورها؛ فلا أحد "يملك" اللغة الإنجليزية في الوقت الراهن. وعلى الرغم من أن اللغة الإنجليزية كانت في وقت ما "مملوكة" للبريطانيين بحكم الصلة التاريخية، إلا أنها قد أصبحت الآن لغة مستخدمة لدى العديد من

---

٤٠ من الممكن توظيف طرق تقليدية لتشكيل كلمات تعبر عن مفاهيم معاصرة، وقد لوحظ ذلك في مشروع عن Hupa وهي لغة منسوبة إلى كالفورنيا إذ وجدت إستراتيجيات عامة لتشكيل الكلمات الموجودة منذ زمن طويل ووظفت في استحداث كلمات جديدة.

انظر Ahlers and Hiton (1997: 18)

٤١ هناك عدة مفاهيم للملكية. ونوقش مفهومان آخران في الفصل الخامس.

الناس في عدة أماكن في العالم. ولا يوجد لها مركز موحد للتأثير. ولكن في المقابل من الممكن أن يكون هناك تأثير واسع في المجتمعات الصغيرة من بعض الأشخاص وبعض اللجان المحلية. لذلك من الضروري أن يتبنى السكان الأصليون موقفاً مرناً وشاملاً نحو التنوع والتغيير في اللغة، وبخاصة فيما يتعلق بالتعابير المستخدمة من الشباب والصغار، إذا كانوا لا يريدون التفريط في قطاعات واسعة من مجتمعهم على حساب مهمة الحفاظ على اللغة. ويجب أن يدركوا أنه على الرغم من تغيير سمة اللغة التقليدية، إلا أنه يمكن لهذه اللغة أن تكون ذات قيمة نفسية واجتماعية عظيمة؛ لأنها تزود الناس بهوية مميزة. وهذه واحدة من أصعب المفاهيم التي يمكن تبنيها خصوصاً في ظل التفكير السائد أنّ لغة الأسلاف شيء مقدس لا يمكن المساس به. لكن الآفاق ستكون سيئةً جداً ومحدودة إذا استمروا في التفكير معتبرين جلب اللغويين لكلمات جديدة، إشارة إلى ضعف كفاءة اللغة، وإذا استمر مدرسوهم في رفض التغييرات على أنها دخيلة أو غير أصيلة، وإذا استمر الكبار باعتبار استخدام الشباب والصغار للكلمات الجديدة على أنها تخفيف من قيمة لغتهم[٤٢]. فإنّ مفهوم نقاء اللغة للمصلحة العامة هو أسوأ سيناريو محتمل لبقاء اللغة.

إنّ الشرط الأساسي لنجاة اللغة وبقائها هو أن يشارك المجتمع في تطويرها. وهذا يعني أنّ كل شخص يجب أن يتحمل جانباً من المسؤولية من أجل الارتقاء باللغة. و تبدو المسألة واضحة ولكن هناك شك حول الشخص المسؤول بشكل فعلي عن إنقاذ أو حفظ اللغة. ومن

٤٢ هذه كل المواقف التي وردت في الأدبيات، وعلى سبيل المثال عند Yamamoto (1998a: 220).

الممكن أن يكون بعض الناس جاهزين ليقروا بحاجة لغتهم للإصلاح؛ ولكن لا أحد منهم يشارك بشكل فعلي في تطويرها، ويتوقعون من الآخرين القيام بهذا العمل نيابة عنهم. فهم يعتقدون أنّ من سيقوم بهذه المعجزة الضرورية هي منظمة ما، مثل مؤسسة، أو مدرسة، أو حتى جمعية الحفاظ على المجتمع. وهناك عبارة شائعة: "دعنا نترك هذا العمل للمعلمين". وهذا ما تم وصفه من باحثين من ألاسكا، (نورا وريتشارد دوينأور Nora and Richard Dauenhauer)، بـ "الإصلاح البيروقراطي"[٤٣]. لكنّ مثل هذا الإصلاح غير موجود في الواقع؛ لأنّ المؤسسات لا يمكنها أن تحل محل الأفراد. ومهما كان برنامج المدرسة جيداً لا يمكن أن يحل محل النشاطات المنزلية. وأوضح الباحثان (دوينأور) المسألة على النحو الآتي:

> مؤسسة سيلاسكا Sealaska للتراث، التي نعمل بها، من الممكن أن تشرك موظفين ذوي خبرة جيدة في محو أمية اللغة التلينجيتية Tlingit وتطبيق الفولكلور مع اللسانيات، بالإضافة إلى إصدار الكتب، لكن ما نزال نحتاج الموهبة والتعاون والإرادة القوية عند الأفراد حاملي التقاليد. نحن بوسعنا أن نقدم استشارات مهنية وتدريباً تقنياً للمجتمعات لكن يجب على الناس أن يكون لديهم الرغبة في ذلك. ونستطيع أن نوثق القصص، لكن لا يمكننا إيجادها من فراغ. بل بوسعنا أن نقدم القواعد والإرشادات لكن ستبقى اللغة عديمة النفع إذا لم يستخدمها الناس بشكل فعلي فيما بينهم في المنزل والمجتمع.

وحدد الباحثان دوينأور أيضاً جاهزية الناس الذين يبحثون عن "الإصلاح التقني" ببرنامج حاسوب جديد، أو مجموعة تسجيلات، أو بعض المواد العلمية التي تسهم في حفظ اللغة. وأشار الباحثان في عدة أماكن إلى أنه يوجد مواد تعليمية كافية لتعليم وتدريس اللغة لمدة طويلة، لكن تكمن المشكلة في إيجاد المعلمين القادرين على استخدامها (انظر ذلك لاحقاً).

---

٤٣ Dauenhauer and Dauenhauer (1998: 69–70).

إنّ البيروقراطية المناسبة والتقنية وسيلتان مهمتان في تعزيز الحفاظ على اللغة، لكن ليس بإمكانهما تكوين أساس قوي مستقل. الأساس القوي يجب أن يتكون من البيوت والجوار وأفراد المجتمع أنفسهم. ويجب أن يكون الوضع المثالي في ممارسة كل شخص لدوره الخاص؛ فيناقش الآباء والشباب الأولويات مع نظرائهم الأكبر سنّاً الذين يمتلكون خبرة ومكانة اجتماعية، ويستخدمون نفوذهم ليعطوا بعداً اجتماعياً أكبر لتدابير وإجراءات اللغة. أما الأشخاص الأكبر سنّاً فيمكن أن يكونوا مصدراً للغة ونموذجاً يحتذى في استخدامها. والناس الذين هم جزء من المجتمع لهم دور كبير أيضاً. ويمكن لدعمهم الإيجابي للغة الأصلية أن يجعل الناطقين بها يشعرون بقيمتهم، ويعززون جهودهم في الحفاظ عليها. وحتى رفض وعدائية الغرباء يمكن أن تؤدي دوراً إيجابياً من خلال نمو وازدياد العزيمة والنشاط اللذين من الممكن فقدانهما مع الزمن. وقد ناقش بالفعل بعض المحللين موضوع الدعم الخارجي الزائد الذي من الممكن أن يكون في الحقيقة مؤذياً للغة المهددة بالانقراض. إذ إنّ هذا الدعم الزائد من الخارج من الممكن أن يقوّض حافز السكان الأصليين، ويبعث على الإحساس بعدم الثقة في النفس.

رؤية اللغة على أنها جزء من الثقافة

المجموعة الثانية من الأسئلة المثارة أعلاه يجب أن تعالج الآن؛ ماذا يعني أن تكون جزءاً من مجتمع أصلي؟ هل اللغة جزء أصيل من الثقافة الأم؟ وما هو نوع العناية التي تجب مراعاتها؟ لقد كان

معظم النقاش عن مفهوم "المجتمع الأصلي" من واقع أنه نوع من المسلمات البدهية. وافتراض أنّ كل شخص يعرف ماهية المجتمع ومن ينتمي إليه[٤٤]. وفي الحقيقة أنّ موضوع العضوية من الممكن أن يكون مثار نقاش شديد جداً. وخصوصاً عندما يستمر تحول اللغة بعض الوقت. وبصورة عامة، هناك موقفان يتوجب أخذهما بعين الاعتبار.

الموقف الأول يؤكد وجود توافق أو تطابق كبير بين اللغة والثقافة. ويقبل داعمو هذا الجانب النقاش الذي تم تناوله في الفصل الثاني، والذي أكد أنّ اللغات تعبر عن هويتها وتاريخها، وجعل الحوار من هذه الفكرة موضع اهتمام بالغ. ومن منظورهم الخاص، فإنّ الكثير من ثقافتهم يتم التعبير عنها من خلال اللغة ومن غير الممكن أن يكون المرء عضواً في مجتمع ما، إذا لم يتحدث لغة ذلك المجتمع. وبالطبع تكون النتيجة أنّ الناس الذين توقفوا عن استخدام لغة مجتمع ما، أو لم يكن بوسعهم في الأصل استخدامها، يستبعدون تلقائياً من ثقافة ذلك المجتمع، حتى ولو اعتقدوا أنهم جزءٌ من الأرض. ويتبنى ناطقو اللغة الأصلية هذا الموقف أكثر من غيرهم؛ لأنّ اللغة تمثل لهم سمة إلزامية للعرق.

على الجانب الآخر، يؤكد الموقف الثاني على وجود توافق محدود بين اللغة والثقافة. ويرى داعمو هذا الموقف أنّ هناك عناصر ثقافية أكثر أهمية من اللغة، وحسب منظورهم يمكن للناس أن يكونوا أعضاء في المجتمع الأصلي دون أن يتحدثوا لغته، أو أن يتحدثوا بها بصورة مختلفة

---

٤٤ و"الثقافة" أيضاً. ومع ذلك فإنّ النقاش في هذا الكتاب لا يعتمد على تأكيد نظرية معينة للثقافة ولكنه بحاجة إلى إدراك أننا في أي نظرية ثقافية نتبناها يجب أن ندرك أن "اللغة دائماً تلعب دوراً مهماً". انظر خاتمة (Duranti (1997: 49.

جداً (قارن مع المذكور أعلاه)، لوجود عناصر أخرى تشكل أساس الهوية الثقافية. ويتبنى هذا الموقف الأشخاص الذين لا يتحدثون اللغة الأصلية، ويرون أنّ اللغة سمة اختيارية للعرق.

الباحثة نانسي دوريان قدمت مثالاً حقيقياً عن هذا النقاش من خلال عملها في أسكوتلندا[٤٥]:

> عندما سألت متحدثي اللغة الأسكوتلندية Gaelic عن رأيهم فيما إذا كانت معرفة اللغة الأسكوتلندية هي شيء ضروري ليكون الشخص أسكوتلندياً حقيقياً (أحد ساكني المرتفعات الأسكوتلندية)، فكان جواب الأشخاص الذين يتحدثون اللغة الأسكوتلندية أنّ اللغة شيء ضروري. أما الأشخاص الذين لا يتحدثون اللغة الأسكوتلندية وهم مواليد أسكتلندا أو من أصل أسكوتلندي، فكان جوابهم بالنفي.

وأنا أقابل إجابات مماثلة عدة مرات في ويلز إذ إنّ ٨٠٪ من السكان لا يتحدثون اللغة[٤٦]. و وجدت أنّ الاختلاف في الرأي موجود في كل مكان. وعلى سبيل المثال، وجد الباحثان (دوينأور) في ألاسكا أنّ ٩٠٪ من السكان الأصليين لا يتحدثون لغة Tlingit[٤٧]. وقدم الباحثان قصة طريفة:

> لقد سمعنا مثالاً عن تعصب امرأة عجوز من السكان الكبار في السن الذين يؤكدون أنّ هؤلاء الصغار الذين لا يتكلمون لغة Tlingit هم ليسوا تلنجيتيين أصليين. وتكمن السخرية في كون أولاد وأحفاد وأولاد أحفاد هذه العجوز لا يتحدثون لغة Tlingit. وتتنصل هذه المرأة من عائلتها دون أي تفكير بسبب فقدان أحد مظاهر العرقية التلنجيتية. والمرأة نفسها مسؤولة جزئياً عن وجود هذه المشكلة.

ولمواجهة مثل هذا الجدل عميق الجذور، من الضروري مرة أخرى "اتخاذ وجهة نظر". وليس بوسعنا إلا الاعتراف بحقيقة وجود أشخاص في مجتمع أصلي يعدون أنفسهم جزءاً من هذا المجتمع، على الرغم من عدم قدرتهم على تحدث لغة أسلافهم. ويوضح هؤلاء شعورهم بهويتهم

---

٤٥ Dorian (1998: 20).

٤٦ انظر أيضاً Bourhis, Giles, and Tajfel (1974), James (1977).

٤٧ Dauenhauer and Dauenhauer (1998: 74, 76).

من خلال خيارات أخرى، مثل المظهر والسلوك. وهذا دليل واضح على أنه من الممكن الحفاظ على درجة معينة من الهوية من غير الاعتماد على اللغة. وبالفعل، حسب بعض التقارير، لا تولي كل الثقافات اهتماماً كبيراً للغة على أنها رمز قوي من رموز العرقية. وقد ذكر ماثياس برينزينجر Matthias Brenzinger وزملاؤه بعض الأمثلة من إفريقيا. ووصفوا، في بحث واحد، سلوك بعض رجال عرقية سيرير Serer في السينغال الذين استبدلوا لغة ولوف* Wolof بلغتهم(٤٨):

> ومع ذلك هم تحولوا متحمسين وتابعين لثقافة Serer وهويتها العرقية ونعتوا ثقافة Wolof بأنها "أدنى منزلة" من ثقافتهم في كل جوانبها، وأصرّوا على أن يفعلوا كل ما بوسعهم للدفاع عن ثقافة Serer في مواجهة هيمنة ثقافة Wolof وفي الحقيقة لم يكن أي شخص منهم قادراً على التحدث بلغة Serer معتبرين أنّ هذا الشيء لا علاقة له بالموضوع.

مثل هذه الحكايات الطريفة توضح أنّ الثقافة متعددة الأوجه تحوي آلاف العناصر، وكثير منها ليس له علاقة باللغة. بل تتعلق هذه العناصر بمجالات أخرى، مثل اللباس، وطريقة تصفيف الشعر، والطعام، والرقص، والصناعات اليدوية، والفنون المرئية. وفيما يتعلق بهؤلاء، فإنه أمر عادي جداً أن يستخدموا هذه الأشياء على أنها "إشارات للعرقية" بغض النظر عن سيطرتهم على اللغة العرقية المشتركة من عدمها. ويرون في اللغة عنصراً واحداً من العناصر المتاحة لهم بسبب تعقيدها وشيوعها في المجتمع. وبطبيعة الحال تبدو اللغة معترفاً بها على نطاق واسع على

---

* تشكل عرقية ولوف نسبة ٤٣٪ من سكان السنغال، وتوكولر ١٨٪، وسيرير ١٥٪، وجولا ٤٪، والمندينكا ٣٪، والبقية ينتمون إلى عرقيات أخرى. (المترجم).

٤٨ Brenzinger, Heine, and Somner (1991: 37) ونقطة مماثلة أشار إليها Dimmendaal (1989: 28) في ما يخص شرق إفريقيا.

أنها سلوك له أثر عظيم ويمثل علامة مميزة (انظر الفصل الثاني)[٤٩]، لكنها ليست الطريقة الوحيدة لنقل الثقافة، والثقافة لا يمكن أن تصل إلى طريق مسدود، بسبب تغير أو توقف أحد عناصرها، حتى ولو كان هذا العنصر هو اللغة. إنّ فقدان اللغة هو بالطبع ذبحة صدرية يمكن أن تعاني منها الثقافة، لكن يمكن أن يتعافى الناس من الذبحات الصدرية وكذلك الثقافات[٥٠].

والدليل الدامغ هو أنه يمكن للثقافة أن تستمر على الرغم من تحول اللغة. لكن بطبيعة الحال، لن تكون الثقافة الجديدة مماثلةً تماماً للثقافة القديمة ولكنها، في الوقت نفسه، لن تختلف عنها كثيراً. ويبقى السؤال، الذي يصعب على البحث أن يوضحه هو: تحديد الاختلافات التي تقرر ما حفظ وما فقد من وجهة النظر الثقافية عندما يحدث تحول اللغة. وما هي عناصر اللغة القديمة التي يمكن أن تذهب بها اللغة الجديدة من غير أي خسارة ثقافية ؟ من وجهة نظر أولى، من الممكن أن تسرد القصص القديمة بوضوح من خلال اللغة الجديدة، ومن الممكن أن تشرح وتناقش الكثير من التقاليد القديمة والحكمة من خلال اللغة الجديدة. ومن جهة أخرى، سيضيع جزء كبير في الترجمة: لن يكون بوسع اللغة الجديدة أن تعبر عن دفء وروح تلك القصص، وسيتم فقدان التلاعب بالكلمات، وسوف تفقد القصص الطريفة والنكات بعض قيمتها، ولن

---

٤٩ لا يجرؤ الناس عادة على التقدير الكمي، وهذا سبب الإشارة إلى أن " ثلثي ثقافة الشعب مرتبطة بلغته" التي أوردها أحد قادة مهوك Mohawk وهي مثيرة للانتباه بشكل خاص. انظر (1998:91) MacDougall

٥٠ وجهة النظر الحيوية للثقافة هذه التي تعد الأصول العرقية سلسلة متصلة بعناصر يعاد فيها النقاش، هي موضوع كتاب (1998) Dauenhauer and Dauenhauer وظهرت كذلك عدة أوراق علمية في مجلد the Grenoble and Whaley (1998) وبصورة لافتة تلك التي كتبها Woodbury, Mithun, Jocks إذ تعد الهوية حيوية ومتغيرة ومستمرة وليست مقتصرة على التطبيقات التقليدية.

يكون للتعابير الاحتفائية الثقل الموسوق المتوازن نفسه في اللغة الجديدة. ولكن هذه نقاط مألوفة في حدود الترجمة، وهي تنطبق على جميع اللغات. وتبقى الحقيقة أنه بوسعنا أن نتعلم الشيء الكثير عن الحياة والثقافة الفرنسية من خلال الأعمال المترجمة من الفرنسية، وبالطريقة نفسها نحصل من اللغة المهيمنة على بعض الجوانب الثقافية للغة المهددة بالانقراض في طور الاستبدال.

ولقد وضَح أنتوني وودبيري Anthony Woodbury المسألة على النحو التالي[٥١]:

> إنّ اللغة ذات الاستخدام والتواصل على نطاق واسع (كاللغة الإنجليزية) يمكن تكييفها أيديولوجياً، إذا لم يتم تكييفها تركيبياً؛ من أجل أهداف تواصلية مستمرة مع تلك الغايات التي تم تحقيقها بواسطة لغة الأسلاف.

وإنّ النظر إلى اللغة من واقع أنها عنصر أوليّ بارز، لكنه غير وحيد للإشارة إلى العرق، يعطي أساساً مهماً جداً نحو الحفاظ على اللغة المهددة بالانقراض. وإذا عمل المجتمع على هذا الأساس، أو أُقنع بالعمل به، سوف تسمح هذه النظرة بتسوية للحياة بين الأشخاص أحاديي اللغة في المجتمع الأصلي وثنائيي اللغة بدرجات متفاوتة، وبين أحاديي اللغة في اللغة المهيمنة. ولأن الانتماء إلى عرقية معينة يعني المشاركة في النشاطات الثقافية من خلال استعمال اللغة؛ لن يختار كل شخص ملكية مطلقة لعنصر اللغة، بل سيكون الجميع جزءاً من روح الشعب التي يُنظر من خلالها إيجاباً لعنصر اللغة، مع وجود مستوى معين من المطالب الفعّالة التي لا يمكن إغفالها. حتى ولو كان على مستوى التحية اليومية أو استخدام أسماء الشوارع.

يسمح هذا النهج بشمولية أكثر عندما نجد أشخاصاً لا يعيشون في المجتمع الأصلي، ما زالوا يرغبون في أن يكونوا جزءاً منه. وتتنوع الظروف بشكل كبير بين الهجرة الطوعية والإبعاد

---

٥١ Woodbury (1998: 235).

القسري، لكن النتيجة واحدة: هناك عدد لا بأس به من الناس يعيشون في الخارج، بعضهم يتحدث لغة الأسلاف وبعضهم الآخر لا يتحدثها، لكن يرغبون في الحفاظ على إرثهم الأصلي أو إعادة اكتشافه. وتصل القضية حدّ العالمية عند بعض الجماعات العرقية، إذ إنّ الهجرة قد أصبحت منتشرة على نطاق واسع عبر السنين. ويستخدم مفهوم (التراث) ليرأب الصدع بين الاهتمام البالغ بالعرقية الموجودة في الموطن الأصلي، وبين العرقية الموجودة في مجتمعات المهاجرين واللاجئين والمبعدين المنتشرين حول العالم[٥٢]. وبالطبع هذا ليس مفهوماً متجانساً، فهو يتضمن، (على سبيل المثال)، مجموعات عرقية صغيرة تم استيعابها ثقافياً في بلدانها الأصلية (مثل الهنود الحمر على اختلاف أنواعهم)، وهناك مجموعات عرقية كبيرة موجودة في مدن أجنبية (مثل الصينيين، أو الإيطاليين في لندن، أو بوسطن)، وهناك أيضاً مجموعات عرقية يمثل "الوطن الأصلي" لهم فقط ذاكرة بعيدة (مثل التوجه نحو إفريقيا لكثير من الأفارقة الأمريكيين). وإنّ اللغة لهؤلاء الأشخاص، وإحساسهم بالتراث، غالباً سيكون غير واضح (أي لغة إفريقية؟ أي لغة صينية؟ أي لهجة إيطالية ؟) وحتى ولو كان هذا الإحساس واضحاً سيكون هناك انتشار واسع للقدرات اللغوية، وسيتحول هؤلاء الأشخاص من كونهم قادرين على التحدث بلغة التراث إلى المحافظة فقط على "لكنة التراث". لكن ينبغي أن يكون هناك نظرة شمولية حقة للغة المهددة بالانقراض، تسمح بالنظر إلى الظروف المحيطة، ولا يعني أنه سؤال أكاديمي فقط. ويمكن أن تأتي مستويات مهمة جداً من الدعم الخارجي للغة الوطن الأصلي. وفي معظم الحالات التي يكون

---

٥٢ Van Deusen-Scholl (1998).

فيها عدد كبير من متحدثي اللغة المهددة بالانقراض متناثرين هنا وهناك، يكون هناك سؤال حقيقي ومستمر فيما إذا كان الدعم لكل المجموعات العرقية، بغض النظر عن مكان العيش، أم يتركز الدعم فقط على المجموعات الموجودة في الوطن الأصلي.

إنّ النظر إلى دور اللغة في الثقافة مهم لسبب آخر، فهو حافز لاتخاذ قرارات مهمة حيال اللغة وتوجيهها بشكل مناسب. فإذا تبنى المجتمع خيار إلزامية اللغة سيكون هناك تركيز على تنشيط القضايا التي تهتم باللغة، مثل: مصادر تدريس اللغة، والتدريب، والنشاطات اللغوية المشروحة في الفصل الخامس. أما إذا تبنى المجتمع خيار ثانوية أمر اللغة، فسيكون هناك تركيز على القضايا التي تهتم بالثقافة، مثل: توفير الرعاية الاجتماعية، أو إدخال معايير من شأنها تسريع النشاط الاقتصادي. وفي الوضع المثالي يكون هناك توازن بين الخيارين لتجنب المواجهة الحتمية بين الطرفين.

في الواقع العملي فإن، محدودية التمويل تعني أن المشاريع متعلقة بكل رأي غالباً ما تكون في تنافس على الموارد نفسها. ومن الممكن ألا يكون هناك خبرة محلية كافية في مجال التخطيط اللغوي لتحليل النتائج طويلة الأمد للقرارات ضمن المجتمع. ويدعو المفهوم الأبرز في اللسانيات الاجتماعية إلى مبدأ "الثقافة أولا": إذ إن إصلاح اللغة سيكون فعالاً أكثر بدعم الوسط الثقافي أو الحاضنة الاجتماعية، التي وجدت فيها اللغة؛ مما يحفز الناس على استخدامها. وإن تعزيز دور الثقافة ككل هو شرط أساسي لتعزيز نمو اللغة.

وإنّ مبدأ "الثقافة أولاً" لا يخلو من صعوبات، وليس أقلها السؤال عن كيفية تحديد الجوانب الثقافية ذات الصلة بالحفاظ على اللغة. بل السؤال أيضاً عن شرعية تضمين حضارة بلد ما تحت عنوان "حملة تنشيط اللغة"؟ وهذه القضية محط جدل ساخن جداً. وعلى سبيل المثال لا الحصر، تعرضت أكاديمية اللغات المایاوية لنقد شديد في عام ١٩٩٢م بسبب تخصيص قدر كبير من الجهد لمشروع إعادة تشجير الغابات[٥٣]. وقال النقاد حينها: إنّ إبعاد اللغة أو إبعاد الثقافة عن مشروع اقتصادي مثل هذا يعد تصرفاً يسيء إلى الموارد، ويجب أن يركز التمويل على نشاطات تتصل باللغة وتلبي الحاجات والمطالب الماسة. أما داعمو هذا المشروع فقالوا: إنّ معايير اقتصادية من هذا النوع من شأنها أن تزيد هيبة وقوة المجتمع، ومن ثم سيكون هناك أساس قوي للغة هذا المجتمع. وفي والواقع هناك حق مع الطرفين. فمن جهة، يرى كل من لينور جرينبل Lenore Grenbole ولندسي والي Lindsay Whaley "أنه من الممكن للاقتصاد أن يكون القوة الوحيدة المؤثرة في مصير اللغة المهددة بالانقراض".[٥٤] ومن جهة أخرى، فإنّ اللغة هي "شعار" محلي مهمّ جداً. وفقدان الناس لهذا الشعار يؤدي إلى حرمان حقيقي، مما يتطلب إجراءً علاجياً سريعاً. وردة الفعل هذه متوقعة في عدة أماكن من العالم إذ الحرمان من الحقوق الاجتماعية والاقتصادية. فعلى سبيل المثال، تعد المقدرة على التحدث بلغة السكان الأصليين في كولومبيا دليلاً ضرورياً توظفه الحكومة كي تقرر ما إذا كان المرء منتمياً للسكان الأصليين؛

---

٥٣ England (1998: 107) .

٥٤ Grenbol and Whaley (1998b: 52).

وعليه يستحق بعض الميزات، مثل حجوزات الأراضي، والإعفاء الضريبي، إضافةً إلى التزود بالطاقة مجاناً[٥٥].

الآثار بعيدة المدى المترتبة على تطبيق مبدأ "الثقافة أولاً" (والتي تتطلب عادة استثمارات كبيرة وإصلاحات اجتماعية) ستجعل الحكومات تختار "الاصلاح" السريع وتتخذ الإجراءات اللازمة لحل المشكلات العاجلة التي من شأنها أن تهدد اللغة. ولكن لسوء الحظ غالباً ما تتجه فعالية مثل هذه الاجراءات عكسياً مع ضوضاء سياسية ترافقها. وليس هناك تعويض على المدى الطويل المخطط له باهتمام للحفاظ على اللغة، مع أولوية تعزيز الحاضنة الثقافية للغة، وكذلك من خلال مجموعة من التدابير قصيرة المدى، يتم اختيارها بحكمة. ومن أصعب الأعمال على الأرض أن تقنع المتعصبين لهذه اللغات أن يقوموا بمثل هذا الأمر. فمبدأ النقاء* purism، المتعلق بلغة مهددة بالانقراض ليس أقل تفاهةً من مبدأ النقاء المتعلق بلغة مهيمنة.

من السهل أن ندع الوعي الفكري للخلاف والسخرية السياسية يؤثر في المخرجات، ويجب تجنب ردود الفعل الحماسية على السؤال الذي تم طرحه في بداية الفصل: من أين نبدأ؟ المهمة هي إعادة بناء مجتمع واثق بنفسه غالباً بعد مئات السنين من السيطرة الثقافية، وأي شيء غير هذا الاحتمال القاتم يبدو بعيداً. وإنّ حجم المهمة يمكن أن يكون كافياً للناس ليقفوا جانباً، فهم يعرفون أنهم ليسوا على دراية جيدة، ويعرفون أنهم يفتقرون إلى المصادر الجيدة، فيؤجلون

---

٥٥ Seifart (1998: 9).

* مبدأ النقاء purism في اللسانيات يعني اصطفاء ضرب من ضروب اللغة، مع اعتقاد بأنه أكثر نقاءً من ضروبها الأخرى. (المترجم).

اتخاذ القرارات أو يقفزون فوق المشكلة بدلاً من التعامل معها بشكل منهجي. وعادة ما يبحث الناس عن تحولات سريعة لكن عندما يعرفون أنّ هذه التحولات غير ممكنة، يقفون جانباً مرة أخرى. وهم يقللون من حجم العمل المطلوب لتطور ملموس. ومن ثم ستتم المواجهة مع مزاج المجتمع في مكان ما، إذ الانتقال سيكون من وضع سيء إلى وضع أسوأ. ولذلك من المهم أن نعطي مزيداً من الانتباه إلى الحالات التي يمكن التغلب عليها للوصول إلى تطور جيد، وهي متعددة. وربما من المبكر أن نتحدث عن معظم "قصص النجاح" بسبب عدم القيام بأبحاث كافية لتقويم النتائج طويلة الأمد لانعكاسات تطور اللغة في بضع سنين أو بضعة عقود. ولكن في الوقت نفسه، على الرغم من عدم ضمان حياة طويلة لمثل هذه الحالات، فإنّ هناك الآن أدلة كثيرة توضح أنّ الموت قد أُجّل.

٥ ماذا يمكن عمله؟

أثار الفصلان السابقان عدداً من الاهتمامات العامة، المتعلقة بمراحل العمل الأولية، لصالح لغة ما مهددة بالانقراض. الفصل الثالث نبه إلى مجموعة من العوامل التي تتسبب في تدهور اللغة، والفصل الرابع ركز على أثر هذا التدهور في مواقف الناس. ولا بد من الوقوف على هذين البعدين بشكل متكامل قبل اتخاذ أيّ قرار موضوعي، بشأن توقيت وكيفية التدخل لتصحيح الأوضاع، لنتأكد فعلاً من أنّ التدخّل قابل للتطبيق، أو مرغوب فيه[١].

قراراتنا يمكن أن تكون موضوعية، ولكنها ليست بالضرورة مبنية على أسس مفهومة جيداً. إذ يوجد الكثير مما لا نعلم عنه شيئاً. ماذا يدفع أعضاء مجتمع ما للاهتمام بلغتهم؟ لماذا تهتم بعض المجتمعات بلغاتها، ولا تكترث أخرى؟ أحياناً تكون الأسباب واضحةً جداً، ومثال ذلك أنّ عدداً من العوامل القوية السياسية والدينية يمكن

١– إنّ مسألة الرغبة تثير مجموعة من القضايا التي نوقشت بشكل مقتضب. وكان بعض الكتاب يدركون جيداً مسألة القياس الطبي، وقد سألوا النوع نفسه من الأسئلة الصعبة التي طُرحت في المجال الطبي. (ولم تتم الإجابة عنها بعد) "هل ينبغي لنا أن نحافظ على اللغات عن طريق أجهزة التنفس الاصطناعي لتبقى حية؟" سؤال طرحه ماتيسوف (Matisoff 1991: 221)، وطرح مسألة "الموت الرحيم للغة" في الحالات التي يعبر فيها المجتمع عن رغبته في موت لغته أو عندما يرفض المجتمع التدخل الخارجي كلياً. أنا لا اعتقد أنّ الموضوع مناسب الآن لإعطاء إجابات مبدئية عن هذا النوع من الأسئلة.

أن تشرح إعادة بعث واستمرار المحافظة على اللغة العبرية في إسرائيل الحديثة[٢]. ولكن معظم حالات اللغات المهددة لا يمكن تحليلها بسهولة، بل إنّ مجموعة العوامل المتداخلة والمؤثرة وكيفية تفاعلاتها قد لا تكون مفهومة تماماً. نحن نعلم الكثير عن أسباب تهديد اللغات وموتها، كما نعلم: لماذا يتحول الناس من لغة إلى أخرى (انظر الفصل الثالث)، ولكننا لا نزال لا نعرف إلا القليل عن سبب محافظة الناس على اللغات، واستمرار ولائهم. وهناك حالات مثيرة تواجهنا في مجال المحافظة على اللغة، وقد لوحظ ذلك حتى في أسوا الظروف. مثال ذلك تيوا Tewa في أريزونا، فقد ظل متحدثوها مدة طويلة يشكلون مجموعة صغيرة داخل جماعة الهوبي Hopi، ذات الهيمنة الغالبة، ومع ذلك حافظوا على لغتهم بقوة. وفي محاولة من اللسانيين لتفسير ذلك، لاحظوا أنّ مرده اهتمام المتحدثين باتساق أسلوبهم الخطابي في المناسبات الاحتفالية والدينية إلى درجة وجود عقوبة جسدية، لمن يستعمل تعابير خارجة عن لغتهم في هذه المراسم. ويظهر الهوبيون، بالإضافة إلى ذلك، روحاً من التسامح اللغوي فيما بينهم[٣]. لكن من الصعب

٢- مع ذلك، فاللغة العبرية الحديثة هي حالة خاصة جداً، على الرغم من كونها مختلفة عن العبرية التقليدية، ومع تأثيرات اللهجات الأوربية عليها إذ هناك استمرارية في كتابتها في العصور القديمة والحديثة، واستمرت لغةً محكيةً من خلال اللهجات الأوربية العامية المتنوعة.

٣- Kroskrity (1993) . وحالة أخرى من البقاء في بيئة غير مواتية هم شعب "باربرينو تشوماش" Barbareno Chumash في كالفورنيا الذين أُخذوا في أواخر القرن الثامن عشر إلى مهمة الفرانسيسكان Franciscan وجعلوهم يتعلمون الأسبانية، ولم يمت آخر شخص من هؤلاء الباربرينو حتى عام ١٩٦٥م: انظر Mithun (1998: 183).

أن نعد ذلك نوعاً من "الاهتمام الحقيقي بالثبات" و"وجود تسامح قوي"؛ فأكثر الملاحظات الواردة في الأدبيات البحثية مازالت انطباعية.

في أغلب الحالات هناك عدة عوامل مؤثرة تتفاعل بطرق بارعة. فتقرير عن لغة أوقونق* Ugong في تايلند، حاول شرح: لماذا ماتت هذه اللغة في بعض الأماكن وبقيت حيةً في بعضها. الباحث ديفيد برادلي David Bradley انتهى إلى أنّ اللغة قد بقيت حية في مناطق جغرافية كانت معزولة نسبياً، وكانت الجماعات مكتفيةً اقتصادياً في الأغلب، واتصالها بالمجتمعات خارج نطاقها كان محدوداً (وعليه تقل أو تنعدم حالات الزواج من الخارج)، في مثل هذه الأماكن يحتفظ رئيس الجماعة بقدر من السطوة السياسية والهيبة الاجتماعية، ولم يكن هناك اتصال بالنظام التعليمي ذي القاعدة التايلندية في المدارس[٤]. في حالة الموري Maori في نيوزلندا تبدو لنا مجموعة مغايرة من العوامل المؤثرة متفاعلة، بما فيها الأثر العرقي القوي منذ السبعينات، ووجود معرفي مؤسس متصل (أكثر من ١٥٠ سنة) بين الموريين. وسياسة تعليمية حكومية أدخلت مناهج مورية في المدارس والمراكز مثل كوهانقا ريو *kohanga reo* ("أعشاش اللغة")، وتعاطف متواصل ومتزايد من الأغلبية التي تتحدث اللغة الإنجليزية . وأيضاً مما يمكن ملاحظته حقيقة أنّ لغة الماوري هي اللغة المحلية الأصلية السائدة الوحيدة في البلاد؛ لذلك استطاعت أن

---

* لغة مجموعة عرقية تعيش غرب تايلند. ولغتهم مهددة بالانقراض؛ إذ يتحدثها الكبار فقط، أما أطفالهم فتعد اللغة التايلندية لغتهم الأولى. (المترجم).

٤- Bradley (1989: 33-40) .

تستحوذ الاهتمام الحصري للمهتمين بحقوق اللغة[٥]. في حالة اللغة الويلزية، كانت العوامل الحاسمة تشمل ظهور حركة مجتمعية قوية عام ١٩٧٠م، ووجود قائد ملهم (كان على استعداد للصوم حتى الموت انظر صفحة ١٥٢)، مع إنشاء قناة تلفزيونية ناطقة باللغة الويلزية، وإقرار تشريع حماية اللغة (خاصة قانوني اللغة الويلزية لعامي ١٩٦٧، و١٩٩٣م)[٦]. أما في حالة أحد المشروعات للغة الآيرلندية Irish في شمال آيرلندا، فقد كان العامل المؤثر هو مستوى رفيع من الانتماء الشخصي للغة، أدّى إلى بروز مجتمع حيوي الحركة تجاهها، لدرجة أنّ إحدى عشرة أسرة من غرب بلفاست، أقدمت على تعلم اللغة الآيرلندية، وشراء بيوت في المنطقة المجاورة نفسها (Shaws Road)، وتربية أطفالهم، ليكونوا ثنائيي اللغة. هذا المشروع عزز هيبة اللغة، وأوجد توجهات مماثلة لإعادة هيبة اللغة في الإقليم[٧]. في حالة راما Rama في نيكاراجوا لوحظ أنّ العوامل الرئيسة، كانت تضم مشاركة مُنقذ مثالي للغة، استطاع أن يحرك المجتمع المحلي تجاه اللغة، مع التزام دستوري تجاه الحقوق اللغوية والثقافية أعقبت ثورة ساندينستا Sandinista إضافة إلى وجود فريق من المختصين اللسانيين[٨].

٥- للخلفية التاريخية، انظر Benton (1996) . للاطلاع على تحليلٍ من خلال العوامل، انظر Grenoble and Whaley (1998b: 49ff).

٦- انظر الأبحاث في كتاب Ball(1988) و Bellin (1984) .

٧- Maguire (1991).

٨- Craig (1992).

هذه فقط أمثلة قليلة من الحالات العديدة التي سجلت للغات مهددة، لوحظ أنها أحرزت تقدماً خلال السنوات الأخيرة[٩]، ولكن ليس في مقدورنا ضمان سلامة اللغات من الانقراض في أي حالة من هذه الحالات على المدى الطويل. وفي الواقع قد يظهر انحدار في بعض الحالات عند التقويم الموضوعي لأعداد المتحدثين باللغة، على الرغم من مرور حقبة زمنية من الدعم اللغوي المكثف. وهذا، في كثير من الأحيان، يحدث بسبب التدخل المتأخر، وقد يأخذ هذا وقتاً طويلاً قبل أن يصبح عدد متحدثي اللغة الجدد أكثر ممن مات من متحدثيها القدامى. أيضاً فإنّ الحماس الابتدائي لبعض دارسي اللغة قد يتضاءل عندما يدركون كم تستغرق مهمتهم من مدة زمنية. وفي كل الأوقات هناك الضغط المتواصل تجاه ضياع لغة ما تسببه ثقافة طاغية، كما أوضحنا في الفصل الثالث. ومع ذلك عند اطلاعنا على تقارير لسانيين ميدانيين وناشطين اجتماعيين نلاحظ أنّ هناك توجهاً نحو التفاؤل والثقة لم يكن موجوداً قبل عقد مضى من الزمان. تروند تروسترود Trond Trosterud يروي قصة جميلة تبيّن هذه الظاهرة فيما يخص مجموعة

٩- وردت عدة أمثلة عن طريق Dorian (1998)، انظر أيضاً الأوراق العلمية التي قدمها Dauenhauer and Dauenhauer و England و Jacobs و Grinevald في كتاب Grenoble and Whaley (1998a) . و Wurm (1998: 203ff) يشير إلى التقدم الذي تم إحرازه في لغة Ainu في اليابان، ولغة Djabugay في أستراليا، ولغة Faeroese ، Tahitian و Yukagir في سيبيريا، والعديد من الحالات الأخرى. وتظهر تقارير أخرى عن تقدم اللغات في منشورات مؤسسة اللغات المهددة بالانقراض وهي تقارير توضيحية عن:

Hawaiian (*Newsletter* 1.3 و(Livonian (*Iatiku* 3. 3), Cayuga and Mohawk (*Iatiku* 3. 12), Inupiak (*Newsletter* 5. 19), Salish (*Ogmios* 6. 18) and Chimila (*Ogmios* 9. 9).

سامي Sámi (كانوا سابقاً يدعون Lapp) شعب شمال النرويج[١٠]:

عند حضور اجتماع بين أفراد مجموعة سامي ومسؤولين نرويجيين، سُئلت إحدى المشاركات إن كانت تحتاج إلى مترجم؟ فأجابت: لا، ولكنني سأتحدث بلغة Sámi لذلك أنتم من قد يحتاج إلى مترجم.

وعليه إذا كان هنالك الآن كمّ واضح من المعلومات عن مشروعات الحفاظ على اللغات، والتي حققت بعض النجاح، فهل هناك عوامل مؤثرة يمكن اعتمادها لمعايير مسلّم بها لوضع أسس نظرية إحياء اللغة وهي في شكل متطلبات للتطور نحو إيجاد لغة لتصبح أداة اتصال بين الأجيال عند أهلها وفي المناطق المجاورة؟[١١]، وسوف أدرج ستة من هذه العوامل المهمة:

١. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا عزّز المتحدثون بها هيبتهم داخل الجماعة المهيمنة.

الهيبة تأتي عندما يصبح لك حضور عند الآخرين. والمجتمع الذي تتعرض لغته للتهديد لابد أن يكون له حضور في المجتمع الأكبر. لا بد أن يكون حضوره مؤثراً، وأن يعي شأن ظهوره العام؛ ليجد فرصاً في أجهزة الإعلام (وهي تقليدياً حكر على الثقافة الغالبة) كالسعي لامتلاك عمود صحفي مستمر في الصحف المحلية أو برنامج تلفزيوني أو برنامج مسموع يبرز اللغة، أو برنامج بين الحين والآخر يبرز مهرجاناً ثقافياً أو احتفالاً دينياً.

١٠- Trosterud (1997: 24).

١١- ولإدراك أعمق للقضية كاملة، انظر Fishman (1991).

ولكن الإعلام لا يهتم إلا بالموضوعات التي تهم نشاطات المجتمع؛ وعليه فإنّ أول خطوة هي تعزيز النشاطات في المؤسسات المجتمعية، مثل الكنائس، والمراكز الاجتماعية، وقاعات المدينة.

ينبغي للناس أن يتعودوا على استعمال اللغة، وهذا يعني أن يكون اتصالهم بها قوياً ودائماً، والنشاطات اللغوية المتقطعة لا بد من أن تتحول إلى نشاطات يكون للغة فيها حضور متوقع، ومن ثم إحداث عملية مستمرة لتقوية العلاقة بها. وهنا لا بد من اتخاذ قرارات بشأن أي نشاطات اجتماعية يتم التركيز عليها؛ لأنه، في نهاية الأمر، لا يمكن تفعيل كل النشاطات مرة واحدة. لابد من اختيار مهام محددة يبذل فيها جهد خاص، كسرد حكايات، أو إجراء مراسم لشعائر دينية. العلاقات والممارسات الدينية لها أهمية خاصة في تنشيط اللغة، شأنها في ذلك شأن الفنون.

الهدف طويل المدى هو توسيع دائرة الرؤية تجاه المزيد من مجالات الاهتمام العام. عالم الأعمال التجارية، والقانون، وإدارة العلاقات العامة، مهمة بصفة خاصة، والحضور الرمزي للغة يمكن تحقيقه مبدئياً من خلال المراسلات، وشعارات الشركات، وما شابه ذلك، وهذه يمكن أن تنمو رويداً رويداً إذا كانت الظروف السياسية موائمة، وحتى يتيسر لها أن توازي اللغة الغالبة، كما حدث في ويلز، في مجالات مثل الإعلانات ومطويات الخدمة العامة وتحرير وقائع الاجتماعات، ونمو مواز في الترجمة المكتوبة

والمباشرة. ومن خلال الدعم السياسي يمكن أن تتسع الدائرة لاستعمال اللغة في أسماء الأماكن، وعلامات الطرق ولافتات الخدمات بشكل عام. وهذه في مجملها تعطي مؤشراً إلى قبول اللغة، وحضورها على نطاق أوسع في المجتمع، وتصبح مركز اهتمام للناشطين[١٢]. لوحات الطرق المشوهة في عدة مناطق والتي كتبت أصلاً باللغة الغالبة توضح ذلك النشاط، فالأسماء المكتوبة باللغة الغالبة تطمس بلغات مثل: الويلزية أو الباسكية Basque أو السلتية Gaelic وغيرها. وهذا يبرهن على أن المجتمع يمكن أن يذهب إلى أكثر مما يسمح به القانون لإثبات هويته اللغوية، لكن حيوية المجتمع المطلوبة يجب أن تكون على مستوى القاعدة الشعبية التي يضعها أحد المشاركين ببريد إلكتروني على هذا النحو[١٣].

> اللغات ليست "أدوات" "للحفظ" بل طرق للتفاعل الاجتماعي تعرّف مجموعات معينة. فإذا لم يكن هنالك موانع اجتماعية تعزل مجتمعاً ما عن المجتمع المحيط به، فإنّ ما يقوم به اللسانيون والتربويون لحفظ اللغة ما هو إلا توثيق مصطنع، والعكس صحيح أيضاً فعندما تكون الجماعة متماسكة ومستقلة ..... فلا شيء يمنع اللغة من أن تصبح وسيلة تأكيد هوية.

١٢- Ogmios 6 (1997: 12ff) نشرت تقريراً عن محاكمة أربعة أفراد من الأقلية المقدونية في اليونان بسبب استخدام لغتهم الأم على لافتة عامة.

١٣- Golla (1998: 20).

٢. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا زاد متحدثوها من ثرائهم مقارنة بالجماعة المهيمنة

سبق لي أن اقتبست ملاحظة جرينوبل ووالي Grenoble and Whaley التي تؤكد أنّ الاقتصاد "ربما يكون القوة الفريدة الأكثر أثراً في مصير اللغات المهددة بالانقراض" (انظر ص ٢٠٣)، والنقطة مهمة جداً لدرجة أنها تستحق التكرار مرة أخرى. أنا أميل إلى الموافقة إذا لم يوجد مبرر آخر غير التكلفة المالية التي تعلي شأن اللغة اجتماعياً وسياسياً، والمال لا يتأتى إلا في بيئة مزدهرة. لكن تغيير الخطوط الاقتصادية سيحدث أثراً إيجابياً أساسياً في رفع شأن جماعة ما، إذا كانت الزيادة تدريجية وتدار جيداً. (يوجد حالات مثل طفرة البترول في بعض بقاع العالم بصورة مفاجئة أدت إلى ثراء سريع كان له أثر مدمّر في المجتمع المحلي). اقتصاد كتالونيا، على سبيل المثال، كان عاملاً رئيساً في تشجيع استعمال اللغة في مناطق أخرى تتحدث بها. صناعات الخدمات، والصناعات الخفيفة، يمكن أن تكون مجالات تستفيد منها اللغات المهددة بالانقراض في ظل النمو الاقتصادي. (وفي المقابل، كما رأينا في الفصل الثالث، فإن ما يسمى بالصناعات "الأساسية" وخصوصاً مجالات التنقيب والتعدين والحفريات كان لها أثر سيء في اللغات الأصلية؛ لأنّ لها طرقاً في جذب استثمار مؤسسات خارجية).

السياحة مثال جيد للمؤسسات الخدمية التي يمكن أن تجلب فائدة جمة للغة المهددة بالانقراض، كما لوحظ في أجزاء من سويسرا وشمال إيطاليا. لغة دولومتك لادن

Dolomitic Ladin على سبيل المثال تنتشر في أماكن قليلة في منطقة تيرول الجنوبية Tyrol واستفادت من هذا النشاط كما استفادت منه اللغة الرومانشية Romansh .فمنذ عام ١٩٣٨م وهي واحدة من أربع لغات قومية في سويسرا وتنتشر في منطقة جرابوندون Graubünden (Grisons) جنوب شرق سويسرا، وفي وادي نهر الراين الأعلى upper Rhine وأنهار إن Inn rivers[١٤]. عدد من لغات ولهجات الأقليات في المنطقة قد أظهرت لنفسها صورة طيبة نتيجة لوجود السياحة، مثل البروفنسالية الفرنسية Fanco-Provençale في وادي أوستي Vallée d'Aoste وفي German-related Walser in the Vallée de Gressoney وفريلين Friulian في أقصى الشمال الشرقي لإيطاليا. ومن المزايا الهامة للسياح بطبيعة الحال أنهم يفدون ويغادرون في أوقات مختلفة من السنة، ويمثلون خلفيات لغوية واسعة. وعليه يبدو احتمال وجود أجنبي يهدد المجتمع الأصلي ضعيفاً.

٣. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا استطاع المتحدثون بها تعزيز شرعيتهم أمام الجماعة المهيمنة

شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين استفادة اللغات المحلية في بقاع متعددة من العالم من تنامي اتجاه رأي عام يحمل تعاطفاً مع الحقوق الثقافية واللغوية. وكان هذا الاتجاه قوياً، بصفة خاصة في أوروبا، إذ صدرت عدة بيانات من منظمات سياسية نافذة في هذا الصدد. وبالرغم من أن هذه البيانات قد ركزت بالضرورة على اللغات الأقل

١٤– Markey (1988) من أجل لغات أخرى في المنطقة، انظر المقالات المتنوعة في كتاب Price (1998) .

شيوعاً في أوروبا، لكنها أرسلت رسالة قوية للمهتمين بالحقوق اللغوية في بقاع أخرى من العالم. وفي عام ١٩٨١م حدث تطور مهم عندما اعتمد البرلمان الأوروبي قراراً أعده جايتانو آرفي Gaetano Arfé (أحد أعضاء البرلمان الإيطالي) يقترح ميثاقاً للمجموعة الأوروبية للتعامل مع اللغات والثقافات الإقليمية وحقوق الأقليات العرقية. وفي عام ١٩٩٢م حدث تطور مهم آخر عندما اعتمد المجلس الأوروبي ميثاق أوروبا للغات والأقليات في شكل اتفاقية سارية المفعول اعتباراً من مارس أول ١٩٩٨م. وهذه الاتفاقات، من واقع أنها تقليد عام، ملزمة قانوناً للبلدان الموقعة، وبناءً على ذلك، فهي تعطي مستوى أعلى من الحماية للغات الأقليات في شتى مناحي حياتهم.[١٥] عدد من الجهات الأخرى، وعلى رأسها منظمة الأمن والتعاون في أوروبا the Organization for Security and Cooperation in Europe. أسهمت ببيانات مهمة في تشجيع المناخ الحالي، كما أنّ المكتب الأوروبي للغات قليلة الاستعمال the European Bureau for

١٥- صادقت سبع دول في البداية على الميثاق هي: كرواتيا، وفنلندا، والمجر، ولينشتاين، وهولندا، والنروج، وسويسرا. وفي (خطوة أولية نحو المصادقة على الميثاق) وقّعت إحدى عشرة دولة هي: النمسا، وقبرص، والدنمارك، وألمانيا، ولوكسمبرغ، ومالطا، ورومانيا، وسلوفينيا، وإسبانيا، وجمهورية يوغسلافيا السابقة، ومقدونيا، وأوكرانيا. ووقّعت المملكة المتحدة بعد عدة سنوات من تجنبها التوقيع عليها. ووافقت أخيراً على التوقيع عام ١٩٩٨م. ووردت تدابير الحماية في التعليم في (المادة ٨) والسلطات القضائية في (المادة ٩) والسلطات الإدارية والخدمات العامة في (المادة ١٠) ووسائل الإعلام في (المادة ١١) والنشاطات الثقافية والمرافق في (المادة ١٢) والحياة الاقتصادية والاجتماعية في (المادة ١٣) والتبادلات عبر الحدود في (المادة ١٤).

Lesser Used Languages الذي يهدف إلى حفظ وتنمية اللغات الإقليمية الأصلية والثقافات في الاتحاد الأوروبي، كانت له أيضاً قوة دفع مساندة[١٦].

لعله ليس من الغريب أن نرى التشجيع الأوروبي هذه الأيام لتعدد اللغات؛ لأنّ الاتحاد الأوروبي أكّد على مبدأ استعمال اللغات الوطنية في شؤونه، بالرغم مما يعنيه هذا من تكلفة. فإذا كانت دولة تفاخر بحقها في لغات يتم التخاطب بها في بروكسل ولكسمبورج وستراسبورج، فمن الصعوبة على مثل هذه الدولة أن تحرم مكوناتها العرقية من الحق نفسه، وشهدت العديد من بقاع العالم تطورات إيجابية في هذا الاتجاه. الولايات المتحدة أقرت قانونين للغات الأمريكية المحلية في ١٩٩٠م و ١٩٩٢م على التوالي، الأول "لحفظ وحماية وتطوير اللغات الأمريكية المحلية" والثاني "لمساعدة الجماعات الأمريكية الأصلية لضمان إحياء واستمرار حيوية لغاتهم"[١٧]. قانون عام ١٩٩١م في روسيا عن اللغات، جعل كل اللغات في مكانة الممتلكات الوطنية، تحت حماية الدولة. دستور كولومبيا لعام ١٩٩١م أعطى اللغات المحلية اعترافاً رسمياً بالتداول في مناطقها، كما دعم سياسة تعليمية ثنائية اللغات. وعلى المستوى العالمي الأوسع فإنّ اليونسكو، والأمم المتحدة أصدرتا بيانات مثل إعلان الامم المتحدة عن حقوق الأفراد التابعين لأقليات قومية أو عرقية أو دينية أو لغوية عام ١٩٩٢م. وكانت اللغة أحد هذه المحاور التي

١٦- أسباب ليس أقلها تعزيز انتشار المعلومات عن صناعة القرار السياسي من خلال النشرات والكتيبات: على سبيل المثال انظر، لمكتب الأوربي للغات الأقل استخداما (١٩٩٤م).

١٧- القانون الأمريكي العام ١٠١-٤٧٧، القانون الأمريكي العام ١٠٢-٥٢٤.

غطتها هذه البيانات. من هنا كانت أهمية إعلان الحقوق اللغوية الذي صدر ببرشلونة عام ١٩٩٦م بتركيزه الأساسي على اللغة (انظر الملحق). وبطبيعة الحال فإنّ من السهل إصدار البيانات والإعلانات والقرارات ولكن الصعوبة تكمن في تطبيقها على أرض الواقع عملياً. وكل هذه الإصدارات تعرضت للنقد بشأن شموليتها وواقعية التوصيات الخاصة بتطبيقها[١٨]. ولكن بالتأكيد كانت أكثر تحديداً وتركيزاً من سابقاتها في مجال دعم حقوق الإنسان التي لم تذكر اللغة على الإطلاق في كثير من الأحيان وإنما تذكرها باستخدام مصطلحات غامضة.

الحاجة إلى مواصلة الضغط على الحكومات، على المستوى الدولي والقومي والمحلي، للتأكد من الإنجاز الفعلي، هي أكثر إلحاحاً الآن من أي وقت مضى. وبالرغم من التطورات أعلاه فإنّ هناك بلداناً معينة في العالم لا زالت تنتهك أو تتجاهل حقوق اللغة أكثر من أن تدعمها؛ فلا مكان للرضا. في الوقت نفسه هناك تقدم في بلدان معينة، يجب الاعتراف به؛ لأنه يعطي نموذجاً لما ينبغي أن يكون عليه الأمر. ولعل من أكثر الأمثلة وضوحاً باراغواي إذ أصبحت لغة قواراني Guaraní رمزاً للهوية الوطنية ولها مكانة رسمية (منذ ١٩٩٢م)، وتتمتع بانتشار ذي مستوى عالٍ، وتكتسب ولاءً متميزاً، ويتحدث بها أكثر من ٩٠٪ من السكان. وفي الماضي كانت البرغواي تعد من البلدان التي تتحدث الإسبانية مع وجود للغة Guaraní، أما الآن فبعض المراقبين يرى عكس

١٨– من وجهة نظر نقدية، انظر تعليقات Skutnabb- Kangas (1996: 8).

هذا الوصف. فيقول بأنها تتحدث Guaraní مع حضور للغة الإسبانية[١٩]. وحدث تطور أيضاً في جرينلاند عندما صدر قانون رئيس عام ١٩٧٩م أدّى إلى زيادة عدد ثنائيي اللغة في البلاد وتعيينهم في مناصب عليا[٢٠]. وفي أريتريا، كما لوحظ من قبل، تمثلت سياسة الحكومة في ألا تكون هناك لغة رسمية للبلاد، من واقع أن ذلك توجه متحرر غير معهود (خاصة في إفريقيا انظر ص ١٤٣) وهو ما أكده بقوة الرئيس أفاوركي Afawerki عام ١٩٩٥م[٢١]:

> سياساتنا واضحة ولن ندخل في مساومات، وكل شخص له الحق في الدراسة باللغة التي يفضلها ولن نرغم أحداً على استعمال أي لغة "رسمية".

٤. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا امتلك المتحدثون بها حضورًا قوياً في النظام التعليمي

تنمية الوجود داخل البلد تعد أولوية لكل لغة مهددة بالانقراض، وكما رأينا، فلا يوجد حل تتصوره الأذهان يُحمّل النظام المدرسي المسؤولية كاملة[٢٢]. ولكن إذا لم يسجل النظام المدرسي حضوراً على الإطلاق على مستوى التعليم الابتدائي والثانوي، فإنّ المستقبل سيظل مظلماً. إنّ دور المدرسة في تطوير الطفل للغته الأم أمر مفهوم، وفق

١٩– على سبيل المثال Rubin (1985).

٢٠– Langgaard (1992).

٢١– اقتُبست عند Brenzinger (1998: 94).

٢٢– انظر ما سبق صفحة ١٨٣. انظر أيضاً فشمان Fishman (1991).

أبحاث ونقاشات أجريت على مدى عدة عقود، في مجال اللسانيات التربوية[٢٣]. وعلى الرغم من أنّ معظم هذا الجهد كان موجهاً لمساعدة الطلاب لتطوير مهاراتهم في اللغات غير المهددة بالخطر، إلا أنّ هنالك تطبيقاً مباشراً وواضحاً على الحالات اللغوية الأقل حظاً. المنظومة المدرسية تتيح سلسلة من فرص تتزايد وتعطي الأطفال فرصةً للاستماع والحديث في أثناء تعلمهم من أجل مواكبة متطلبات مناهجهم الدراسية، إذ يصبحون قادرين على استخدام اللغة في أداء نشاطات اجتماعية داخل البيئة الدراسية (مثل الاجتماعات الدينية والثقافية). والدراسة تمنح الطالب فرصة تعلم القراءة والكتابة (انظر تفصيلاً أدناه) مما يفتح لهم أبواباً لعالم جديد. وإذا كانت كل تجربة الطلاب في المخاطبة والكتابة من خلال اللغة الغالبة من واقع أنها وسيط، فلم يكن مستغرباً أن تخفق اللغة المحلية في الاستمرار في الحياة (وقد لاحظ برادلي Bradley مثالاً على ذلك في لغة أوقونق Ugong أعلاه) وفي المقابل إذا استطاع التخطيط الدقيق إعطاء اللغات الأصلية مكانة رسمية جنباً إلى جنب مع اللغة المهيمنة، فإن النتيجة ستكون زيادة عظيمة في الثقة في النفس عند التلاميذ.

التعليم نعمة ونقمة في حالات اللغة المهددة بالانقراض. ففي المقام الأول يُقدّم للتلاميذ بالمؤثرات والقيم الأجنبية نفسها التي جعلت لغتهم مهددة ولكن المعرفة

٢٣– للإفادة من تركيبة التفكير الذي يتعلق بالمناهج الوطنية للمملكة المتحدة، انظر Brumfit (1995). انظر أيضاً Cantoni and Reyhner (1998) و Reyhner (1997).

والتوعية التي تتولد من عملية التعليم تولد لدى الأطفال ثقة بالنفس تمكنهم من مواجهة مصاعب الحفاظ على اللغة. إنّ الإلمام بشيء عن تاريخ اللغة والتوارث الشعبي والأدبي يمكن أن يكون عامل طمأنة. فالمدرسة ليست هي المنبع الوحيد لهذه المعرفة بالطبع. كثير من الوعي باللغة، مع الترابط الاجتماعي، يأتي من النشاطات غير المنهجية التي تنظمها الجماعات على أنها جهد للحفاظ على اللغة، مثل المجموعات الرياضية، والمخيمات الصيفية، والتدريب المهني، أو الإجازات ثنائية اللغة. يحدث ذلك أيضاً عندما يشارك كبار رجال المجتمع في المجال التعليمي. وإذا تدبرت النظام الاجتماعي بشكله الأوسع، فإنه لابد من أن يشتمل على كل أنواع النشاطات والمساقات المتعلقة بتعليم الكبار في القاعات المحلية، والمراكز، والبرامج الاجتماعية الخاصة، والتدريب المهني خارج إطار البرامج الدراسية ومساقات الخدمة، ومعظم النشاط الذي يمكن أن يندرج تحت اسم "تنمية الوعي"[٢٤].

لكن لا يمكن لأيّ برنامج دراسي أن ينجح بدون مواد تعليمية جيدة، وهذه المواد لا قيمة لها بدون مدرسين مؤهلين للتعامل معها. وعليه فإنّ تدريب المدرس هو عامل مهم في معظم اللغات المهددة بالانقراض. إنّ الوضع الأمثل هو أن يكون المدرس من المجتمع الذي يتقن اللغة الأصلية وعلى قدر من التدريب يؤهله للتعامل مع غير الناطقين

٢٤– للتمييز الجدي بين "وعي اللغة" (أي العمل على ما يعرفه الشخص) وبين "زيادة الوعي" (أي العمل على ما لا يعرفه الشخص). انظر James (1999).

باللغة الذين سيشكلون السواد الأعظم من الجيل القادم. إنّ التدريب المطلوب معقد؛ لأنّ حالة تعلم اللغة مشوشة جداً، ومعظم العمل سيكون علاجياً، بمعنى أنّ عدداً كثيراً من الدارسين سيكونون متفاوتين في مستوى الطلاقة اللغوية في اللغة الأصلية، ويتدرجون من مستوى معقول إلى مستوى يقترب من الطلاقة التامة في اللغة. وعدد كبير من الدارسين سيكونون أعضاء يمثلون الجيل "المتوسط" الذين تعلموا اللغة المهيمنة على أنها لغة أولى بهدف الاستيعاب، والذين ليس لهم خيار آخر سوى تعلم لغة الأسلاف وكأنها لغة أجنبية. وعلى المدرسين أيضاً أن يتمكنوا من التفاعل مع التنوع الكبير في مزاج الطلبة وقدراتهم وحوافزهم، ومع الحالة الاجتماعية السياسية التي قد لا تتعاطف دائماً مع عملهم ومع الوضع الاقتصادي الذي يتمثل في نقص المواد والمصادر. المهنة باختصار، ليست سهلة وتتطلب وضعاً مناسباً يأخذ في الاعتبار المرتبة والراتب بحيث يدفع للمدرس الأساسي راتب مواز لمرتبات المدرسين الزائرين الذين يُستقدمون للمساعدة في حل المشكلة. ولسوء الحظ فإنّ انخفاض الرواتب والتفاوت في المستويات كلها سمات غالبة جداً على حالات اللغات المهدَّدة.

٥. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا كان المتحدثون بها يستطيعون كتابتها

إنّ تعليم الناس القراءة والكتابة، بلا شك، مهمة تعليمية أساسية؛ ولكن معرفة القراءة والكتابة تثير موضوعات ومسائل أخرى قد يحتاج رصدها إلى فصل مستقل. فهذه المعرفة لها دور متفرد في الحفاظ على اللغة كما أوضح صموئيل جونسون Samuel Johnson مبيناً الفروق بين لغة مكتوبة وأخرى غير مكتوبة، إذ يقول[٢٥]:

> **الكتب مستودعات أمينة للغة وقد تُهمل في لحظة أو قد تُنسى، ولكن عند الرجوع إليها مرة أخرى، لفتحها من جديد فإنها ستؤدي دورها في التعليم: فالذاكرة متى ما تم قطع حبالها لا يمكن استدعاؤها. أما التعليم المكتوب فهو مثل النجم الثابت الذي يسطع ويضيء مرة أخرى في وضعه الصحيح، وذلك بعد أن تكون السحابة التي غطته قد انزاحت عنه. والتقاليد مثل النيزك الذي إذا ما سقط وهوى لا يمكن إشعاله مرة أخرى.**

ينبغي الإشارة هنا إلى أنّ كون اللغة مكتوبة ليست جواز سفر لها للاستمرار والبقاء تلقائياً، فذلك واضح من وقوفنا على العديد من اللغات المنقرضة في العهود القديمة التي كنا قد عرفناها من خلال الكتابة، وفي المقابل فمتى ما تجاوزت اللغة المرحلة التي يمكن أن تنتقل بين الأجيال، وتصبح لغة الوطن الأولى، فإنّ مستقبلها يكون أكثر تأكيداً إذا كتبت. والسبب في ذلك ليس فقط لحماية محتواها وبياناتها للأجيال القادمة: فإذا كان هذا هو كل المطلوب فيكفي في هذه الأيام القيام بإعداد كمية ضخمة من شرائط تسجيلات سمعية وتسجيلات مرئية. إنّ كتابة اللغة نوع مختلف من أنواع النشاطات، إذ تحتوي على خطوة فكرية تتمثل في تحليل للطريقة التي يعمل بها النظام الصوتي للغة،

٢٥- "Ostig in Sky", in A *journal to the Western Island of Scotland*, P.113 of the Penguin edition (Johnson 1990/1773).

بحيث يمكن ابتكار أكثر الأشكال كفاءة للنظام الكتابي، وإعداد المادة المساعدة في التعليم، وذلك في شكل معاجم، وكتب قواعد، وأدلة أخرى. إنها خطوة يجب تدريب اللسانيين على القيام بها، وعلى الطرق التي سيتم عرضها لاحقاً. وقد تكون خطوة خلافية؛ لذلك فإن هذه الفرضية للتقدم تحتاج إلى عرض حذر.

أما فيما يتعلق بأولئك الذين لهم ثقافة، لها من التاريخ العديد من القرون في معرفة القراءة والكتابة، فقد يكون من المدهش لهم أن يدركوا أنّ معرفة القراءة والكتابة لها جانب سلبي فيما يتعلق باللغات المهددة بالانقراض. ولكن هناك العديد من الطرق التي يتحقق بها هذا الجانب السلبي. ففي البداية قد تكون مقاومة من الناس أنفسهم. فإذا لم تكن معرفة القراءة والكتابة جزءاً من ثقافتك فمن السهل أن ترى كيف أن تبنّيها يمكن أن يعد خسارة وليس مكسباً؛ لأنه استسلام لتلك الثقافة، ولعداء محتمل من العالم الخارجي أو فقدان الملكية (انظر تفصيلات أوسع لاحقاً). وبعض الناس يعتقدون أنّ لغتهم قد تم تدميرها متى ما تمت كتابتها. و بلا شك لابد من أن يكون هنالك تأثير في الطريقة التي بها تُقدم اللغة: فقصص الموروث الشفاهي عادة تكون حيوية في صفاتها ومفرقة بين الروايات المعتمدة بدرجة كبيرة على التداخل الحي بين المتحدث و المستمعين، واستخدام مجموعة منسقة من التأثيرات التواصلية من النوع غير اللفظي. وعندما تكتب هذه القصص تصبح ثابتة ومقلصة، وتفتقر إلى عنصر الحوار، فضلاً عن

ذلك فإنّ النظام الهجائي لا يستطيع التعامل مع تناسق الأصوات، ولا مع الإيقاع، ولا مع نغمات الصوت ولا مع الإيحاءات والتلويحات ولا مع تعبيرات الوجه التي تعطي القصص كثيراً من حياتها. كل التسجيلات تميز نسخة عن نسخ أخرى، وفي تقليد حيث كل الموضوع يسمح بتنوع السّرد؛ فإن هناك الكثير مما يُفقد نتيجة للانتقاء.

قرار تقديم معرفة القراءة والكتابة يتضمن مشكلة ثانية من مشكلات الاختيار. فأيّ نوع من اللغة ينبغي كتابته؟ العديد من اللغات المهددة بالانقراض تتفرع إلى عدد من اللهجات وبعضها تختلف كثيراً كل عن الأخرى في الأصوات والقواعد وفي المفردات، ومن النادر التمكن من كتابتها كاملةً لأسباب تطبيقية؛ لذلك ينبغي أن يتم اختيار لهجة واحدة. فماذا يحدث للهجات الأخرى بعد ذلك؟ فمن المفارقات أنّ عملية الاختيار نفسها يمكن أن تكون عاملاً يؤدي إلى فقدان التنوع الموجود أصلاً لحماية اللغة[٢٦]. برنامج تعليم ومعرفة القراءة والكتابة يميل إلى صرف المال، والمصادر التي كان من الممكن استخدامها بطريقة أخرى لدعم سلسلة من لهجات تتحول ولا تبقى. وفوق ذلك، إذا اختيرت لهجة معينة لتعليم القراءة والكتابة (أي لمحو الأمية) فإنّ تلك اللهجة تكتسب حاله اعتبارية عالية، وهذا قد ينتج عنه انقسام في الجماعة يعجّل بعملية فقدان اللغة. فالمشكلة صعبة وخصوصاً في الأماكن التي يكون فيها نظامان مختلفان من نظم الألفبائية الهجائية في حالة تنافسية، وربما يكونان متعلقين بتقاليد دينية وثقافية مختلفة،

٢٦– لمعرفة المزيد عن وجهة النظر هذه، انظر (Mühlhäusler (1995: 234;1990 .

مثل الرومانية (المسيحية) والعربية (الإسلامية). فالقرار بكتابة أي من اللغات المهددة بالانقراض غير المكتوبة داخل البلاد الناطقة بالعربية أو الهندية، قد يقود إلى مواجهة من هذا النوع. ومن السهل رؤية لماذا يبدو "التوحيد موضوعاً تقنياً فريداً يسهم في تقوية اللغة"[٢٧]. وهو مطلوب قبل إنتاج أيّ مواد كتابيه؛ لأنّ ذلك قد يؤدي إلى تقدم كبير.

من المهم عدم المبالغة في المشكلات. فإنّ المجازفة بالفعل أحياناً تكون بالعكس، فالناس يصبحون إيجابيين جداً بشأن معرفة القراءة والكتابة حتى إنهم قد يصلون إلى إحساس غير حقيقي من الأمن، معتقدين – على سبيل المثال – أنه طالما أنّ اللغة قد دُوّنت، فإنها بذلك قد حُفظت، ولا داعي لفعل أيّ شيءٍ بعد ذلك. برامج تعليم أو معرفة القراءة والكتابة قد نُفّذت بنجاح في المئات من حالات اللغات المهددة بالانقراض ولها أولوية في معظم مشروعات الإحياء[٢٨]. وفي بعض الأحيان يمكن استخدام نظامين من نظم الكتابة، فمثلاً عملية انتقال اللغة عبر الأجيال في لغات يوبيك* Yupik كانت تبدو مجازفة، لأنّ أطفالاً في المدارس كانوا يلاقون صعوبة في فهم لغة الكبار. لذلك فإنّ كتاباً يحتوي على روايات الكبار قد أُلّف وتقرر أن يتم طبعه في نمطين من أنماط التهجئة. وقد كان ذلك بسبب أنّ الإقليم يعيش مدة انتقالية بين

٢٧– England (1998:113).

٢٨– إنّ عدد اللغات التي دوُّنت في العالم غير معروف بدقة. ويشير أحد التقديرات المعتمدة على بيانات *Ethnologue* إلى (٢٠٤٠) لغة أي (نحو الثلث) انظر Trosterud (1999: 16).

* لغات يوبيك هي لغات السكان الأصليين لغرب وشمال شرق ألاسكا، وشرق وشمال شرق روسيا "سيبيريا". وهناك اختلافات بينها؛ إذ لا يفهم المتحدثون بلغتين مختلفتين منها إلا الفكرة الرئيسة للحوار. (المترجم).

التهجئات التبشيرية المطورة، التي كان الكبار قد اعتادوا عليها، وبين التهجئة الصوتية، التي كانت مستخدمة في المدارس (هذا المشروع كان له خصائص أخرى مهمة. فمثلاً قرر المؤلفون الاحتفاظ بالأقدم والأكثر صعوبة، إذا تركوا كلمات أكثر صعوبة في النص دون تعريفها وذلك لتشجيع الأطفال على سؤال معلميهم ووالديهم والكبار عن تلك الكلمات الصعبة. هذه الإستراتيجية حولت التركيز بعيداً عن النص إلى داخل المجتمع. وهذا نتج عنه تفاعل لغوي أكثر حيوية)[٢٩].

حتى السؤال عن اللهجات المتنافسة يمكن تناوله بتخطيط حذر. مثال ذلك لغة كويشوا* Quechua حيث العديد من اللهجات المحلية، ومُنح كلٌّ منها صفة رسمية، وكلها تكتب بنظام هجائي واحد[٣٠]. مثال آخر هو اللغة الرومانشية** Romanch حيث خمس لهجات، كل منها اتخذت معياراً أدبياً خاصاً بها. وفي سنة ١٩٧٨م كلف هنريك شميد Heinrich Schmid وهو لساني من غير الناطقين بالرومانشية بمهمة وضع نظام موحد يمكن أن يتعامل مع كل لهجة على حدة. وكان الناتج Rumantsch Grischum

---

٢٩- Wyman (1996: 20).

* لغة السكان الأصليين لجبال الأنديز التي تمتد عبر الجزء الغربي من أمريكا الجنوبية. (المترجم).

٣٠- Grinevald (1998: 130). وعلى أيّ حال، فإنّ الوصول إلى لغة موحدة لأقلية (كتشوا) أمر مثير للجدل. وأُشيرَ إلى هذا الموضوع عند Hornberger and King (1997: 17) . قد توجد مجموعة تدعم الأبجدية التي تضم رموزاً لخمسة صوائت الأمر الذي يوضّح تأثير نفوذ الاستعمار الأسباني، وقد توجد مجموعة أخرى تدعم الأبجدية التي تحوي رموزاً لثلاثة صوائت، مما يتماشى أكثر مع البنية الصوتية للغة. وكان هذا النزاع سبباً في تناقص عدد الكتابات؛ لأن الناشرين يترددون في الاستثمار في أيّ من النظامين، بسبب إمكانية رفضه. واتخاذ مواقف قوية من هذا النوع وهي تاريخياً قابلة للتفسير يمكن أن تكون عائقاً حقيقياً لجهود الإحياء؛ لأنها تبدد طاقات أولئك الذين يكافحون في الجانب نفسه.

** إحدى اللغات الرسمية في سويسرا. (المترجم).

التي تمثل تكرار استخدم الكلمات والتراكيب في مختلف اللهجات، واختيار تلك التي كانت واسعة الانتشار (عندما تكون الوحدات في منافسة) وحتى التي تم قبولها، بعد جدال على أنها قياسية اصطناعية، أصبحت تستخدم بازدياد؛ لأنها أداة إدارية عملية في المواقف الرسمية، واللهجات الخمس بحاجة إلى لغة مشتركة. وكل اللهجات يبدو أنها استفادت من هذا الوضع الجديد المتميز[٣١].

٦. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا استطاع المتحدثون بها الاستفادة من التقنية الإلكترونية

هذه تُعد مسلّمة افتراضية إلى حد ما، إذ إن أجزاء كبيرة من العالم حيث اللغات مهددة بالانقراض بطريقة حرجة، ولم تتمكن بعد من الاستفادة من التقنية الإلكترونية والكهرباء. ولكن من حيث المبدأ نجد أنّ تقنية المعلومات – وعلى وجه خاص الإنترنت – تمنح اللغات المهددة بالانقراض والتي وثقت بالكتابة، فرصاً جديدة كان احتمال استكشافها يبدو صعباً. المهمة الأساسية التي أقدمها من خلال فرضيتي الأولى المذكورة أعلاه تتضمن الحاجة إلى إعطاء اللغة المهددة بالانقراض لمحة عامة أو سمة عامة. بصورة تقليدية نجد أنها عملية مكلفة: صفحات الجرائد وأوقات التلفزيون أو الراديو لا تأتي بثمن رخيص. فقط اللغات الأكثر غنى هي التي يمكن أن تتحمل تكاليف الاستخدام الروتيني لتلك الوسائل الإعلامية. ولكن مع الإنترنت أصبح الناس كلهم سواسية. إنّ

٣١- Haiman and Benincá (1992).

تكلفة صفحة واحدة على الإنترنت متساوية في كل الأحوال، سواء أكان المشترك يكتب بالإنجليزية أم بالأسبانية أم بالويلزية أم بالنافاجونية* Navajo. ومن الممكن تماماً لثقافة لغة أيّ أقلية إثبات وجودها على الإنترنت، وهذا ما أصبح يحدث الآن، على الرغم من محاولات القمع التي تمارسها بعض اللغات من خلال مزود الخدمة[٣٢]. ومن المحتمل أنّ هناك أكثر من ٥٠٠ لغة لها وجود على الإنترنت حالياً. وبالطبع فإنّ المهم هو أنّ الشبكة تقدم أو تزود بهوية لم تعد ذات ارتباط بالموقع الجغرافي. فالناس يمكنهم المحافظة على هويّةً لغويةً والعمل على استمرارها من خلال أقاربهم وأصدقائهم وزملائهم أينما كانوا في أرجاء العالم. في حين أنّ الانتشار الجغرافي بصورة تقليدية لمجتمع من خلال الهجرة قد أصبح عاملاً مهماً في ذوبان لغة ذلك المجتمع، لكنّ هذه الحال لن تستمر طويلاً. فإنّ الإنترنت، مع نمو وسائل وطرائق أسرع وأرخص في مجال السفر بين المواقع، سيغيّر خططنا لتجنب الخطر.

هناك الكثير مما ينبغي القيام به قبل أن تصبح هذه التوجهات حتمية. مشغلات البرمجيات في حاجة إلى أن تصبح متعددة اللغات بصورة أكثر، والكثير من الترميزات الشاملة والمتفق عليها في حاجة إلى تنفيذ. كما يجب تنفيذ الأنظمة الهجائية غير

---

* لغة قبيلة نافاجو جنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية، وهي أكبر قبيلة معترف بها في الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى الاتحادي. (المترجم).

٣٢– تتضمن التقارير الحديثة إغلاق مواقع نشر الرسائل الإلكترونية باللغة الآيرلندية بواسطة AOL (America On Line) المملكة المتحدة. وردت في *Ogmios* 10. 23.

الرومانية، فيما يتعلق بالعديد من المجتمعات المهددة بالانقراض، فإنّ الإمكانية الأساسية للحصول على ارتباط بالإنترنت ما زالت بعيدة المنال، واضعين في الاعتبار شحّ الأجهزة وعدم وجودها، بما فيها الكهرباء. ولكن علامات عديدة تبشر بالتقدم؛ فعدد من مشروعات الحفاظ على اللغة قد قامت بتوظيف تقنية اللغة لتسهيل مهمة هذه المشروعات. فمثلاً أُستخدمت برامج التصحيح الكتابي للمساعدة على جعل النظام الكتابي طبيعياً ومتفقاً عليه في اللغة المكتوبة حديثاً. وهذا مفيد بصورة خاصة عندما يكون هناك تدخّل للغة أخرى في المنطقة. وقد بدأت الحواسيب في تناول كيانات المعرفة المتخصصة مثل قوائم لأسماء الأماكن والسلالات أو النباتات. لقد أصبح هناك نمو مضطرد في مواد أو موضوعات الدراسة الذاتية المدعمة بالحاسب الآلي. ومن أكثر المؤشرات أو العلامات المشجعة الواعدة نجدها في جانب إدارة المعرفة من جوانب تقنية المعلومات، إذ نجد أنّ أهمية فكرة التوطين قد أصبحت تنمو باضطراد إلى حد أنه أصبح لزاماً اعتبارها صناعة في حد ذاتها بوجود جمعيتها الخاصة بها (ليسا)* LISA (The Localization Industry Standards Association) (جمعية معايير صناعة التوطين). وفي هذا السياق فإنّ التوطين يشير إلى تكييف منهج ليلائم اللغة المستهدفة والثقافة، وللتفريق بينه وبين العولمة (تبني إستراتيجيات تسويقية لتتلاءم مع المتطلبات الإقليمية في

---

* جمعية أسست عام ١٩٩٠م، ومقرها سويسرا. تهدف إلى ترجمة البرامج الحاسوبية إلى اللغات الطبيعية "البشرية"، وتضم معظم شركات التقنية المرموقة. (المترجم).

كل شيء)، وللتفريق كذلك بينه وبين الخضوع للإشراف الدولي (وأي هندسة منتج مثل البرمجيات يكون مؤهلاً ليفي بالمتطلبات المحلية)[٣٣]. إنها علامة صحية أن نرى هذا التأرجح من العالمية إلى المحلية خلال هذه المدة القصيرة، ويمكن أن تصبح اللغات المهددة بالانقراض أحد المجالات التي سوف تستفيد من عملية تغيير التركيز. وعلى أيّ حال، إنني مقتنع بصورة كافية بالقوة المحتملة لتقنية الإلكترونيات لأجعلها واحدة من فرضياتي الست من أجل التقدم في الحفاظ على اللغة، بالرغم من الدور المحدود الذي لعبته حتى اليوم.

إن فرضياتي الست تعمل على تقطيع الكعكة بطريقة معينة، وبطبيعة الحال فإنّ هناك الكثير من الطرق الأخرى. وعلى الرغم من اختلافات المصطلحات والتأكيدات فإنّ موضوعات متشابهة تتكرر. على سبيل المثال، نجد أن الكاتب أكيرا يا ماموتو Akira Yamamoto يفرق بين تسعة عوامل "تساعد على الحفاظ وتسويق اللغات الصغيرة": والعوامل التسعة هي[٣٤]:

- وجود ثقافة لغة مهيمنة راغبة في التنوع اللغوي.
- إحساس قوي بالهوية العرقية داخل المجتمع المهدد بالانقراض.
- ترويج برامج تعليمية عن اللغة والثقافة المهددتين بالانقراض.

٣٣- هذه التعريفات من 19 ,(1998) 4 :10 *Language International* ويوضح التقرير أنّ هناك قدراً كبيراً من الاستخدامات المتغيرة في مسائل التعريف في حقل الصناعة.

٣٤- Yamamoto (1998b: 114).

- **وضع برامج مدرسية ثنائية اللغة والثقافة.**
- **تدريب المتحدثين باللغة الأم ليصبحوا معلمين.**
- **إشراك الجماعة اللغوية كاملة.**
- **وضع مواد لغوية تكون سهلة الاستخدام.**
- **تطوير الأدب المكتوب، التقليدي والحديث.**
- **إيجاد وتقوية البيئات التي ينبغي أن تستخدم فيها اللغة.**

قدمت لين لاندوير Lynn Landweer ثمانية "مؤشرات إحياء عرقي لغوي" للغة مهددة بالانقراض هي[٣٥]:

- **المدى الذي يمكن لها أن تقاوم فيه تأثير ثقافة متحضرة ومهيمنة.**
- **عدد المجالات التي تستخدم فيها.**
- **التكرار، ورمز التحول، ونوعه.**
- **وجود عدد ضخم من المتحدثين بها بطلاقة.**
- **توزيع المتحدثين عبر الشبكات الاجتماعية.**
- **الاعتراف الداخلي والخارجي بالمجموعة على أنه مجتمع فريد.**
- **مكانتها النسبية مقارنة باللغات حولها.**
- **اتصالها بقاعدة اقتصادية مستقرة.**

وهذه القوائم بينها قدر كبير من القواسم المشتركة.

٣٥- Landweer (1998).

دور اللساني

اعتاد اللسانيون أن يكونوا قابعين في الصفوف الخلفية، فيما يتعلق بكل من هذه الفرضيات، كما هو الواقع في الفصول السابقة من هذا البحث. وقد حان الوقت كي يتقدموا الصفوف، ويجعلوا دورهم في الطليعة، أو بالأحرى أدوارهم؛ لأن هناك العديد من المهام التخصصية التي ينبغي أن تطبق من أجل تأمين المستقبل للغة ما، وذلك بتبني لغة فوقية metalanguage،* طُبقت جيداً في اللسانيات السريرية[٣٦]، هذه المهام يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع واسعة المدى: تلك التي لها علاقة بالتشخيص والتقويم، وتلك التي لها علاقة بالوصف والتحليل، وتلك التي لها علاقة بالتدخل وإعادة التقويم.

إنّ القياس على المجال الطبي مناسب بوجه خاص؛ لأنه يجعلنا قادرين على اتخاذ موقف من موضوع يطفو على السطح، من حين لآخر، وهو ما يحفز اللساني على العمل لصالح اللغات المهددة بالانقراض. إنّ وجهة نظري جلية لا لبس فيها، هي: كما يتدخل الأطباء فقط لهدف أساسي للحفاظ على الصحة الجسدية للمرضى، فبالطريقة ذاتها ينبغي أن يتدخل اللسانيون فقط بهدف أساسي هو الحفاظ على الصحة اللغوية لمن يتحدثون لغات مهددة بالانقراض. إنّ مفهوم اللسانيين الذين يعملون لصالح تلك اللغات دون اهتمام بالناس الذين يتحدثون بها – غير اعتبارهم مصدر بيانات لأطروحة

* المقصود لغة تستخدم لوصف اللغة. (المترجم).

٣٦– انظر المناقشة في Crystal (1981/1989). والمقارنة الطبية اقتبست كذلك من Valiquette (1998:110).

أو بحث للنشر – ينبغي ألا يُقبل، وهذا يشبه قيام الأطباء بجمع بيانات طبية دون مراعاة ما يحدث بعد ذلك للمرضى. وهذه النقطة لم تكن جديرة بالذكر لو لم تكن كثيرة الحدوث، وكانت قبل ذلك جزءاً من روح البحث. خلال مراحل تكوين اللسانيات وعلم الإنسان والأنثروبولوجيا الوصفية، فإنّ عملية جمع البيانات كانت روتينية وكأنها غاية في حد ذاتها. فإذا ما تم جمع البيانات فإنها تعامل على أنها كيان مستقل ذو إسهام في المعرفة المتنامية عن السلوك البشري. ففي حالة اللسانيات كان الهدف هو زيادة تعميم وصف الحالة وقوة التوضيح النظري. وأصبح نسيان الناس في غاية السهولة ليكون التركيز على اللغة. ويطفو بانتظام على السطح الانطباع الشعبي بأنّ العلماء مشغولون بالبيانات التي جمعوها ويهملون مشكلات العالم الحقيقية، فهذا هو الانطباع الذي يطفو إلى السطح متعلقاً باللسانيات وبالحقول الأخرى. وبالفعل فقد كنت ضمن مناقشة إذاعية، قبل شهر واحد من كتابة هذه الفقرة، فعلق أحد المشاركين: إنّ اللغات التي تموت ينبغي أن "تجعل اللسانيين سعداء جداً". وهذه المسألة قد قُدمت في صورة فكاهية، ولكن تكرارها لم يكن مريحاً لأنها تصرف الأنظار عن ماهية القضايا الحقيقية. الطُّرف لم تكن لتؤلّف عن الأطباء ولكن اللسانيين لم يقرروا أبداً تأدية قسم مماثل لقسم أبقراط* وربما كان عليهم أداء ذلك.

* قسَم يؤديه الأطباء عادة قبل مزاولة مهنة الطب منسوب إلى الطبيب اليوناني أبوقراط (٤٦٠–٣٧٧) قبل الميلاد. (المترجم).

لا شيء من هذا منع اللسانيين من جمعهم البيانات، وتحليلها واستقراء الأفكار منها، والتفكير والتأمل فيها، والقيام بكل الأشياء الأخرى التي تجعلهم سعداء. تلك هي المهام الملقاة على عاتق اللسانيين، والتي ينبغي القيام بها؛ فتلك مسؤوليتهم، ويجب علينا أن نحترم رغبتهم التي قادتهم إلى أن يصبحوا لسانيين في المقام الأول. وبعد ذلك كله، فلن يكون هناك لسانيون لو أننا تجاهلنا الأمور التي يحتاجونها في تطويرهم المهني، والتي تتضمن بصورة أساسية الأبحاث والأعمال المرجعية. ولكن في ميدان اللغات المهددة بالانقراض ـ كما في الميدان الطبي ـ ينبغي ألا يكون هذا الأمر هو الحافز الوحيد. فمتى ما قرر اللسانيون أن يتخصصوا في هذا الميدان، فإنّ عليهم أن يتبنوا منظوراً أوسع، إذ تأخذ تطلعات المجتمع الأصلي من خلاله مكاناً مركزياً. وقد حدث نقاش كثير عن ماهية هذا المنظور، وكيف ينبغي أن يكون. ووجهة نظري الخاصة هي أنّ اللسانيين يجب عليهم أن يروا دورهم الأوسع على أنه مساعدة للمجتمع الأصلي كي يفهم ما ينفرد به إرثه اللغوي، وما هي القوى الأخرى التي تهدد هذا التراث. وهذا يعني أنّ من أهم واجباتهم الأساسية تحت العنوان العريض للتشخيص العام، وأن يدركوا، بقدر الإمكان، الحقائق الاجتماعية والسياسية الخاصة بالحالات المهددة بالانقراض. هم في حاجة إلى أن يعرفوا المخاطر المصاحبة لخطواتهم ضمن موقف اجتماعي معقد، حيث التدخل المتعلق بعنصر واحد قد يكون له نتائج غير متوقعة في مكان آخر[٣٧].

٣٧– Thomas (1980:90). انظر أيضاً الفصل الثالث، هامش رقم ٩.

فاللغة، كما ينبغي أن يفهم من الفصل الثاني، تعد عنصراً واحداً داخل نظام بيئي، ومن السهل أن يضُرّ اللسانيون، مهما علت مقاصدهم، بالبيئة التي كانوا يأملون الحفاظ عليها؛ فحتى الاختيار الأولي لدراسة لغة معينة له مضامين سياسية. الناس حولنا يتساءلون: لماذا تدعم لغة ولا تدعم أخرى؟ وإذا اختيرت لغة فقد تكون هناك مناقشات وخلافات بشأن موقع الدعم: لماذا العمل في بلدة "أ" وليس في بلدة "ب"؟ إنّ اختيار المستشارين من داخل المجتمع المتحدث باللغة (ومستويات الدفع لهم) يمكن أن يكون مثيراً للخلاف أيضاً: لماذا تم اختياره وليس اختيارها؟ ومن السهل أن يجد اللسانيون أنفسهم دون أن يدركوا أنهم كذلك قد أخذوا جانباً في حزازات عائلية، تُجند لصالح أجندة سياسية خفية، أو يكون من المتوقع منهم أن يستوفوا جملة من مطالب الالتزامات الاجتماعية. كما يتضح في قول دونا جيردتس Donna Gerdts[٣٨]:

> الخبرة اللسانية ليست كافية لمشاركة ناجحة في برنامج لغة، وعلى اللساني أن يتبنى مهارات سياسية واجتماعية ليكون عضواً مؤثراً في برنامج إحياء لغة ما.

اللسانيون الذين عملوا كثيراً لصالح اللغات المهددة بالانقراض – وهنا تماثل آخر مع الميدان الطبي –يبدون ملاحظاتهم دائماً عن: كيف يكون هذ السياق الاجتماعي السياسي ضاغطاً عاطفياً. ولا يُعطي هذا الأمر ما يستحقه عند تدريب اللساني تقليدياً. ومفهوم العمل الميداني يقدم على شكل مساقات، ويحوي تعقيدات منهجية مشروحة بطريقة جيدة، ولكن المطالب الاجتماعية والنفسية الملقاة على العامل الميداني ليست

٣٨– Gerdts (1998: 13). الاقتباس التالي من صفحة ٢١.

مشروحة بطريقة جيدة. وكلما نمت الخبرة، تغير هذا الوضع ببطء، خاصة في تلك الأقسام العلمية فقد يوجد التزام قوي بالدراسات التطبيقية، إذ الروابط مع علم الإنسان لا تزال قوية. ولكن كما في تعليق جيردتس Gerdts بامتعاض:

> ينبغي أن يتم تحذير العلماء الشباب ... أنه قد يبدو البحث في اللغة المهددة بالانقراض عملاً نبيلاً وممتعاً، ولكنهم سيواجهون مأوى زنبور مليئاً بالموضوعات الاجتماعية والسياسية. إنّ اللغات التي تكون أكثر حاجة إلى الأرشفة، من المحتمل أن تكون هي نفسها التي تكون فيها الحال السياسية غير مرحب بها. فالأيام الخوالي السعيدة، في أثناء مرحلة الدخول المفاجئ، حيث الأسئلة، والقيام ببعض الأعمال الميدانية، وإجراء التحليل، والرجوع إلى البيت والنشر، قد ولت إلى الأبد.

ما زال هنا فجوة كبيرة بين عالم آمن مع لسانيات تطبيقية أكاديمية، وبين حقائق الحالات المهددة بالانقراض. وكلمة "آمن" ليست للاستهلاك البلاغي، إنما هناك بالفعل أخطار طبيعية، مع الأخذ في الاعتبار أنّ أجزاءً عديدة من العالم مهيأة لأزمات وصراعات (انظر الفصل الثالث)، لوجود قوى شاذة (الإرهابيون أو المقاتلون من أجل الحرية وهذا يعتمد على موقفك)، والعمليات الإجرامية تمثل تهديداً دائماً[٣٩]. وفوق ذلك فإنّ اللسانيين دائماً يجدون أنفسهم في مواجهة مع الالتزامات الاجتماعية والسياسية، عندما يصبحون ببساطة أعضاء – ولو مؤقتاً – في المجتمع المحلي الأصلي. وقرب هذا الرباط يتفاوت بصورة كبيرة، ولكن في الجماعات الصغيرة قد يصل هذا الرباط غالباً إلى التزام قوي حتى في المسؤوليات العائلية. فإذا وقع مستشار من السكان الأصليين مريضاً، على سبيل المثال، فإنّ اللساني قد يستدعى للمساعدة في أخذ المريض إلى المستشفى. علاوة على

٣٩– يجب ألا يغيب عن الأذهان أنه من الممكن أن يكون هناك تهديد جسدي للاستشاريين واللسانيين؛ فلن يكون كل الناس من أفراد المجتمع الأصلي سعداء بأن يروا أحدهم "يعمل مع الأجانب".

ذلك، فإنّ إحساساً بفقر يعانيه إقليم ما، في العالم الثالث، ليس ببعيد. هناك حاجة إلى محسن محب لعمل الخير دائماً وبصورة لا يمكن تلافيها، تؤثر في اللسانيين (لكونهم بشراً)، ثم تتوسع اتجاهات تذهب إلى أبعد من الحاجة الماسة لاستعلام لغوي (قارن مع ص ١٧٥). العديد من المعلقين تحدثوا عن الطريقة التي سيصبح بها اللسانيون، وعمال الإغاثة منهكين جداً ذهنياً، وجسدياً، جراء الضغط الواقع عليهم من الحاجة الإنسانية حولهم والتي يعجزون عن أدائها بمهنية.

وتدعى حالتهم تلك حالة إجهاد[٤٠]. وقد يبدأون بالسؤال عن قيمة دورهم، وعن أنهم غير قادرين على ضبط الشك المستمر في ما إذا هم حقيقة يساعدون، أم أنهم يجعلون الأمور أسوأ. إضافة إلى ذلك فقد يكون هنالك إظهار عداء نحوهم من الأهالي المحليين الذين يميلون إلى الارتياب في دوافع هؤلاء (اللسانيين خاصة إذا كانوا أعضاء في الجمعية التي هددت المجتمع في المقام الأول). الاستغلال الاقتصادي موجود بصورة عامة، بحيث يكون من الطبيعي جداً لمجتمع أن يفترض أنّ وجود باحث غربي بينهم قد يكون للحصول على المال من خلالهم. وفي الغرب نفسه نجد أنّ الشك قد يكون لأسباب سياسية، وهذا ما اكتشفه جنز إبرهارد جان Jens Eberhard Jahn في عمله في إستريا*، وكرواتيا متضمنة الكروات، والسلوفانيين، والإيطاليين، وآخرين. وبالرغم من أنّه واجه

٤٠- Rhydwen (1998: 104).

* شبه جزيرة تقع شمال شرق البحر الإدرياتيكي وهي مقسمة بين كرواتيا وسلوفانيا. (المترجم).

بعض أنماط السلوك الإيجابية، فإنّه يضيف: "اتهمت بأنني قد أذكيت نار التعصب والبغض العرقي اشتعالاً من خلال سؤال الناس عن المواقف العرقية واللغوية". ويعلق قائلاً[٤١]:

> هذه النزعة إلى الشك عامل مهم ويحسب له حساب في هذا النوع من الأبحاث: الناس الذين رأوا خمسة أعلام مختلفة فوق منازلهم خلال هذا القرن لا يثقون بسهولة في أيّ شخص يحمل معه استبانة ويسأل عن مواقف واستخدام اللغة، وبخاصة في الأماكن الريفية وتحت ظروف أقلية عرقية.

فليس غريباً أن يتوقف بعض الميدانيين عن العمل.

ولكن لحسن الحظ أنّ الأغلبية العظمى لا تفعل ذلك. بداية، هذا لا يعني أنّ كل اللغات المهددة بالانقراض تعود إلى تلك الأجزاء القاسية من العالم. ولكن حتى في تلك المواقع تبدو المهمة صعبة فإنه من الممكن تطوير القدرات ودرجات الحساسية اللازمة. هناك العديد من اللسانيين الذين أكملوا مشاريع ميدانية، أو تعاونوا في برامج الحفاظ على اللغة، وقد امتُدحت أعمالهم كثيراً من المجتمعات الأصلية وكيانات الحكومة المحلية. ومع الثقة في مهنيتهم اللسانية، والخبرة بدقائق الحالات الاجتماعية والسياسية، قدموا النوع المناسب من النصيحة ومن الدعم في الوقت الصحيح؛ مما يساعد المجتمع على أن يقرر متى يمكن عمل شيء بطريقة مفيدة، وأن يقدموا الخبرة أو التدريب لتمكين أفراد المجتمع للقيام بعمل ذلك الشيء. وفي معظم الحالات فإنّ السؤال إنما يتعلق بالأولويات. في

٤١– Jahn (1998: 46, 47). ولمثال آخر على الأبحاث اللسانية التي يتم النظر إليها على أنها استغلال: انظر ياماموتو Yamamoto (1998a: 213).

بعض الأماكن، قد ينصح اللسانيون بتوثيق اللغة في أسرع وقت ممكن؛ لأنهم أصبحوا قادرين على إدراك الموقف الحرج للحالة المهددة بالانقراض. وهذا ما توصل إليه مؤتمر من المؤتمرات عن الموقف في إفريقيا[٤٢]. في أماكن أخرى قد تُقدم النصيحة مقرونة بعملية إحياء في أسرع وقت ممكن، لأنّ تقويماً لحالة محلية قد يؤشر إلى أنّ هناك سكاناً مستعدون للاستفادة منه. و كلا النوعين من العمل يتضمن اهتمامات متعددة.

إنّ التوثيق أمرٌ لا بد منه ***sine qua non*** في مجال الحفاظ على اللغة. لكنّه ليس كل شيء، كما رأينا، فلم تُحفظ لغة لأنها مدونة. وتقويم حالة التوثيق للغة ما، يُعد أولوية مبكرة لكل الأبحاث وهو أولوية قصوى في تلك الحالات ذات الخطر الحقيقي الذي يتوعد اللغة بالموت. إنّ الحديث عن ذلك مهم لعلاقته بالتقويم في جميع الحالات؛ بسبب قلة الفرص والمصادر، ومهم أيضاً ألا يضيع اللسانيون جهودهم في تكرار ما أُنجز من قبل. نحن في حاجة إلى معرفة المادة الباقية داخل المجتمع، أو أبعد من ذلك، ما هي حالتها. إنّ البحث الأرشيفي مهم بصورة خاصة في المواقع التي يكون فيها المستعمرون قد تركوا مواد، وعلى سبيل المثال، هناك كمية غير محددة من المواد عن لغات أمريكا الجنوبية في المكتبات الإسبانية أو البرتغالية، وينبغي أن يكون هناك الأكثر في إيطاليا، والفاتيكان، وفي أماكن أخرى. إذا كانت تلك المادة باقية وموجودة، فإنها تحتاج إلى

٤٢– في مناقشة على الطاولة المستديرة لمؤتمر اللغات المهددة بالانقراض في إفريقيا الذي انعقد في لايبزغ عام ١٩٩٧م : انظر .***Ogmios*** 6, 22.

الحفاظ عليها، وهذا قد يتضمن قياسات فنية خاصة لا سيما في الحالات التي تكون فيها المخطوطات في حالة حساسة. فابتكار مستودعات أو خزانات آمنه لهذه المواد في الحقيقة ليس أمراً سهلاً، وبخاصة في المواقع التي يمثل المطر والحرارة والحشرات نوعاً من التهديد لها، وتهديد آخر يتمثل في السرقة. والتدمير المباشر الذي تقوم به القوات المتصارعة في الحروب الأهلية يمثل تهديداً ثالثاً، والتهديد الرابع يمثله التدمير المقصود لمواد لغات السكان الأصليين الذي تقوم به الحكومات المعادية.

ماذا يعني التوثيق؟ لسنا نتحدث عن المهمة المباشرة نسبياً بشأن تجميع عدد قليل من الكلمات تتخذ رموزاً للتراث، مثلما نرى على أكواب تذكارية، أو في مجلات سياحية. التوثيق عمل جريء ضخم. نحن نتحدث عن وصف تصويري دائم وضروري للغة ما، مستخدمين كل الوسائل المتاحة. لقاءات تكون وجهاً لوجه مع المتحدثين بها، إذ يمكن تعرّف عبارات بشكل منتظم ووصفها بطريقة منهجية منتظمة يتم من خلال رموز صوتية مما يعين اللسانيين على اتخاذ قرارات تحليلية فورية للأصوات والأمثلة والمعاني، والتي يمكن فحصها مباشرة مع المستشارين العرقيين. واللغة يجب أن تكتب بهجائية عامة سهلة الاستخدام. وهذا قد يحدث مشكلة فنية كبيرة (بالإضافة إلى المشكلات ذات العلاقة باللسانيات الاجتماعية المشار إليها في النقاش السابق عن معرفة القراءة والكتابة)، وبخاصة في اللغات التي تضم أصواتاً ونغمات كثيرة. والألفبائية الرومانية

ليست ملائمة، في أغلب الحالات، وتحتاج إلى كل أنواع ضم الحروف، وإلى علامات التشكيل الصوتية لتمثل عشرات الأصوات التي لا تستعمل في اللغة الإنجليزية. وبطبيعة الحال فإنّ كثيراً من جهود التوثيق ستكون مكرسه للمهام التقليدية لتأليف المعاجم وكتب القواعد[٤٣]، ولكن هذه الأيام هناك اهتمام كبير بتسجيل نماذج الخطاب في أجناس أدبية، مثل حكاية القصص والأدعية وإلقاء الخطابات. قوائم مفردات طويلة ونماذج قواعدية لا تكفي لتعرّف ما يتفرد به التراث، لكن الأمر الحاسم هو إظهار الطريقة التي تستخدم بها اللغة حقيقة. مزايا التسجيل السمعي مهمة هنا بصورة خاصة، إذ إنها تحتفظ بالجوانب الحيوية للغة (إستراتيجيات التحاور على سبيل المثال) بطرق لا تستطيع أيّ منهجية أخرى أن تقوم بها. التسجيل المرئي إن كان متاحاً يقدم تسجيلاً للاتصال غير اللفظي، مثل تعابير الوجه، والإيماء، وحالة وضع الجسم والحركة.

حجم المادة الأساس من اللغة ***corpus*** يشمل مجموعة التسجيلات (المكتوبة، السمعية، المرئية، الوسائط المتعددة) بالإضافة إلى الكلام المكتوب سواء كان منسوخاً من شرائط التسجيل أو مأخوذاً من المقابلات المباشرة وجهاً لوجه، أو أيّ مواد أخرى

٤٣– يجب ألا يغيب عن الأذهان الحاجة الماسة إلى المعاجم بكل أنواعها. إنها ليست فقط إدراج كلمات اللغة المهددة بالانقراض في قوائم بلغة اللساني. ومن المرغوب فيه أيضاً معاجم يكون لها أثر متبادل بين اللغة المهددة بالانقراض واللغات الأخرى في الإقليم المتصلة بها ولا سيما اللغة المهيمنة. من الممكن أن تكون هذه المسألة محل خلاف (قارن مع الفصل الرابع). لكن يجب ألا يتم استبعاد الكلمات المستعارة من اللغة المهيمنة للغة المهددة بالانقراض. وفي المقابل أيضاً ينبغي أن يكون هناك مجال لقاموس للاستعارة في الاتجاه المعاكس، أي الكلمات التي استعارتها اللغة المهيمنة (مثل مفردات لغة الماوراي Maori في إنجليزية نيوزيلندا) وهذا قد يعزز مكانة اللغة المهددة بالانقراض. ويجب في مثل هذه الحالات بطبيعة الحال أن تحل مسألة توحيد النظام الإملائي.

تكون متاحة مثل: الخطابات، والرسائل، وأسماء الأماكن، والوثائق التاريخية. هناك ٦٠٪ فقط من لغات العالم تم تجميع بيانات عنها، وفي العديد من اللغات التي تم تجميع مستوى معين من البيانات عنها، وقد تم تسجيل الجزء الأساسي منها، نجد أنّ هذه المادة غالباً ما تكون متفرقة أو متحيزة (مثلاً: تتعلق بمتطلبات ترجمة الإنجيل). ولأنّ هذه المادة اللغوية ستكون هي التسجيلات الدائمة والوحيدة في كثير من الحالات، فإنه أمر مصيري أن تكون نوعية البيانات ومداها سليمة قدر الإمكان. وهذا يعني أكثر من كون التسجيلات مسموعة بوضوح (على الرغم من صعوبة ضمان ذلك). إنه يعني الحصول على مادة تمثل اللغة بصورة صادقة قدر الإمكان ولا تشوهها (مثلاً عدم تسجيل كلام شخص يعاني عيباً كلامياً). ويعني أيضاً جمع التسجيلات للذكور والإناث وبخاصة في اللغات التي يكون فيها تمثيل اختلافات الجنس واضحاً ومنتظماً. وربما يعني أيضاً مقابلة متحدثين من أعمار مختلفة، أو طبقات، أو مهن مختلفة، أو مجموعة علاقات قرابة مختلفة، والناس الذين لهم معرفة خاصة (على سبيل المثال عن الحيوانات أو عن النباتات أو عن الطب) ينبغي إعطاؤهم اهتماماً خاصاً. وفوق كل ذلك؛ فإنّ التوثيق يعني مقابلة أشخاص يتحدثون اللغة بطلاقة قدر الإمكان وذلك في حال اللغات المهددة بصورة حرجة، ويعني أيضاً أنّ هؤلاء الأشخاص لا يستخدمون تراكيب لغوية فاسدة وغير متناسقة؛ لأنّ هذا يشير إلى قرب زوال اللغة[٤٤]. وتتضح أهمية مستوى كفاءة

٤٤– لمعرفة حالة مراجعات زوال اللغة، انظر الفصل الأول، الهامش ٤٢.

المستشارين لأن الاحتمالات الممكنة تتأرجح بين الطلاقة الأصيلة إلى حالة تبقى فيها ذكريات مهترئة فقط عن اللغة. فاحتمالية البيانات الزائفة لا بد من استحضارها، وهذه البيانات هي ذات أشكال مبتدعة يقدمها مخبرون ممن يتخيلون أنّ وجود اللساني مهم ويمثل مصدر تمويل دائم[٤٥]. لكن علينا أن نكون واقعيين، ففي الغالب لا يجد اللسانيون خيارات متاحة لهم، في حال البحث عن آخر متحدث، وهو اختيار هوبسون Hobson.

وبالرغم من الحاجة التي اتضحت أعلاه، وحتى يكون اللسانيون على قدر من الوعي في المجال الاجتماعي السياسي، فإنّ عليهم أيضاً أن يحترموا الحقيقة الملحة (الملقاة على عاتقهم في الفصل الثاني ص ٩٩، ١٠٠) للاستجابة لمتطلبات موضوعهم الذي يعد فرعاً من المعرفة الإنسانية. عليهم احترام الحاجة الفكرية لتوثيق اللغات والذي من وجهة النظر الشكلية (يعارض اللسانيات الاجتماعية) وله أهمية خاصة في فهم طبيعة اللغة ومكانتها في التاريخ الإنساني، وعلى وجه التحديد الطريقة التي يمكن لها أن تلقي الضوء على طبيعة الحضارة القديمة، والتحرك التاريخي للسكان. هناك أولوية قصوى في هذا السياق تتمثل في التوثيق لحالات الانعزال اللغوية – لغات تفتقر إلى انتماء معروف – وكذلك التوثيق للغات المستخدمة في تلك الأجزاء من العالم، إذ العلاقات اللغوية غير مؤكدة. ومثال على ذلك، فإنّ شمال روسيا واحد من تلك الأماكن، فاللغات متنوعة

٤٥– لقد تمت الإشارة إلى بعض الأمثلة من وسط أمريكا عند Kaufman (1994: 34) . الخطر في كل مكان.

جداً، والتصنيف مختلف فيها. أمريكا الجنوبية هي الأخرى منطقة مهمة بسبب تنوع أصولها – إذ تضم أكثر من ١٠٠ عائلة لغوية، ٧٠ منها قد أصبحت معزولة – وهنا نجد أنّ الكثير من التوثيق الأساسي ما زال في حاجة إلى التنفيذ، ولكن لكل إقليم طريقته في العزل، وله مقترحاته المؤقتة للتصنيف العائلي، وحتى في تلك الأماكن التي قد بدأ العمل فيها فإنّ هناك الكثير مما يجب عمله قبل أن تصل هذه التصنيفات إلى المستوى المؤكد الموجود في اللغات الهندو–أوروبية.

إنّ حجم المهمة شاقّ، ويتطلب جهداً ضخماً من أقسام اللسانيات في كل أرجاء العالم[٤٦]. إنه جهد، وفوق ذلك، يتطلب التزاماً جديداً، وبخاصة من تلك الأقسام التي كرست الجزء الأكبر من طاقاتها الفكرية والتطبيقية لمجالات اللسانيات التي تقف نهاية الطرف المقابل من الميزان لما هو مطلوب هنا. هناك اهتمام متزايد يُغذّى بمسألة الإحاطة العظيمة بالتهديد بالانقراض، وقد فقدت اللسانيات توازناً مهماً داخلها بأن أصبح الموضوع "نظرياً" جداً وبطريقة غير كافية "تجريبياً"[٤٧]. وأنا على ثقة بأن لا أحد يحاول ترتيب نوع من التناقضات التي كانت سائدة قبل نحو نصف قرن من الزمان. والحاجة إلى وعي نظري بالجانب التجريبي لا غرابة فيها. وقد حدث إسراف في ذلك الجانب أيضاً

٤٦– التخفيضات التي اتخذت في المدارس، أو أقسام اللغات في أنحاء كثيرة من العالم، في السنوات الأخيرة، تجعل الحالة أكثر سوءاً.

٤٧– على سبيل المثال، لقد تمت الإشارة إلى هذه النقطة عند Paul Newman وآخرين في مؤتمر Leipzig للغات المهددة بالانقراض في إفريقيا : انظر *Ogmios* 6. 20.

وبصورة واضحة الاستخدام المقصور على إطار تحليلي واحد هو التحليل التجميمي* tagmemics، في العديد من أجزاء العالم؛ لأنه طريقة مفضلة يستخدمها المعهد الصيفي للسانيات في عمله المتعلق بترجمة الإنجيل. لكن عندما نواجه دورات تدريبية في اللسانيات كانت قد أعطت طلابها كميات محدودة جداً من الصوتيات، أو تلك التي حذفت المقررات المتعلقة بالعمل الميداني مع تجاهل الأبعاد الإنسانية الاجتماعية (مما له علاقة بأسماء الأماكن والأسماء الشخصية، وعلم الأنساب، والقرابة، وعلم النبات العرقي.. وغيرها)، ويتضح – لمؤلف الكتاب على الأقل – أننا مازلنا بعيدين عن التوازن الصحيح. إضافة إلى ذلك، لابد من عدم نسيان أنّ جزءاً أساسياً من المواجهة مع اللغات يتعلق بالتدخل، وهذا يضع حقل اللسانيات الوقائية (كما كنت أطلق عليه) بشكل قوي داخل مجالات علم اللسانيات التطبيقية، وهذا ميدان آخر تعاملت معه بعض الأقسام الأكاديمية المتخصصة في اللسانيات باستعلاء. إنّ بعض الحقول المعروفة داخل اللسانيات التطبيقية لها علاقة معتبرة مع هذا العمل، مثل تدريس اللغة الأجنبية، وتعلّم اللغات، وتحليل الأخطاء، وعلم صناعة المعاجم. ولا توجد خطوط عريضة كافية.**

---

* منهج تحليل طوره اللساني الأمريكي كينيث بايك Kenneth Pike (١٩١٢–٢٠٠٠م) يرى أن "التجميمة" tagmeme هي: الوحدة الأساسية لتحليل النظام القواعدي للغة، كما أنّ الوحدة الأساسية لتحليل النظام الصوتي هي: "الفونيم"، والوحدة الأساسية لتحليل النظام الصرفي هي: "المورفيم" وهو منهج يجمع بين الشكل والوظيفة. (المترجم).

** معهد يتبع منظمة مسيحية غير ربحية، ينطلق نشاطه من الولايات المتحدة الأمريكية إلى شتى أنحاء العالم، بهدف ترجمة الإنجيل إلى مختلف اللغات بما فيها اللغات الأقل انتشاراً. (المترجم).

وعندما نتعامل مع حالة يكون فيها شخص واحد بعينه هو المصدر الوحيد للغة الموصوفة، يتحتم على ذلك الشخص الحصول على أفضل تدريب في علم الأصوات. وعندما نتعامل مع مثل تلك المواقف الاجتماعية السياسية المشروحة أعلاه، فلا بد من الالتزام بأسس دقيقة في مبادئ العمل الميداني وتطبيقها. إنّ الموضوعات النظرية والمنهجية المستخدمة في اللسانيات الوقائية، بلا شك، ليست أقل شأناً من تلك المستخدمة في ميادين مثل اللسانيات السريرية.

فريق الإحياء

تحتاج اللغات إلى مجتمعات تتحدث بها كي تعيش. لذلك فإنّ المجتمع فقط هو الذي يحفظ اللغة المهددة بالانقراض. هذه نقطة جوهرية[٤٨]:

> المجتمع، ولا شيء غيره، يمكن أن يحافظ على لغة حية. فإذا ما أخضع المجتمع مسؤولياته للوافدين، أو حتى لعدد قليل داخل المجتمع، (مثل معلمي المدارس) فإنّ اللغة سوف تموت. فجهود الحفاظ على اللغة ينبغي أن تحظى بعناية المجتمع كله، وليس فقط جزءاً منه.

عملية حفظ لغة ما من الانقراض تتطلب التزاماً، وإحساساً بالمشاركة في المسؤولية، وإحساساً واضحاً بالاتجاه، ومدى واسعاً من المهارات الخاصة: "لغات عديدة تحتاج إلى إدارة لتبقى على قيد الحياة"[٤٩]. وهو الأمر الذي يجعلنا نرى في أجزاء عديدة من العالم ظهور عمل جماعي لحفظ اللغة، والاعتراف بحقيقة عِظم المهمة يبيّن الحاجة إلى تخطيط

---

٤٨ – Valiquette (1998: 107).

٤٩ – Wurm (1991: 3).

سليم وإدارة سليمة، وإشراك أناس مختارين من ذوي المهارات الفردية، يمثلون المجتمع كله. وبينما تتنوع المواقف بصورة واسعة، هناك عدد من الخطوات ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار (بالرغم من أنّ الترتيب الآتي ليس مُلزماً بأي حال)[٥٠]:

- يلتقي أفراد المجتمع بأفراد العمل الميداني، ويعملون على أن يعرف كل واحد الآخر، ومن ثم يكوّنون فريق عمل.
- طبيعة المشكلة تتطلب أن تكون مما يتفق عليه، أي الاتفاق على أنّ اللغة بالفعل مهددة بالانقراض، وتلك مسؤولية المجتمع لعمل شيء ما بشأنها، وأنّ هناك ما يمكن عمله لإنقاذها.
- يُعطى الوضع المحلي تقويماً عاماً، مع الأخذ في الحسبان الحساسيات الاجتماعية السياسية، أو الدينية التي ينبغي احترامها، وموضوعات أخرى لها علاقة بالأصالة وتوحيد القياس والملكية والتحكم.
- إجراء مسح للغة بهدف اتخاذ القرار المتعلق بتبني مهمة قصيرة الأجل، أو تبني مهمة طويلة الأجل تركز على حاجات تعلم اللغة الأولى، أو تدريس اللغة الثانية، أو كليهما معاً.

٥٠– القائمة هي مجموعة من التوصيات والتوسعات التي قدمها عدد من الناس: انظر بشكل خاص:
England (1998: 106), Valiquette (1998: 109–10), Yamamoto (1998b: 118).

- تقرير نوع الحفظ، والاحتمالات تتراوح بين وجود رمزي لنصوص موروثة داخل ثقافة مهيمنة، إلى حضور كامل الاستقلال لوسيلة تحدّث وكتابة بوصفها وسيطاً يومياً.
- اكتشاف طبيعة التزام أعضاء الفريق ومدى ذلك الالتزام، فيما يتعلق بكلا التخطيطين: تخطيط طويل المدى، وآخر قصير المدى.
- تحديد الأهداف العاجلة، بما فيها موازنة النشاط ليتم تخصيصه لعمليات: التسجيل، والتوثيق، والتدريس، وكتابة المواد ... وهكذا.
- الاتفاق على إجراءات جمع المعلومات والبيانات والتخزين.
- التعريف بالمتحدثين "النموذجيين" للغة، ووضعهم في قائمة على أنهم مستشارون.
- تنفيذ عملية جمع المعلومات.
- تحليل البيانات، بهدف تقديم وصف لبنية اللغة، في شكل قواعد وقواميس وغيرها.
- تقديم عملية التقييس لكلتا المهارتين: التحدث والكتابة، وابتكار نظام هجائي مناسب لاستعمال الجمهور.
- تقديم الإستراتيجيات من أجل تعزيز وتقوية استخدام اللغة في البيوت والمواقف المحلية الأخرى.
- تقديم الإستراتيجيات من أجل توسيع دائرة استخدام اللغة المكتوبة في المجال العام.
- تقديم الإستراتيجيات من أجل توسيع دائرة استخدام اللغة المنطوقة في المجال العام.

- **تقديم الإستراتيجيات من أجل منح اللغة وجوداً في المدارس، بهدف جعلها وسيلة للتعليم.**
- **كتابة المواد الدراسية ونشرها لاستخدام الصغار والكبار معاً.**
- **كتابة ونشر نصوص باللغة تحظى باهتمام عامة الناس (مثل القصص والأشعار، ومقالات الصحف).**
- **تأسيس مبادئ تجعل اللغة معترفاً بها لغة إقليمية رسمية.**

من هذه القائمة يمكن ملاحظة أنّ فِرق عمل الإحياء تحتاج أنماطاً عديدة من الناس لتكون عملية الإحياء فعالة، تضم: إدرايين مناسبين من المجتمع، وكباراً في السن، ومتحدثين عامين جيدين، ومتحدثين ذوي معرفة متخصصة، ومدرسين، ومصممي مواد، وكُتّاباً، ولسانيين. في عالم مثالي حقاً، نجد أنّ المجتمع نفسه ينبغي أن يضم أعضاء يمكنهم القيام بكل هذه الأدوار. وبالتجربة، فإنّ أي مساعدة خارجية عادة تكون في الجانب اللغوي من العمل، وفي مواقف كثيرة تكون في جانب التعليم والمواد.

مع ذلك، فإنّ التقارير التي ترد من العاملين الميدانيين، في العديد من الأماكن، تشير إلى أنّ مفهوم "فريق"، مع كل الأصداء الإيجابية التي نربطها به، في معظم الأحيان، ليس هدفاً سهلاً يمكن إنجازه؛ وذلك بسبب البرامج المختلفة التي تتبعها المجتمعات واللسانيون (كما تمت مناقشته سابقاً في هذا الفصل) من جهة، وبسبب عدم وجود التفاهم المشترك لأدوارهم المتنوعة من جهةٍ أُخرى. ونظراً لأنّ المبادرة بصورة عامة تأتي من الخارج، فإنّ

العبء يقع على عاتق اللساني لفهم ما تريده المجتمعات المحلية. ووفقاً لدونا جيردتس Donna Gerdts، فإنّ هناك ثلاثة موضوعات أساسية هي: يريدون أن تعود إليهم لغتهم وثقافتهم، ويريدون ضبط كل أوجه التعليم والبحث، ويريدون الاستقلال، أي الفرصة للعمل بأنفسهم دون الخبراء الأجانب[٥١]. وإذا كان الأمر كذلك فإنّ الهدف الأولي للتدخل في الجزء اللغوي الخارجي ينبغي أن ينصبّ على تدريب السكان المحليين على المهارات اللغوية المطلوبة عند وجود مرشحين. والعمل يجب أن يكون منصباً، ليس فقط "على لغة ومن أجل متحدثيها، ومع متحدثيها"[٥٢]، بل يحتاج الأمر أيضاً إلى أن يكون "بواسطة متحدثيها". لا يوجد هنا تناقض مع حالة الاستعجال في التوثيق اللغوي، لأنها تتم بالعمل من خلال الإجراءات المشمولة تماماً في هذه المهمة التي يُنفّذ فيها التدريب. المرء يتعلم بالتنفيذ العملي نمطاً روتينياً في مجالات اللسانيات التطبيقية الأخرى.

بعض الموضوعات الواردة في القائمة أعلاه معقدة جداً، وتتطلب نقاشاً معتبراً في المرحلة الأولى. فإنّ سؤال الملكية، مثلاً، الذي مرّ سابقاً في الفصل الثالث، يثير عدداً كبيراً من الموضوعات الحسّاسة. ففي بعض الثقافات بداية، ليس كل فرد مؤهلاً لسرد قصة معينة، أو للتغني بأغنية معينة. فهناك تصور معروف عن الملكية، في معظم الأحيان

٥١- Gerdts (1998: 17) .

٥٢- Grinewald (1998: 156). والنقطة نفسها مذكورة عند Yamamoto (1998b: 118). انظر أيضاً Furbee, Stanley, and Arkeketa (1998: 79): "إنّه عمل الاستشاري الوافد أن يساعد القبيلة لإيجاد أشخاص [ليصبحوا علماء لغة] وتدريبهم، ثم التنحي". ولأمثلة برامج تدريب المدرسين انظر معاهد تنمية اللغة الأمريكية الهندية في أريزونا وأوكلاهوما التي أشار اليها Yamamoto (1998b: 115).

تعتمد على القرابة داخل عشيرة، أو عمر الإنسان، أو وضعه في إطار احتفالي[٥٣]. إنّ فقد التحكم في استخدام معيّن للغة مثلاً، عن طريق تسجيلها في شرائط أو كتابتها، ينظر إليه على أنّه موضوع خطير. ينبغي أن يكون هناك تخوف حقيقي؛ لأنّ المواد ذات المحتوى العرقي سوف يتم استغلالها من الناس الذين لا يفهمونها؛ لتصبح هدفاً للسخرية، أو تشوه من خلال شرائط صوتية أو مرئية في التلفزيون، أو تنتهك من خلال إعادة حكايتها في مواقف غير مناسبة. تسجيل اللغة كتابياً قد ينظر إليه على أنه تخفيف لكثافة اللغة "الحقيقية" المنطوقة (قارن مع أعلاه). بعض الكبار لا يريدون أن يحكوا قصصهم، وحتى إن فعلوا، فإنّ أقاربهم أو الجماعات في المجتمع قد يقاومون حقهم في حكايتها، وقد يرفضون السماح للآخرين باستعمالها. اللغة الموروثة قد ينظر إليها على أنها مقدسة، فالنقاشات قد تكون مُرة، وقد رصد اللسانيون في تقاريرهم بعض حالات أوقف الناس فيها جلساتِ التسجيل، وحالات سجلت مسبقاً ثم أتلفت الشرائط. والموقف الأسوأ، إذا أصبحت المسألة معتمدة، وتبعها انقسام أفراد المجتمع، وكل منهم أخذ جانباً مختلفاً، ووصل الأمر إلى رفض التسجيل من الجميع، وحُفظت شرائط التسجيل مقفلة بعيداً.

من الواضح أنّ اللسانيين يواجهون صعوبات كبيرة في عملهم في مثل تلك الظروف. كل ما يمكن أن يقوموا به هو لفت الانتباه إلى نتائج تلك الأعمال بأنّ هناك زمناً قادماً، لن يبقى فيه شخص يفسر ما تحويه تلك التسجيلات (بافتراض أنّ الشرائط قد بقيت

٥٣- مفهوم حق الملكية دُقق فيه عند Dauenhauer and Dauenhauer (1998: 91ff).

سليمة) وأنّ الجيل القادم لن يكون قادراً على فهم تلك التسجيلات. إنّ جوهر النقاش هو أنّ مفهوم الملكية ***Ownership*** للغةٍ ما يحتاج إلى موازنة مع مفهوم الإشراف ***stewardship***. اللسانيون في مقدورهم أيضاً أن يقترحوا حلولاً عملية للطرق التي يمكن بها أن تكون الملكية واضحة للأجيال القادمة. فيمكن أن يصبح الاسم والصورة والسيرة الذاتية للشخص الراوي، أو مجموعة مناسبة من الرموز العشائرية والتعليقات جزءاً رسمياً من الإجراء. مثل هذا الشيء يتم عمله، في أغلب الأحيان، مع الرسوم الأصلية والحرف. ويمكن أن يكون جزءاً روتينياً من "منتجات" اللغة أيضاً. عندما تُحدد الخيارات، ويُقدّم الموضوع بحس مرهف، فإنّ الناس يمكن إقناعهم، وبالفعل يمكنهم أن يفخروا كثيراً بمواد اللغة التي أُصّلت، ويفخر المجتمع كله. عندما يحدث ذلك، يحسن التنبؤ بمستقبل اللغة.

هناك مفهوم آخر للملكية يحتاج إلى أن يؤخذ بعين الاعتبار. إنها مسألة حقوق الملكية الفكرية. وفقاً لدونا جيردتس **Donna Gerdts**، هي مسألة تؤخر أو توقف التقدم لمشروع ما في معظم الأحيان[٥٤]. المجتمع المحلي قد ينظر إلى العمل اللساني وكأنه محاولة أخرى "لسرقة" لغتهم، أو على أنه فرصة للوافدين من الخارج للكسب منها، ولذلك فهم يدّعون ملكية البيانات، أو المعلومات التي يسجلها أو يدونها اللسانيون، والتحليلات والمواد المنجزة. ومن جهة أخرى فإنّ اللسانيين الذين يعملون بمفردهم في

٥٤- Gredts (1998: 19–21).

هذه الأحوال، ضحّوا بكثير من الوقت، وسخروا خبرتهم لإخراج هذه النتائج، ولولاهم لما كانت هنالك نتائج، فهم كذلك يدّعون بعض الحقوق في الموضوع. إنّ الصراعات على حقوق الوصول إلى المعلومات والنشر قد قادت بوضوح إلى انهيارات كبيرة ومتكررة في تقدم التعاون بين السكان المحليين واللسانيين الزائرين، تصل أحياناً إلى التقاضي.

لعل أسوأ ما في "القصص المخيفة" (جيردتس Gerdts) أنها نتيجة لمرحلة تطور اللسانيات الوقائية التي لاتزال تطوّر مفهوم حسن التطبيق. فمن حيث المبدأ لا تختلف هذه القضايا عن تلك التي تمت مواجهتها في الأعمال الأدبية والطبية حيث الاهتمام الدقيق بقضايا جمع المادة والسماح بإعادة إنتاج المادة ونشرها، قبل أن يبدأ التحليل اللغوي. وفي النهاية، فإنّ حقوق نشر المادة الخام يجب أن تبقى للمجتمع كما تبقى حقوق نشر المادة الأدبية للمؤلف. وعلى الرغم من ذلك فإنّ حالة اللغات الأصلية أكثر تعقيداً بسبب عدم وجود تقليد مفهوم، في الأعم الأغلب يعتمد على (مفهوم "الاقتباس المقبول، في النشر) وفي العادة عدم وجود مفهوم قانوني واضح يتعلق بحقوق النشر، وهذا المفهوم، على أي حال، من أصل غربي. وعليه؛ فلابد من إعداد اتفاقيات البحث قبل البدء في أيّ مشروع، وتُعد قرارات توزيع المهام والتكاليف والفوائد (على سبيل المثال الإتاوات).

فإذا أمكن تحقيق نهج إيجابي لفريق العمل على وجه السرعة؛ فإنّ دراسة اللغات المهددة بالانقراض ستكسب كثيراً، ويبدو أنّ كل شيء يمكن إنجازه. والأثر نفسه لوحظ

في اللسانيات الطبية والتعليمية، حيث يعد فريق العمل حاسماً للنجاح. وكل شيء يعتمد على الاعتراف بالقدرات الفردية والقيود.

هناك أمور معينة لا يستطيع اللسانيون القيام بها، فهم يعتمدون كلياً على أعضاء آخرين من الفريق. فعلى سبيل المثال، لا يستطيعون غرس الحس الحماسي داخل المجتمع نيابة عن لغة ما، وليسوا قادرين على أداء دور مدرسي الثقافة، وليسوا قادرين، في معظم الحالات، على تدريس اللغة المهددة بالانقراض. معظم اللسانيين غير قادرين حتى على العمل بدوام كامل داخل المجتمع، لأنهم يقومون بأعمال في أماكن أخرى، وهم موجودون فقط في أوقات محددة من السنة. من ناحية أخرى، فإنّ اللسانيين يملكون خبرة قلما نجدها عند أعضاء الفريق الآخرين. وفضلاً عن المهارات العديدة الواضحة في مجال تدوين اللغة، وتحليلها، أو رصد النتائج للتحصيل أو النشر، فإنهم، عادة، يملكون وعياً أكثر من الآخرين عن كيفية الحصول على التمويل أو المحافظة عليه؛ فمثلاً، يستطيعون كتابة طلب منحة، أو حفظ السجلات الخاصة بأهداف المشروع للمنظمات المموِّلة. ويستطيعون الحديث أمام الناس، وعليه، يمكنهم العمل وسطاء بين المجتمع والجهات التعليمية والحكومية، مثل تقديم حالة معينة نيابة عن المجتمع بترجمة وثائق قانونية، لها علاقة بحقوق اللغة أو بالحقوق المدنية. وقد يجدون أنفسهم في محكمة، يقدّمون شهادة لمساندة المجتمع في شكوى أرض أو موضوعات أخرى من موضوعات العدالة الاجتماعية. دراسة أسماء الأماكن أو الأنساب القبلية، على سبيل المثال، قد تكون

حاسمة في البت في معاهدة حدود لقطاع ما أو توسيع تطبيقها في مثل تلك الحالات، وبالرغم من دور اللساني المقيّد، فقد يكون ذا تأثير حاسم.

إنّ نجاح نهج فريق العمل يتوقف بصورة كبيرة على مدى ما يتصف به أعضاء الفريق من وعي دقيق وإدراك واقعي، وما يسهم به كل منهم في المشروع. ولا بد من أن تتضح لأعضاء المجتمع في الفريق القدرات الحقيقية للسانيين، وما هي بالفعل. ينبغي ألا يُتوقع من اللسانيين أن يكونوا متعددي اللغات (المعنى الآخر "للساني") أو أن يكونوا على قدر من الطلاقة، في لغتهم، كالتي يتمتع بها المتحدث الأصلي للغة. لقد وجد اللسانيون أنفسهم، أغلب الأحيان، في وضع يُنتقدون فيه من السكان المحليين بسبب "وجود لكنة" أو "ارتكاب أخطاء" لغوية، فالسكان المحليون لم يدركوا طبيعة الدور التحليلي الذي يؤديه اللسانيون. إنّ التعقيد في مهمة الوصف الصوتي يستهان به عادةً، كما يستهان بمهمة تطوير نظام كتابي جديد. إضافة إلى ذلك فإنّ الأعضاء في مجتمع أصلي، متى ما عناهم الأمر، فإنهم يتطلعون إلى نتائج سريعة؛ وقد ينفد صبرهم أو تصيبهم خيبة أمل، إذا لم تأت النتائج سريعة. ومع أنّ اللسانيين يمكنهم تقديم الكثير إلا أنهم ليسوا بسحرة، وإذا كانت مصادر البيانات ضعيفة، أو كان الوقت قصيراً، أو الظروف صعبة، فإنّ هناك حداً لما يمكن تقديمه.

في المقابل فإنّ اللسانيين يحتاجون إلى تطوير إحساس مرهف بما يتطلبه أعضاء الفريق من المجتمع، وعليهم أن يستجيبوا عندما تطلب منهم المساعدة. وقد ينتهون إلى

أداء كل أنواع النشاطات التي لا يستطيعون عادة القيام بها، أو التي يعدّونها غير مهمة من الجانب اللغوي. فمثلاً ربما يطلب منهم إعداد قوائم بسيطة بالكلمات والعبارات وفقاً لحاجة محلية معينة (مثل كتيّب سائح)، أو لتقديم عناوين أو بطاقات تعريف لمعرض متحف. مثل تلك المسؤوليات قد لا تكون لها أهمية لغوية تتصل باكتشاف حقائق جديدة عن اللغة، ولكن قد يكون لتلك المهام قيمة اجتماعية معتبرة في نظر المجتمع. وربما يجد اللسانيون أنفسهم، وقد طُلب منهم قضاء وقت ثمين، وهم ينتجون نسخاً مما توصلوا إليه، بهدف تسهيل وصوله لغير المختصين؛ وتلك نقطة تصبح حرجة عندما يتعلق الأمر بتزويدهم بالمواد التعليمية. وعلى اللسانيين أن يدركوا أنّ المجتمع ربما يريد أن يكون دائماً على دراية بما يقوم به اللسانيون، حتى وإن كانوا غير سعداء بتقديم مجموعة من النتائج للجمهور؛ لأنها تُعدّ تمهيدية ومؤقتة. وفي التحليل النهائي، كما يتضح عند دونا جردتس Donna Gerdts يبدو المجتمع مسؤولاً عن ذلك[٥٥]:

> اللساني الذي يعمل على لغة مهددة بالانقراض ينبغي له أن يخضع لسلطة إداريي المجتمع. في كل مرة سيضطر اللساني إلى إخضاع الأهداف العلمية طويلة المدى إلى حل وسط من أجل مقابلة احتياجات المجتمع العاجلة.

لكن الفجوة بين وجهتي النظر ما زالت كبيرة جداً. كما يتضح عند كوليت جرينفالد Grinevald Colette[٥٦]:

> تجسير الفجوة بين اللسانيات الأكاديمية واحتياجات المجتمع وجهوده هي بالتأكيد واحدة من التحديات الأساسية لمهنة اللساني؛ لأنها تواجه حالة اللغات المهددة بالانقراض في مطلع القرن الجديد.

٥٥- Gredts (1998: 21).

٥٦- Grinevald (1998: 143).

لا شيء من هذا التفكير متفرّد للعمل مع اللغات المهددة بالانقراض. فكل نقطة منها قد واجهتُها من قبل، لها علاقة بعلم أمراض اللغة.

لكن هناك نقطة خلافية واحدة عندما نقارن اللسانيات الطبية باللسانيات الوقائية. وبتتبع موت شخص مختل اللغة تكون القصة قد وصلت إلى نهايتها؛ ولكن بتتبع موت لغة، فإنّ القصة قد لا تكون وصلت إلى نهايتها؛ لأنّ الناس عند نقطة ما قد يرغبون في إحيائها. بالفعل هذه الاحتمالية حقيقية جداً في أذهان اللسانيين؛ لأنهم يحاولون توثيق اللغات التي أوشكت أن تموت، ففي يوم قد يرغب مجتمع ما في الاتصال بموروثه اللغوي المنقطع، وإعادة تقويم اللغة الموروثة في مجتمعها، بقدر ما يمكن إعادة إنشائها من الموارد المتاحة. هل اللغات الميتة يمكن إحياؤها بهذه الطريقة؟ وإذا بُذلت مثل تلك الجهود، أليس من الممكن أن تكون النتيجة لغة في مثل مسخ فرانكنشتاين*؟

وفي الحقيقة، هناك نجاحات محدودة تحققت للعديد من الحالات، ولكن من خلال الفرص المتاحة الآن، والمتمثلة في تسجيل اللغات الميتة بتوظيف الأجهزة السمعية والبصرية، فإنّ الوضع يمكن أن يتحسن. والمثال التقليدي لإحياء لغة، هو بالطبع إحياء العبرية، بالرغم من أنه مثال جدلي، كما رأينا (ص ٢٠٧) وذلك بسبب السؤال عن

* مسخ ورد في رواية تحمل عنوان Frankenstein وهي من تأليف ماري شيلي Mary Shelly. ثم أطلق اسم الرواية على المسخ؛ على الرغم من أنّ المؤلفة لم تطلق عليه اسماً معيناً، بل أشارت إليه بصفات منها: "المسخ"، و "العفريت"، و "الوحش". وتدور الرواية حوله وحول الشاب العبقري الذي اخترعه من أجزاء جثث الموتى. وتتوالى الأحداث الفضيعة التي تؤدي بحياة المسخ ومخترعه. (المترجم).

مدى الاستمرارية في استخدام اللغة في أثناء الشتات اليهودي منذ العهود الكلاسيكية. إستيفن وورم Stephen Wurm أورد نموذجاً لا نزاع فيه: حالة كاورنا Kaurna، لغة بدائية أصيلة من لغات جنوب أستراليا[٥٧]. هذه اللغة كانت قد انقرضت لمدة تقارب قرناً من الزمان، ولكنها كانت مدونة بطريقة جيدة؛ لذلك، عندما نمت حركة قوية لإحيائها، كان التقدم ممكناً. اللغة التي تم إحياؤها ليست مثل الأصلية نفسها، بطبيعة الحال؛ بل يتضح أنها تفتقر إلى سعة الوظائف التي تمتاز بها في الأصل، وكميات ضخمة من المفردات القديمة غير موجودة. ولكن بما أنها مستمرة في الاستخدام اليومي حالياً، سوف تطور مهامَّ جديدة ومفردات جديدة، تماماً كما يمكن أن تفعل أي لغة أخرى، وبحسب تقدير الناس لها، باعتبارها مؤشراً حقيقياً لهويتهم، واستعدادهم للاستمرار في استعمالها، فلا داعي للتفكير فيها على أنها ليست نظام اتصال يصلح للاستخدام. وهذه ليست الحالة الأسترالية الوحيدة، وفقاً لوورم؛ بل هناك نماذج أخرى عديدة قد لوحظت في أماكن أخرى. فبريطانيا شهدت عودة ظهور اللغة الكورنية Cornish في كورنوال *Cornwall بعد مدة توقف ملموسة. والجهود حالياً مبذولة لتحقيق تقدم مع اللغة اللغة المانكسية** Manx في جزيرة مان Isle of Man. وإنه لمن المبكر جداً التنبؤ بمستقبل هذه اللغات التي

٥٧- Wurm (1998: 193).

* اللغة الكورنية كانت تعد ميتة، ثم أحييت. وهي لغة السكان الأصليين في مقاطعة كورونال، جنوب غرب إنجلترا. (المترجم).

** اللغة المانكسية هي لغة السكان الأصليين في جزيرة مان الواقعة وسط البحر الآيرلندي، وتتبع التاج البريطاني، لكنها ليست جزءاً من المملكة المتحدة. (المترجم).

أُعيد إحياؤها ولا تزال في الوجود، وفي بعض أنحاء العالم تجذب على وجه التحديد أنماط السلوك الإيجابية، ودعم القاعدة الشعبية التي هي الشروط المسبقة لنجاة اللغة. فبتلك الطرق غير المتوقعة، لكنها ممتعة، ربما نرى المجموع الإجمالي للغات قد ارتفع إلى الحد الأدنى.

خاتمة

إنّ موت لغة ما خسارة فادحة لكل الذين لهم علاقة بها: "إنّ مواجهة فقدان لغة أو ثقافة تتضمن مراحل الحزن نفسها التي يشعر بها المرء عندما يصادف حالة الموت"[٥٨]. ليس بالضرورة أن نكون أعضاء في مجتمع مهدد بالانقراض كي نشعر بهذا الحزن، أو نستجيب له. كل من سبق له أن عمل مع هذه المجتمعات، ولو لمدة قصيرة، يعرف أنها نظرة حقيقية، وأنها تبرر بطريقة جيدة الطبيعة الدرامية لهذا القياس. هذا الإحساس المشترك الحاد المفعم بمشاعر الفقدان يأتي ليغذي روح الالتزام لدى كل من اللسانيين ومجموعات المجتمع، والمنظمات المساندة في أجزاء عديدة من العالم.

إنّ زيادة الوعي اللغوي بالمشكلة، وظهور فعالية مشاركة، كان من أكثر تطورات التسعينات من القرن الماضي. وبالرغم من أنّ الوعي ما زال ضعيفاً في أوساط عامة الناس، إلا أن الموضوعات أصبحت تناقش حالياً بصورة أكثر اتساعاً على المستويات الاحترافية، وفي سياقات منوعة عالمية، ووطنية، وإقليمية، ومحلية. فعلى طرف هناك

٥٨- Dauenhauer and Dauenhauer (1998: 71).

حملات كبيرة مثل تلك المستخدمة في نشر "إعلان برشلونة للحقوق اللغوية" أو تلك المبادرات مثل "الكتاب الأحمر في اللغات المهددة بالانقراض" وهو (جزء من مشروع Tokyo Clearing House: انظر الملحق). وعلى طرف نقيض هناك نقاش حيوي جاد يحدث في العديد من المجتمعات المهددة بالانقراض نفسها. فالآليات والتنظيمات معدة وجاهزة لتوجيه الطاقات. إنّ الأهداف قصيرة المدى، ومتوسطة المدى، وطويلة المدى، أكثر وضوحاً الآن، وذلك نتيجة للمؤتمرات والمنشورات في حقبة التسعينات من القرن الماضي، والعديد منها قد اعتمدتُ عليها في هذا الكتاب. إنّ اللسانيات الوقائية Preventive linguistics، من واقع أنها ما زالت في مرحلة دراسة الحالات، ومازالت في مرحلة بناء قاعدة بيانات تجريبية، لتكون قاعدة تجارب للفرضيات عن الأسباب والعمليات والنتائج بشأن موت اللغة، إلا أنه موضوع يعطي إشارات إلى أنّ هنالك نمواً حقيقياً.

لكن مدى هذا النمو غير واضح حالياً، إذ يعتمد، إلى حد ما، على نضج النظرة نحو البحث داخل اللغات المهددة بالانقراض ضمن مهنية اللسانيات نفسها. الحقائق القاسية عن العمل في حالات مهددة بالانقراض لم تعد مرحباً بها من اللسانيين الذين اعتادوا العمل فقط في مجال اللغات السليمة. وأكد خبراء العمل الميداني مراراً أنّ المتحدثين من كبار السن، أو من بقي من المتحدثين على قيد الحياة، يصعب وجودهم ويصعب العمل معهم. إضافة إلى أنّ مثل هؤلاء المستشارين ليسوا جميعاً خطباء مفوهين؛

فأحياناً يقولون كلاماً قليلاً جداً، وما يقولونه قد يكون مليئاً بالتناقضات. إنّ الحصول على قليل من المعلومات قد يستغرق وقتاً طويلاً ويكلّف مالاً طائلاً، وبعد هذا قد يكون العائد ضئيلاً من تلك المعلومات ويمكن استنباط مداه ونوعيته عادةً من الدراسات الأكاديمية، مثل رسالة علمية أو مجلة منشورة. وقد لا تبدو فائدة اكتشاف إطار نظري. وبكل المقاييس فإنّ بعض أولئك الذين لهم الريادة في مهنة اللسانيات، ممن يقبلون الطلاب للبحث، أو ممن يقوّمون الأبحاث للمجلات، ما زالوا بعيدين بعض الشيء عن فهم هذا الأمر؛ لذلك أُشيد بالوقفة الواضحة التي جاءت من الجمعية اللغوية الأمريكية Linguistic Society of America في بيان سياستها عام ١٩٩٤م، التي أوصت فيها بأنّ أقسام اللسانيات "ينبغي أن تدعم عمليات التوثيق والتحليل للتنوع الكلي في اللغات التي تعيش اليوم في العالم، مع إعطاء أولوية قصوى للغات العديدة التي شارفت على الانقراض، وكذلك لتلك اللغات التي تمثل التنوع الأعظم"، مع الأخذ في الاعتبار أنّ تجميع وتحليل مثل هذه البيانات "يعد إسهاماً جوهرياً في تأسيس اللسانيات" وحثّ البيان على أنّ قيمة العمل ينبغي الاعتراف بها "من خلال إعطاء جوائز للدرجات المتقدمة، أو من خلال توظيف مناسب أو ترقية و/ أو إعطاء قرارات تثبيت"[٥٩].

التوسع يعتمد أيضاً على أمور متأرجحة، مثل ظهور اتجاهات عالمية جديدة. من الصعب التنبؤ بعواقب ظهور كيانات اقتصادية وسياسية، مثل: "الاتحاد الأوروبي" أو "منظمات

٥٩- لجنة اللغات المهددة والمحافظة عليها Committee on Endangered Language and their (1994: 5) Preservation

التجارة الحرة" العديدة. فمن التأثيرات المحتمل حدوثها التوجه الأقوى للتأكيد على الانتماءات الإقليمية المحلية، وهذا سيؤدي إلى دعم سياسي أكبر لجماعات الأقليات، و سيزيد احتمالات التمويل. إذ يعتمد النمو في هذا المجال في النهاية على وجود الدعم المالي. هناك العديد ممن لهم الرغبة "للخروج إلى هناك"، إلا أنّ شح المال يعني دعم عدد قليل من المشروعات. هذه هي الرسالة المكررة من المنظمات التي تحاول زيادة ميزانيات التمويل. على سبيل المثال، إنّ المخصص لدعم لغة مهددة بالانقراض في سنته الثانية استطاع دعم ١٠ مشاريع من ٧٠ من طالبي الدعم، وغالباً في مستوى أقل من المطلوب، وكانت هناك حالة مشابهة تتعلق بمؤسسة اللغات المنقرضة والتي قررت سنة ١٩٩٨م الإسهام في أربعة مشاريع من ٣٠ مشروعاً[٦٠].

علاوة على ذلك، فإنّ معظم التركيز، حتى الآن، على المشاريع قصيرة المدى. وهناك حاجة ماسة للتدخل، وتبني مشاريع تكرس طاقاتها للتخطيط على المدى الطويل. وفوق كل ذلك، نحن نتعامل مع مشكلة يمكن تخفيف آثارها، ولكن لا يمكن حلها قطعاً، في المدى القريب. هذه النقطة قد سبق تقديمها من خلال البرامج التي كانت نشطة على

٦٠- انظر The *Endangered Language Fund Newsletter 2: 2* (1998), 1–4. لرؤية المنح الأولية التي قدمها هذا الصندوق: انظر *Ogmios* 6 (1997), 16–17 ولرؤية أول منح قدمتها مؤسسة اللغات المهددة بالانقراض لهذه اللغات انظر *Ogmios* 10, 3–4 ;*Ogmios* 7 (1998), 3 . ولا يمكن الاعتماد على أسواق العملات المحلية من أجل المساعدة لأنها متذبذبة. إنّ انخفاض قيمة العملة المحلية يمكن أن يكون مدمراً لمشروع إعادة تنشيط اللغات المهددة بالانقراض كما هو الحال في مشروع ناهواتل للنشر Nahuatl عام ١٩٩٦م : انظر *Iatiku* 2 (1996), 7.

مدى سنوات عديدة، ٢٥ سنة في حالة الموهوك* Mohawk، كمثال واحد فقط[٦١]. السؤال الأكثر صعوبة هو ذلك الذي يتعلق بما يجب عمله، ولماذا؟ عند الانخراط في عملية تنشيط اللغة سيكون الأمر صعباً، كما هو الحال في التدخلات الطبية. السؤال يمكن الإجابة عنه، لكنه يتطلب بحثاً طولياً، وهذا يستغرق عدة سنوات، ودائماً ما يكون مكلفاً.

الجيل الحالي هو أول جيل يتمكن من الحصول على بيانات متاحة؛ تمكّنه من تقدير حقيقة الوضع. وإذا أُنجزت، كما رأينا، فإنّ المخرجات غير واضحة. وبمواجهة احتمالية فقدان نصف لغات العالم خلال القرن القادم، واحتمالية عالم فيه لغة واحدة فقط بعد مئات قليلة من السنين؛ لذا فإنّ هذا الجيل يحتاج إلى اتخاذ القرارات. إنّ أمامنا خيارين. يمكننا أن نتقاعس ولا نفعل شيئاً، ونترك الأمور تنحدر. لقد انقضى في السابق وقت كبير منذ أن بدأ اللسانيون أداء عملهم سوياً، وها هي نانسي دوريان Nancy Dorian توضح ذلك بقولها[٦٢]:

> وقد انتظرنا طويلاً قبل أن نحصل على دعم حقيقي للغات المهددة، فإنّنا قد نجد أنفسنا نؤبن اللغات المنقرضة والتي كان أملنا أن نحتفل بها لغات فريدة حية.

---

* قبيلة من الأمريكيين الأصلين كانوا يعيشون في وادي الموهوك بالقرب من بحيرة أونتاريو في كندا. وهم يعيشون اليوم في كل من نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، ومقاطعتي أونتاريو وكيبيك في كندا. (المترجم).

٦١- Jacobs (1998: 122). لتوثيق اللغة وتوفير الأساس المناسب للحفاظ عليها تحتاج إلى عشرين سنة فأكثر حسب ما أشار اللساني Lynn Landnweer (1998: 64) في SIL.

٦٢- Dorian (1998: 21).

والبديل هو العمل، باستخدام أكبر عدد ممكن من الوسائل والطرق لمواجهة الحالة والتأثير في المخرجات. نحن نعلم أنّ التدخل يمكن أن يكون ناجحاً، ومشروعات الإحياء يمكن تفعيلها، ولكن الوقت لا ينتظر. لقد أصبح الوقت متأخراً جداً لبعض اللغات، ولكنّ المستقبل للعديد من الأخريات في أيدينا. واللسانيون هم على الخط الأمامي؛ لأنهم في العمل الميداني، ويحتاجون إلى أكبر قدر يمكن أن نحشده لهم ونحركه من أجلهم. إنّ زيادة وعي العامة يُعدّ خطوة حاسمة. وآمل أن يؤدي هذا الكتاب دوره في هذه المهمة.

إنّ الحاجة الماسة لإنجاز هذه المهام لا نظير لها في اللسانيات. فاللغات تموت بمعدل غير مسبوق. وإذا كانت التقديرات التي عرضتها في الفصل الأول صحيحة؛ فإنّ ست لغات أخرى، أو قريباً من ذلك، تكون قد انقرضت منذ أن بدأتُ تأليف هذا الكتاب.

ملحق: بعض المنظمات ذات العلاقة

تحوي هذه القائمة جميع المنظمات التي وردت في هذا الكتاب، إضافة إلى نقاط اتصال منتشرة حول العالم:

Ad Hoc Committee on Endangered Languages

c/o Université de Québec à Montréal, CP 8888, succ. Centre-ville, Montréal, Québec H3C 3P8, Canada.

M366050@er.uqam.ca

Committee on Endangered Languages and their Preservation (CLEP)

c/o Linguistic Society of America, 1325 18th Street, NW, Washington DC 20036–6501 lsa@lsadc.org

The Endangered Language Fund, Inc

c/o Doug Whalen, Department of Linguistics, Yale University, New Haven, CT 06520, USA

whalen@haskins.yale.edu

http://sapir.ling.yale.edu/~elf/study.html

Endangered-Languages-L Electronic Forum

c/o: Mari Rhydwen, Graduate School of Education, University of Western Australia, Nedlands, Perth, WA 6009, Australia

majordomo@coombs.anu.edu.au

mrhydwen@decel.ecel.uwa.edu.au

Ethnologue

c/o Barbara Grimes, Summer Institute of Linguistics Inc, International Linguistics Center, 7500 West Camp Wisdom Road, Dallas, TX 75236, USA

http://www.sil.org/ethnologue

European Bureau of Lesser Used Languages

c/o Information Centre, rue Saint-Josse 49B / Sint-Jooststraat 49B, 1030

Brussels

fax: (+32 2) 2181974

The Foundation for Endangered Languages

c/o Nicholas Ostler, Batheaston Villa, 172 Bailbrook Lane, Bath BA1 7AA.

nostler@chibcha.demon.co.uk

http://www.bris.ac.uk/Depts/Philosophy/CTLL/FEL

Gesellschaft für bedrohte Sprachen (Society for Endangered Languages)

c/o Hans-Jürgen Sasse, Institut für Sprachwissenschaft, Universität zu

Köln, 50923 Köln, Germany

GBS@uni-koeln.de/phil-fak/ifs/pages/d_agbs.htm

Institute for the Preservation of the Original Languages of the Americas

c/o Executive Director, 713 1/2A Canyon Road, Santa Fe, New Mexico

87501, USA

ipola@roadrunner.com

International Clearing House for Endangered Languages (ICHEL)

c/o Kazuto Matsumura, Department of Asian and Paci c Linguistics,

Institute of Cross-Cultural Studies, University of Tokyo, Hongo 7–3–1,

Bunkyo-ku, Tokyo 113, Japan

kmatsum@tooyoo.L.u-tokyo.ac.jp

http://www.tooyoo.L.u-tokyo.ac.jp

Language Documentation Urgency List

c/o Dietmar Zae erer, Institut für Deutsche Philologie, Universität München, Schellingstr. 3, D-80799, München, Germany

ue303bh@sunmail.lrz-muenchen.de

List Endangered-Languages-L

http://carmen.murdoch.edu.au/lists/endangered-languages-l/ell-websites.html

Logosphere

c/o David Dalby, Observatoire Linguistique, Hebron, Dyfed SA34 0XT, UK

logosphere@aol.com

Some useful organizations

Network on Endangered Languages

c/o T. Matthew Ciolek, Computer Centre, Research School of Paci c and Asian Studies, Australian National University, Canberra, Australia

coombspapers@coombs.anu.edu.au

Society for the Study of the Indigenous Languages of the Americas

c/o Victor Golla, Department of Native American Studies, Humboldt State University, Arcata, CA 95521.

gollav@axe.humboldt.edu

Terralingua: **Partnerships for Linguistic and Biological Diversity**

c/o David Harmon, PO Box 122, Hancock, Michigan 49930–0122, USA

http://cougar.ucdavis.edu/nas/terralin/home.html

UNESCO (Study of Endangered Languages)

c/o Jean Biengen, Secretary-General, CIPSH (International Council for Philosophy and Humanistic Studies), 1 rue Miollis, 75732 Paris, France

fax: 33–1–406559480

UNESCO (World Languages Report)

c/o Paul Ortega, UNESCO Centre Basque Country, Alameda de Urquijo, 60, ppal. Dcha, E-48011 Bilbao, Pais Vasco (Spain)

http://www.unescoeh.org

unescopv@eurosur.org

Universal Declaration of Linguistic Rights

c/o Follow-up Committee, Rocafort 242 bis 2n, =20, 08029 Barcelona, Catalunya, Spain

dudl@linguistic-declaration.org

http://www.linguistic-declaration.org

References

Adams, Douglas. 1979. *The hitch-hiker's guide to the galaxy*. London: Pan.

Adelaar, William F. H. 1998. The endangered situation of native languages in South America. In Matsumura (ed.), 1–15.

Ahlers, Jocelyn, and Leanne Hinton. 1997. Authenticity in the context of California native languages. *Foundation for Endangered Languages Newsletter* 5. 18–19.

Aitchison, Joan. 1991. *Language change: progress or decay?* 2nd edn. Cambridge: Cambridge University Press.

Andersen, Ole Stig. 1998. The burial of Ubykh. In Abstracts for the Open Forum, supplement to Ostler (ed.), 3.

Annamalai, E. 1998. Language survival in India: challenges and responses. In Matsumura (ed.), 17–31.

Arcand, Jean-Louis. 1996. Development economics and language: the earnest search for a mirage? *International Journal of the Sociology of Language* 121. 119–57.

Atwood, Margaret. 1995. Marsh languages. In *Morning in the burned house*. Boston: Houghton Mi in; reprinted in *Ogmios* 8 (1998), 28.

Babe, R. E. 1997. Understanding the cultural ecology model. In Cliché (ed.), 1–23.

Baker, Colin, and Sylvia Prys Jones. 1998. *Encyclopedia of bilingualism and bilingual education*. Clevedon: Multilingual Matters.

Ball, Martin J., ed. 1988. *The use of Welsh*. Clevedon: Multilingual Matters.

Bamford, Samuel. 1854. *The dialect of South Lancashire*. London: John Russell Smith.

Bamgbose, Ayo. 1997. Contribution to the symposium on Endangered Languages in Africa, Leipzig. *Ogmios* 6. 21–2.

Barnes, J. 1984. Evidentials in the Tuyuca verb. *International Journal of American Linguistics* 50. 255–71.

Barthes, Roland. 1977. Déclaration. In *Fragments d'un discours amoureux*. Paris: Editions du Seuil.

Bauer, Laurie, and Peter Trudgill, eds. 1998. *Language myths.* Harmondsworth: Penguin.

Bauman, James A. 1980. *A guide to issues in Indian language retention*. Washington: Center for Applied Linguistics.

Bauman, Richard, and Joel Sherzer, eds. 1974. *Explorations in the ethnog-raphy of speaking*. Cambridge: Cambridge University Press.

Bellin, Wynford. 1984. Welsh and English in Wales. In Peter Trudgill (ed.), *Language in the British Isles*. Cambridge: Cambridge University Press, 449–79.

Benton, Richard A. 1996. Language policy in New Zealand: defining the ineffable. In Michael Herriman and Barbara Burnaby (eds.), *Language policies in English-dominant countries.* Clevedon: Multilingual Matters, 62–98.

Bergsland, Knut. 1998. Two cases of language endangerment: Aleut and Sámi. In Matsumura (ed.), 33–48.

Bernard, H. Russell. 1992. Preserving language diversity. *Human Organization* 51. 82–9.

Bixler, M. T. 1992. *Winds of freedom: the story of the Navajo code talkers of World War II*. Darien, CT: Two Bytes.

Blench, Roger. 1998. Recent fieldwork in Nigeria: report on Horom and Tapshin. *Ogmios* 9. 10–11.

Bloch, Bernard, and George Trager. 1942. *Outline of linguistic analysis*. Baltimore: Linguistic Society of America.

Bloomfield, Leonard. 1933. Language. London: Allen and Unwin.

Bodmer, Frederick. 1944. *The loom of language*. London: Allen and Unwin.

Borst, Arno. 1957–63. *Der Turmbau von Babel*, 6 vols. Stuttgart:

Hiersemann.

Boswell, James. 1785. *The journal of a tour to the Hebrides*. London: Charles Dilly.

1791. *The life of Samuel Johnson*. London: Charles Dilly.

Bourhis, R., H. Giles, and H. Tajfel. 1974. Language as a determinant of Welsh identity. *European Journal of Social Psychology* 3. 447–60.

Bradley, David. 1989. The disappearance of Ugong in Thailand. In Dorian (ed.), 33–40.

1998. Minority language policy and endangered languages in China and Southeast Asia. In Matsumura (ed.), 49–83.

Brenzinger, Matthias. 1995. Contribution to a seminar on Endangered Languages at Dartmouth College, Hanover (New Hampshire, USA). *Iatiku* 1. 5.

1998. Various ways of dying and different kinds of deaths: scholarly approaches to language endangerment on the African continent. In Matsumura (ed.), 85–100.

Brenzinger, Matthias, Bernd Heine, and Gabriele Somner. 1991. Language death in Africa. In Robins and Uhlenbeck (eds.), 19–44.

Bright, William, ed. 1992. *The international encyclopedia of linguistics*. Oxford and New York: Oxford University Press.

Brumfit, Christopher, ed. 1995. *Language education in the National Curriculum*. Oxford: Blackwell.

Bullock, A., O. Stallybrass, and S. Trombley, eds. 1988. *The Fontana dictionary of modern thought*. 2nd edn. London: Fontana.

Cantoni, Gina, and Jon Reyhner. 1998. What educators can do to aid community efforts at indigenous language revitalization. In Ostler (ed.), 33–7.

Carroll, J. B., ed. 1956. *Language, thought and reality*. Cambridge, MA: MIT Press.

Chafe, W., and J. Nichols, eds. 1986. *Evidentiality: the linguistic coding of epistemology*. Norwood, NJ: Ablex.

Chambers, J. K., and P. Trudgill. 1980. *Dialectology*. Cambridge: Cambridge University Press.

Champion, S. G., ed. 1938. *Racial proverbs*. London: Routledge.

Chomsky, A. N. 1957. *Syntactic structures.* The Hague: Mouton.

Cliché, Danielle, ed. 1997. *Cultural ecology*: *the changing dynamics of communications*. London: International Institute of Communications.

Committee on Endangered Languages and their Preservation. 1994. The need for the documentation of linguistic diversity. *Linguistic Society of America Bulletin* 144 (June 1994). 5.

Connell, Bruce. 1997. Kasabe (Luo). *Iatiku* 4. 27.

Coulmas, Florian. 1992. *Language and economy*. Oxford: Blackwell.

Craig, Colette. 1992. A constitutional response to language endangerment: the case of Nicaragua. Language 68. 17–24.

Crow, Ron. 1997. Guest editorial in *Iatiku* 4. 3–4.

Crystal, David. 1981/9. *Clinical linguistics*. Vienna: Springer / London: Whurr.

1982. Terms, time and teeth. *British Journal of Disorders of Communication*, 17. 3–19.

1985. *Linguistics*. 2nd edn. Harmondsworth: Penguin.

1997a. *Cambridge encyclopedia of language*. 2nd edn. Cambridge: Cambridge University Press.

1997b. *English as a global language*. Cambridge: Cambridge University Press.

ed. 1997c. *The Cambridge encyclopedia*. 3rd edn. Cambridge: Cambridge University Press.

1998. Moving towards an English family of languages? In O. Alexandrova and M. Konurbayev (eds.), *Folia Anglistica* (Festschrift for Olga S. Akhmanova on 'World Englishes'). Moscow: Moscow State University, 84–95.

1999. 'From out in left field? That's not cricket.' Finding a focus for the language curriculum. In R. S. Wheeler (ed.), *The workings of language*. New York: Praeger.

Dalby, David. 1997. Exploring the Logosphere: review of results. Paper presented at the Logosphere Workshop, School of Oriental and African Studies, London, 11 September 1997.

Daniszewski, John. 1997. Teacher tries to rescue language spoken by Jesus. *Los Angeles Times*, 29 March 1997, A1.

Dante. *c.* 1304. *De vulgari eloquentia*, translated by A. G. Ferrers Howell.

Dauenhauer, Nora Marks, and Richard Dauenhauer. 1998. Technical, emotional, and ideological issues in reversing language shift: examples from Southeast Alaska. In Grenoble and Whaley (eds.), 57–98.

Dimmendaal, Gerrit J. 1989. On language death in eastern Africa. In Dorian (ed.), 13–31.

Dixon, R. M. W. 1972. *The Dyirbal language of North Queensland*. Cambridge: Cambridge University Press.

1991. The endangered languages of Australia, Indonesia and Oceania. In Robins and Uhlenbeck (eds.), 229–55.

1997. *The rise and fall of languages*. Cambridge: Cambridge University Press.

Dorian, Nancy C. 1981. *Language death: the life cycle of a Scottish Gaelic dialect*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

ed. 1989. *Investigating obsolescence: studies in language contraction and death*. Cambridge: Cambridge University Press.

1993. A response to Ladefoged's other view of endangered languages. *Language* 69. 575–9.

1998. Western language ideologies and small-language prospects. In Grenoble and Whaley (eds.), 3–21.

Duffy, J.1953. *Epidemics in Colonial America*. Baton Rouge, LA: Louisiana State University Press.

Duranti, Alessandro. 1997. *Linguistic anthropology*. Cambridge: Cambridge University Press.

Ebes, Hank, and Michael Hollow, eds. 1992. *Modern art – ancient icon*. Melbourne: The Aboriginal Gallery of Dreamings.

Eco, Umberto. 1995. *The search for the perfect language*. Oxford: Blackwell.

Edmonds, Margot, and Ella E Clark. 1989. *Voices of the winds: native American legends*. New York: Facts on File.

Edwards, John. 1985. *Language, society and identity*. Oxford: Blackwell.

1992. Sociopolitical aspects of language maintenance and loss: towards

a typology of minority language situations. In Willem Fase, Koen Jaspaert, and Sjaak Kroon (eds.), *Maintenance and loss of minority languages*. Amsterdam: Benjamins, 37–54.

Edwards, V., and T. J. Sienkewicz. 1990. *Oral cultures past and present*. Oxford: Blackwell.

Eliot, T. S. 1942/53. The Classics and the man of letters. (Presidential address to the Classical Association in Cambridge, 1942.) In John Hayward (ed.), *Selected prose*. Harmondsworth: Penguin, 233–9.

Emerson, Ralph Waldo. 1833/1909. *Journals of Ralph Waldo Emerson*. Boston: Houghton Mifflin.

1844. *Essays: second series*. Boston: Phillips, Sampson.

1860. *The conduct of life*. Boston: Ticknor and Fields.

England, Nora C. 1998. Mayan efforts toward language preservation. In Grenoble and Whaley (eds.), 99–116.

European Bureau for Lesser Used Languages. 1994. *Vade-mecum: guide to legal documents, support structures and action programmes pertaining to the lesser used languages of Europe*. Dublin.

Evans, Nicholas. 1998. Aborigines speak a primitive language. In Laurie Bauer and Peter Trudgill (eds.), *Language myths*. Harmondsworth: Penguin, 159–68.

forthcoming. The last speaker is dead – long live the last speaker! In Paul Newman and Martha Ratcli (eds), *Linguistic fieldwork*. Cambridge: Cambridge University Press.

Fishman, J. A. 1987. Language spread and language policy for endangered languages. In *Proceedings of the Georgetown University Round Table on Language and Linguistics*. Washington: Georgetown University Press, 1–15.

1991. *Reversing language shift*. Clevedon: Multilingual Matters.

Furbee, N. Louanna, Lori A. Stanley, and Tony Arkeketa. 1998. The roles of two kinds of expert in language renewal. In Ostler (ed.), 75–9.

Geary, James. 1997. Speaking in tongues. *Time* (7 July 1997), 52–8.

Gerdts, Donna B. 1998. Beyond expertise: the role of the linguist in language revitalization programs. In Ostler (ed.), 14.

Golla, Victor. 1998. Contribution to 'What language is revitalized after all?' *Ogmios* 8. 20.

Graddol, David. 1997. *The future of English*. London: The British Council.

Grenand, Pierre, and Françoise Grenand. 1993. Amérique Equatoriale: Grande Amazonie. In Serge Bahuchet (ed.), *Situation des populations indigènes des forêts denses et humides*. Luxemburg: Office des publications officielles des communautés européennes, 89–176.

Grenoble, Lenore A., and Lindsay I. Whaley, eds. 1998a. *Endangered languages: current issues and future prospects*. Cambridge: Cambridge University Press.

1998b. Toward a typology of language endangerment. In Grenoble and Whaley (1998a), 22–54.

Grimes, Barbara F., ed. 1996. *Ethnologue: languages of the world*. 13th edn. Dallas, TX: Summer Institute of Linguistics.

Grin, F. 1996. The economics of language: survey, assessment, and prospects. *International Journal of the Sociology of Language* 121. 17–44.

Grinevald, Colette. 1998. Language endangerment in South America: a programmatic approach. In Grenoble and Whaley (eds.), 124–59.

Grosjean, François. 1982. *Life with two languages*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Gumperz, John J., and Stephen C. Levinson, eds. 1996. *Rethinking linguistic relativity*. Cambridge: Cambridge University Press.

Haiman, J., and P. Benincà. 1992. *The Rhaeto-Romance languages*. London: Routledge.

Hale, Ken. 1992a. On endangered languages and the safeguarding of diversity. *Language* 68. 1–3.

1992b. Language endangerment and the human value of linguistic diversity. *Language* 68. 35–42.

1995. Contribution to a seminar on Endangered Languages, Dartmouth College, Hanover (New Hampshire, USA). *Iatiku*1. 5.

1998. On endangered languages and the importance of linguistic diversity. In Grenoble and Whaley (eds.), 205.

Harrison, B. 1997. Language integration: results of an intergenerational analysis. *Statistical Journal of the United Nations ECE* 14. 289–303.

Haugen, Einar. 1971. The ecology of language. *Linguistic Reporter*, Supplement 25 to vol. 13 (1). 25.

1972. *The ecology of language*. Stanford: Stanford University Press.

Heidegger, Martin. 1971. *On the way to language*, translated by P. D. Hertz. New York: Harper and Row.

Henze, Hans Werner. 1982. *Music and politics: collected writings 1953–81*, translated by Peter Labanyi. London: Faber.

Hockett, Charles F. 1958. *A course in modern linguistics*. New York: Macmillan.

Hoenigswald, Henry M. 1989. Language obsolescence and language history: matters of linearity, leveling, loss, and the like. In Dorian (ed.), 347–54.

Holloway, Charles E. 1997. *Dialect death: the case of Brule Spanish*. Amsterdam: Benjamins.

Holmes, Oliver Wendell, Sr. 1860. *The professor at the breakfast table*. Boston: Ticknor and Fields.

Holt, Dennis. 1998. may•por•é: a linguistic sculpture. Endangered *Language Fund Newsletter* 2 (1). 1–3.

Hook, Brian, ed. 1982. *The Cambridge encyclopedia of China*. Cambridge: Cambridge University Press.

Hornberger, Nancy, and Kendall King. 1996. Contribution to a conference on Authenticity and Identity in Indigenous Language Revitalization (American Anthropological Association), held in November 1996. *Newsletter of the Foundation for Endangered Languages* 5. 19.

Hughes, Geo rey.1988. *Words in time*. Oxford: Blackwell.

Hymes, Dell. 1966. Introduction to Part 2 of *Language in culture and society*. New York: Harper and Row.

Iorwerth, Dylan. 1995. *A week in Europe*. Cardi : University of Wales Press.

Ivanov, Vjaceslav. 1992. Reconstructing the past. *Intercom* 15 (1).

Jacobs, Kaia'titahkhe Annette. 1998. A chronology of Mohawk language instruction at Kahnawà:ke. In Grenoble and Whaley (eds.), 117–23.

Jahn, Jens-Eberhard. 1998. Minority languages in Istria: experiences from a sociolinguistic fieldwork. In Ostler (ed.), 45–52.

James, Carl. 1977. Welsh bilingualism – fact and fiction. *Language Problems and Language Planning* 1. 73–81.

1999. Language awareness: implications for the language curriculum. *Language, Culture, Curriculum* 12. 94–115.

Jocks, Christopher. 1998. Living words and cartoon translations: long-house 'texts' and the limitations of English. In Grenoble and Whaley (eds.), 217–33.

Johnson, Jerald Jay. 1978. Yana. In R.F. Heizer (ed.), *Handbook of North American Indians*, vol. viii. Washington: Smithsonian Institution 361–9.

Johnson, Samuel. 1990 (1773). *A journey to the Western Islands of Scotland*. Harmondsworth: Penguin.

Jones, Ann E. 1985. Erydiad geirfaol ym Mhenter Clunderwen, Efailwen a Llandysilio (Lexical erosion in the villages of Clunderwen, Efailwen and Llandysilio). *Cardiff Working Papers in Welsh Linguistics* 4. 81–100.

Jones, Steve, Robert Martin, and David Pilbeam, eds. 1992. *The Cambridge encyclopedia of human evolution*. Cambridge: Cambridge University Press.

Kaufman, Terrence. 1994. The native languages of South America. In Christopher Moseley and R. E. Asher (eds.), *Atlas of the world's languages*. London: Routledge, 46–76.

Kellett, Arnold. 1996. *Ee by gum, Lord! The Gospels in broad Yorkshire*. Otley: Smith Settle.

Kincade, M. Dale. 1991. The decline of native languages in Canada. In Robins and Uhlenbeck (eds.), 157–76.

Kipling, Rudyard. 1912/28. The uses of reading. (Speech at Wellington College, 1912.) In Rudyard Kipling, *A book of words*. Doubleday: Doran, 73–90.

Koch, Eddie, and Siven Maslamoney. 1997. Words that click and rustle softly like the wild. *Mail & Guardian* (Braamfontein), 12–18 September 1997, 28.

Krauss, Michael. 1992. The world's languages in crisis. *Language* 68. 4–10.

1998. The scope of the language endangerment crisis and recent response to it. In Matsumura (ed.), 108–9.

Kroskrity, Paul V. 1993. *Language, history and identity: ethnolinguistic studies of the Arizona Tewa*. Tucson: University of Arizona Press.

Ladefoged, Peter. 1992. Another view of endangered languages. *Language* 68. 809–11.

Landaburu, Jon. 1979. *La langue des Andoke* (Amazonie colombienne), Paris: SELAF.

Landweer, M. Lynn. 1998. Indicators of ethnolinguistic vitality: case study of two languages – Labu and Vanimo. In Ostler (ed.), 64–72.

Langgaard, Per. 1992. Greenlandic is not an ideology, it is a language. In N. H. H. Graburn and R. Iutzi-Mitchell (eds.), *Language and educational policy in the north*. Berkeley: University of California, 167–78.

Lord, A. B. 1960. *The singer of tales*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

McArthur, Tom. 1998. *The English languages*. Cambridge: Cambridge University Press.

McDaniel, Matthew. 1998. The Akha Heritage Foundation. *Ogmios* 7. 14–15.

MacDougall, R. C. 1998. Individuals, cultures and telecommunication technology. In Ostler (ed.), 91–8.

McKay, Graham. 1996. Comment. *Iatiku* 2. 18–19.

McNeill, W. H. 1976. *Plagues and peoples*. Garden City, NY: Anchor Press.

Maddieson, Ian. 1984. *Patterns of sounds*. Cambridge: Cambridge University Press.

Maguire, Gabrielle. 1991. *Our own language: an Irish initiative*. Clevedon: Multilingual Matters.

Malouf, David. 1985. The only speaker of his tongue. In *Antipodes: stories*. Sydney: Random House.

Markey, Thomas L. 1988. Ladin and other relic language forms in the eastern Alpine region. In Jacek Fisiak (ed.), *Historical dialectology: regional and social*. Berlin: Mouton de Gruyter, 357–75.

Martin, Laura. 1986. 'Eskimo words for snow': a case study in the genesis and decay of an anthropological sample. *American Anthropologist* 88. 418–23.

Maslow, Abraham. 1954. *Motivation and personality*. New York: Harper and Row.

Matisoff, James A. 1991. Endangered languages of Mainland Southeast Asia. In Robins and Uhlenbeck (eds.), 189–228.

Matsumura, Kazuto, ed. 1998. *Studies in endangered languages* (Papers from the International Symposium on Endangered Languages, Tokyo, 18–20 November 1995.) Tokyo: Hituzi Syobo.

Maurais, J., ed. 1996. *Quebec's aboriginal languages: history, planning and development*. Clevedon: Multilingual Matters.

Menn, Lise. 1989. Some people who don't talk right: universal and particular in child language, aphasia, and language obsolescence. In Dorian (ed.), 335–45.

Mikhalchenko, V. Y. 1998. Endangered languages of Russia: an informational database. In Matsumura (ed.), 129–38.

Mithun, Marianne. 1998. The signi cance of diversity in language endangerment and preservation. In Grenoble and Whaley (eds.), 163–91.

Mosely, Christopher, and R. E. Asher, eds. 1994. *Atlas of the world's languages*. London: Routledge.

Mühlhäusler, Peter. 1990. 'Reducing' Paci c languages to writing. In J. E. Joseph and T. J. Taylor (eds.), *Ideologies of language*. London: Routledge, 189–205.

1995. *Linguistic ecology: language change and linguistic imperialism in the Pacific rim*. London: Routledge.

Ngugi wa Thiong'o. 1986. *Decolonising the mind: the politics of language in African literature*. London: Currey / Portsmouth, NH: Heinemann.

Norris, Mary Jane. 1998. Canada's aboriginal languages. *Canadian Social Trends*, Winter.

Odum, Eugene P. 1986. Ecosystems. *Encyclopaedia Britannica*. 15th edn. Macropaedia XVII, 979–83.

Ostler, Nicholas. 1996. Tongues ancient and postmodern. *Iatiku* 3. 1–2.

1997. Editorial. *Ogmios* 6. 3–5.

ed. 1998. *Endangered languages: what role for the specialist?* (Proceedings of the Second FEL Conference, University of Edinburgh, 25–7 September 1998.) Bath: Foundation for Endangered Languages.

Pagel, Mark. 1995. Contribution to the Conservation of Endangered Languages seminar, University of Bristol, 21 April 1995. *Iatiku* 1. 6.

Palmer, F. R. 1986. *Mood and modality*. Cambridge: Cambridge University Press.

Paul, D. A. 1973. *The Navajo code talkers*. Pittsburgh, PA: Dorrance.

Peat, F. David. 1995. *Blackfoot physics*. London: Fourth Estate.

Pei, Mario. 1952. *The story of language*. London: Allen and Unwin.

1954. *All about language*. Philadelphia: Lippincott.

Pinter, Harold. 1988. *Mountain language*. London: Faber.

Pogson, Geoff. 1998. Digital technology will save your language. *InfoNT* 2 (Conférence des Services de Traduction des Etats Européens, The Hague), 1–5.

Posey, Darrell. 1997. Biological and cultural diversity – the inextricable linked by language and politics. Summary in Iatiku 4. 7–8.

Pound, Ezra. 1960. *The ABC of reading*. New York: Laughlin.

Price, Glanville, ed. 1998. *Encyclopedia of the languages of Europe*. Oxford:

Blackwell.

Pullum, G. K. 1991. *The great Eskimo vocabulary hoax*. Chicago: Chicago University Press.

Quesada, J. Diego. 1998. Competing interpretations of history: what if they are wrong? In Ostler (ed.), 53–7.

Reyhner, Jon, ed. 1997. *Teaching indigenous languages*. Flagstaff: Northern Arizona University.

Rhydwen, Mari. 1998. Strategies for doing the impossible. In Ostler (ed.), 101–6.

Robins, R. H., and E.M. Uhlenbeck, eds. 1991. *Endangered languages*. Oxford and New York: Berg.

Rodrigues, A.D. 1993. Linguas indígenas: 500 anos de descobertas e perdas. *DELTA* 9. 83–103.

Romaine, Suzanne. 1989. Pidgins, creoles, immigrant, and dying languages. In Dorian (ed.), 369–83.

Rosen, Barbara. 1994. Is English really a family of languages? *International Herald Tribune*, 15 October.

Rubin, Joan. 1985. Toward bilingual education in Paraguay. In J. E. Alatis and J. J. Staczek (eds.), *Perspectives on bilingualism and bilingual education*. Washington: Georgetown University Press, 423–35.

Ruhlen, Merritt. 1987. *A guide to the world's languages*. Stanford: Stanford University Press.

Sapir, Edward. 1921. *Language*. New York: Harcourt, Brace, and World.

Sawai, Harumi. 1998. The present situation of the Ainu language. In Matsumura (ed.), 177–89.

Schiller, Herbert I. 1969. *Mass communications and American empire*. New York: Kelley.

1976. *Communication and cultural domination*. New York: Sharpe.

Sealey, Alison. 1996. *Learning about language: issues for primary teachers*. Buckingham: Open University Press.

Seifart, Frank. 1998. Situation of the indigenous languages of Colombia, especially Chimila. *Ogmios* 9. 8–10.

Silverstein, M., ed. 1971. *Whitney on language*. Cambridge, MA: MIT Press.

Skutnabb-Kangas, Tove. 1996. Comment. *Iatiku* 3.8.

Sloboda, John A. 1986. *The musical mind: the cognitive psychology of music*. Oxford: Oxford University Press.

Stearn, E.W., and A.E. Stearn. 1945. *The effect of smallpox on the destiny of the Amerindian*. Boston: Humphries.

Steiner, George. 1967. *Language and silence*. London: Faber and Faber.

Swann, B., ed. 1992. *On the translation of Native American literatures*. Washington: Smithsonian Institution Press.

Thomas, Lewis. 1980. On meddling. In *The medusa and the snail: more notes of a biology watcher*. London: Allen Lane.

Todd, Loreto. 1984. *Modern Englishes: pidgins and creoles*. Oxford: Blackwell.

Tosco, Mauro. 1997. Contribution to a symposium on Endangered Languages in Africa, Leipzig. *Ogmios* 6. 21.

Trosterud, Trond. 1997. On supporting threatened languages. *Iatiku* 4. 22–4.

1999. How many written languages in the world? *Ogmios* 11. 16–18.

Trudgill, Peter. 1991. Language maintenance and language shift: preservation versus extinction. *International Journal of Applied Linguistics* 1. 61–9.

2000. *Sociolinguistics*. 4th edn. Harmondsworth: Penguin.

Valiquette, Hilaire Paul. 1998. Community, professionals, and language preservation: rst things rst. In Ostler (ed.), 107–12.

Van Deusen-Scholl, Nelleke. 1998. Heritage language instruction: issues and challenges. *AILA News* 1. 12–14.

Van Hoorde, Johan. 1998. Let Dutch die? Over the Taalunie's dead body.

InfoNT 2 (Conférence des Services de Traduction des Etats Européens, The Hague), 6–10.

Voegelin, C. F., and F. M. Voegelin. 1977. *Classification and index of the world's languages*. New York: Elsevier.

Vydrine, Valentin. 1998. Kagoro: a language transforming into a dialect? *Ogmios* 8. 3–5.

Walker, Ronald. 1993. Language shift in Europe and Irian Jaya, Indonesia: toward the heart of the matter. *AILA Review* 10. 77–87.

Wardhaugh, Ronald. 1987. *Languages in competition*. Oxford: Blackwell.

Watson, Seosamh. 1991. Scottish and Irish Gaelic: the giants' bed-fellows. In Robins and Uhlenbeck (eds.), 41–59.

Weinreich, Max. 1980. *History of the Yiddish language*. Chicago: University of Chicago Press.

Whatmough, Joshua. 1956. *Language: a modern synthesis*. London: Secker and Warburg.

Wheeler, Rebecca, ed. 1999. *The workings of language*. New York: Praeger.

Woodbury, Anthony C. 1998. Documenting rhetorical, aesthetic, and expressive loss in language shift. In Grenoble and Whaley (eds.), 234–58.

Wurm, Stephen A. 1991. Language death and disappearance: causes and

circumstances. In Robins and Uhlenbeck (eds.), 1–18.

1998. Methods of language maintenance and revival, with selected cases of language endangerment in the world. In Matsumura (ed.), 191–211.

Wyman, Thornton. 1996. Contribution to a conference on Authenticity and Identity in Indigenous Language Revitalization (American Anthropological Association), held in November 1996. *Newsletter of the Foundation for Endangered Languages* 5. 20.

Yallop, Colin. 1982. *Australian aboriginal languages*. London: Deutsch.

Yamamoto, Akira Y. 1997. A survey of endangered languages and related resources. *Newsletter of the Foundation for Endangered Languages* 5. 8–14.

1998a. Linguists and endangered language communities: issues and approaches. In Matsumura (ed.), 213–52.

1998b. Retrospect and prospect on new emerging language communities. In Ostler (ed.), 114.

فهرس اللهجات واللغات والعائلات اللغوية والمجموعات العرقية

Aboro	آبوروا	٣١
Acoma	آكوما	٦٠
Afango	أفانقوا	٣١
Afrikaans	الإفريقية	٤١، ٢٠١
Ainu	أينو	١٤٨، ١٤٩، ١٧١، ٢١٠
Akha	الأخا	١٧٥
Aleut	الأليوتية	٤٤
Allemand	اسم آخر للألمانية	٣١
Alyawarra	أليوارا	١١٥
Andamanese	الأندامانية	١٣٠
Andoke	آندوك	١٣٦
Aneityum	أنيتيوم	١٠٦
Angas	أنقاس	٣٠
Anglo-Saxon	أنجلو-ساكسون	٧١، ٨٠
Arabic	اللغة العربية	٢٣، ٥٧، ٦٤، ٨٥، ٢٢٦
Aramaic	الآرامية	٥٧
Arawakan	الأرواكان	٥٦
Arop	آروب	١٢٧
Aukedate	أوكيديت	٢٨
Aymará	أيمارا	١٣٨، ١٤٦
Aztec	أزتك	١٤٧
Bantu	البانتو	١٨٦
Basque	الباسكية	٢١٣
Bengali	البنغالية	٤٣

Benue-Congo	البينو (في الكونغو)	٢٩
Berom/Berum/Birom	بيروم	٣١
Bithynian	البيثينية	١٢٢
Blackfoot	بلاكفوت	٨٨
Boro-Aboro	بورو-أبورو	٣١
Bosnian	البوسنية	٣٤، ١٥٦
Breton	البريتانية	٤٠
Carib	الكاريبيون	١٦٩
Cariban	كاريبان	٣٥، ٥٦
Catalan	كتالونيا	٢١٤
Cayuga	كايوغا	٢١٠
Chenberom	تشنبيروم	٣١
Chimila	الشيميلية	٢١٠
Chinese	الصينية	٦١، ٢٠١
Mandarin	لغة الماندرين (في الصين)	٤٣
Chumash	شوماش	٢٠٧
Cilician	قليقيا	١٢٢
Cockney	الكوكني	٣٣
Cornish	الكورنية	٢٥٩
Cree	كري	٤٥، ١٠٦
Croatian	الكرواتية	٣٤، ١٥٦
Cup'ik	كيوبيك	٤٥
Cymraeg Byw	الويلزية الحية	٣٣
Dahalo	دهلو	١٧٧
Damin	دامين	١١٦

Danish	الدانماركية	٣٤
Deutsch	الالمانية	٣١
Dishili	ديشيلي	٣٠
Djabugay	دجابوجاي	٢١٠
Dutch	الهولندية	٥٣، ٨٠، ٨٥
Dyirbal	ديربال	٤٤، ١١٦
Ebonics	إيبونيكس	٣٥، ١٥٦
Egyptian	المصرية	٦١
Elamite	العيلامية	١٢٢
Embera	إمبيرا	١٤٤
Emenyo	الإمينوي	١٨٦
English	اللغة الإنجليزية	٢٣، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٥٠، ٥٣، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ٧٠، ٧٣، ٨٠، ٨٥، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٨، ١٤٤، ١٤٨، ١٥١، ١٧٢، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٢٩، ٢٤٢
English, Old	الإنجليزية القديمة	٨٠، ٨٥
Englishes, New	الإنجليزية الحديثة	٣٥، ١٥٦
Erse	اسم آخر للآيرلندية	٣١
Eskimo	الإسكيمو	١١، ١١٢
Esperanto	الإسبرانتو (اللغة العالمية)	٦٠
Etruscan	الإيتروسكانية	١٢٢
Eyak	إياك	٧٢
Faeroese	الفاروية	٢١٠
Flathead	فلاتهيد	٨٧
Franco-Provençale	البروفنسالية الفرنسية	٢١٥

French	اللغة الفرنسية	٣١، ٦١، ٨٥، ٨٦، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٥، ١١٣، ١٤٨، ٢٠٠
Creoles	الفرنسي الكريولية	٤٠
Friulian	الفريولية	٢١٥
Fulani	الفولانية	١٣٥
Gaelic	الغيلية	٣١، ١٧٧، ١٨٧، ١٩٧، ٢١٣
Gafat	الغافات	١٣١
Gbang	جبانق	٣١
Ge'ez	الجعز	٥٣
German	اللغة الألمانية	٣١، ٦١، ٨٥، ١٠٠
Gikuyu	جيكيويو	١٤٨
Guaraní	قوراني	٢١٨، ٢١٩
Gunwinggu	غوينغو	٩١
Guwal	غوال	١١٦
Haida	الهيدا	٤٥
Hawaiian	لغة هاواي	١٧٢، ٢١٠
Hebrew	اللغة العبرية	٦١، ٢٠٧، ٢٥٨
Hindi	الهندية	٤٣، ٢٦٦
Hittite	اللغة الحثية	١٢٢
Hopi	هوبي	٢٠٧
Hupa	هوبا	١٩٢
Indo-European	الهندية الأوربية	١٠٠، ٢٤٥
Inuit	إينويت	١١٢

Inuktitut	الإنكتيتوتية	٤٥
Inupiak	إنيوبياك	٢١٠
Irish	اللغة الآيرلندية	٣١، ١٢٨، ١٥٤، ٢٢٩
Italian	الإيطالية	٨٥، ٢٠١
Japanese	اليابانية	٤٣، ١٤٨
Kagoro	كاجورو	٤٠
Karitiana	كاريتيانا	٣٩
Kasabe	كاسابي	٢٣، ٢٤، ٨٧، ١٣٥
Kaurna	كاورنا	٢٥٩
Keresan	كيرسان	٣٨
Khoekhoegowap	خوخيوجواب	١٤٤
Khoikhoi	خويخوي	٥٧
Khoisan	خويسان	٩٢، ١٠٤، ١٤٤
Kibbo/Kibbun/Kibo/Kibyen	كيبو/كيبون/كيبو/كيبين	٣١
Kunwinjku	كونوينجكو	٩١، ٩٢، ٩٥
Ladin	اللادنية	٢١٤
Lapp	لاب	٢١١
Lardil	لاردل	١١٦
Latin	اللاتينية	٣٧، ٧١
Livonian	ليفونية	٢١٠
Luo (Cameroon)	لوو	٢٣
Macedonian	اللغة المقدونية	٢١٣

Malol	المالول	١٢٧
Mambiloid	المامبيلويد	١٣٤
Manx	المانكس، المانكسية	٢٥٩
Maori	الماوري	٢٠٨، ٢٤٢
Maya	المايا	١٤٧
Maypuré	مايبيور	١٦٩، ١٧٠
Mohawk	الموهوك	١٨١، ١٩٩، ٢١٠، ٢٦٤
Mparntwe Arrernte	مبارنتوي آريرنتي	٧٥، ٧٧
Myet	مايت	٢٩، ٣٠
Nam	نام	١٤٤
Navajo	النافاجونية	٢٢٩
Ndebele	ندبيل ِ	٤١
Ngas	نقاس	٣٠
Ngiyambaa	نغيامبا	١٣٥
Norwegian	النرويجية	١٠٦
Nsr/Nsur	نسور	٣٠
Nuba	النوبة	١٣٥
Nunggubuyu	نونغوبيو	١٠٦
Ogoni	أوغوني	١٣٥
Ojibway	أوجيبوي	٤٥

Paphlagonian	البافلاغونية	١٢٢
Phrygian	الفريجية	١٢٢
Pintup	بينتوب	١١٥
Pisidian	البيسيدية	١٢٢
Pitjantjatjara	بتشانتشاتشارا	١١٥
Portuguese	البرتغالية	٣٩، ٤٣، ٨٥، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٨
Quechua	كويشوا	٣٣، ١٣٧، ١٤٦، ١٨١
Rama	راما	٢٠٩
Rom	روم	٦٢
Romance	اللغة الرومانسية	٣٧
Romansh (Rumantsch)	اللغة الرومانشية	٢١٤، ٢٢٦
Russian	الروسية	٤٣، ٨٥، ١٠٠، ١٥١
Sahaptin	ساهابتن	٣٨
Salish	ساليش	٢١٠
Salishan	ساليشان	٨٧
Sámi	سامي	٢١١
Scots	الإسكتلديين	١٥٦
Scouse	سكاوز	٣٣
Serbian	الصربية	٣٤، ١٥٦
Serbo-Croatian	الصربية الكرواتية	٣٤
Serer	سيرير	١٩٨
Shona	شونا	٤١
Shosho	شوشو	٣١

Sissano	سيسانو	١٢٧
Spanish	الإسبانية	٤٣، ٨٥، ١٣٧، ١٤٦، ١٤٨، ١٨٢، ١٩٢، ٢٠٧، ٢١٨، ٢١٩
Sumerian	السومرية	١٢٢
Suru	سورو	٢٩، ٣٠
Swahili	السواحلية	٥٣، ١٣٧، ١٧٧
Swedish	السويدية	٣٤
Tahitian	اللغة التاهيتية	٢١٠
Tapshin	تابشين	٢٩، ٣٠
Tapshinawa	تابشينوا	٢٩
Tedesco	تيديسكو	٣١
Teribes	تيرباس	١٨١
Tewa	تيوا	١٨٦، ٢٠٧
Thai	التايلندية	٢٠٨
Ticuna	تيكونا	١٣٣
Tlingit	التلينجيتية	٤٥، ١٤٩، ١٩٤، ١٩٧
Tok Pisin	لغة توك بيسين	١٠٧
Tuyuca	تيوكا	١٠٨
Twahka	تواهكا	١٥٣
Ubuh	أوبوه	٢٤
Ubykh	أوبيخ	٢٤، ٢٥، ٧٢، ١٠٣
Ugong	أوقونق	٢٠٨، ٢٢٠
Ulwa	أولوا	٣٨، ١٥٣
Vahudate	فاهوديت	٢٨

Vanimo	فانيمو	١٣٤
Walser	فالزر	٢١٥
Warupu	واروبو	١٢٧
Welsh	الويلزية	٣٣، ٥٤، ١٠٠، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٥، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠٩، ٢١٣، ٢٢٩
Wolof	ولوف	١٩٨
!Xu	شو	١٠٤
Yaku	ياكو	٥٤
Yana	اليانا	١٣٠
Yanomami	يانومامي	١٣٣
Yiddish	اليدشية	٨٧
Yoruba	اليوروبية	٤٠
Yukagir	يوكاقير	٢١٠
Yup'ik Eskimo	يوبيك إسكيمو	٢٢٦

فهرس المؤلفين والمتحدثين

Adams, Douglas ٦٠

Adelaar, William F.H. ٢٨، ٩٣، ١٤٥، ١٤٦

Afawerki, President ٢١٩

Ahlers, Jocelyn ١٩٢

Aitchison, Joan ١٩١

Andersen, Ole Stig ٢٤

Annamalai, E. ٤٥، ١٣١، ١٣٤، ١٤٦

Arcand, Jean-Louis ٦٤

Archer, Fiona ٩٢

Arfé, Gaetano ٢١٦

Arkeketa Tony ٤٥، ١٤٠، ٢٥١

Asher, R. E. ٢٧

Atwood, Margaret ١٦٩

Babe, R. E. ٦٧، ١٣٧، ١٣٨

Baker, Colin ٨٥

Ball, Martin J. ٢٠٩

Bamford, Samuel ٧٣

Bamgbose, Ayo ٥٣، ١٤٦

Barnes, J.١٠٨

Barthes, Roland ٧٨

Baudelaire, Charles ٨٦

Bauer, Laurie ١٧٩

Bauman, James A. ٥٢

Bauman, Richard ٩٤

Bellin, Wynford ١٥٢، ٢٠٩

Benincá, P. ٢٢٨

Benton, Richard A. ٢٠٩

Bergsland, Knut ٤٥

Bernard, H. Russell ٦٩

Berwick, Rachel ١٦٩

Bixler, M. T. ١٤٤

Blench, Roger ٢٩

Bloch, Bernard ٧٦

Bloomfield, Leonard ١٠٨

Bodmer, Frederick ٢٦

Bogon ٢٣

Borst, Arno ٥٩

Boswell, James ٥٨، ٧٨

Bourhis, R. ١٩٧

Bradbury, Ray ١٨٢

Bradley, David ٢٢٠ ،٢٠٨ ،٣٠

Brenzinger, Matthias ١٤٤ ،١٣٥ ،٥٤ ،٤١ ،
٢١٩ ،١٩٨ ،١٨٥ ،١٤٥

Bright, William ٢٩

Brumfit, Christopher ٢٢٠ ،١٦٥

Bullock, Alan ٦٧

Cantoni, Gina ٢٢٠

Carroll, J. B. ١٠٠

Chafe, W. ١٠٨

Chambers, J. K. ٣٣

Champion, S. G. ٨٣

Chaucer, Geoffrey ٨٦

Chomsky, A. N. ٦٦

Clark, Ella E. ٨٦

Cliché, Danielle ١٣٧

Connell, Bruce ١٣٥ ،٢٣

Coulmas, Florian ٦٤

Craig, Colette ٢٠٩

Crow, Ron ١٢١

Crystal, David ٦٢ ،٦١ ،٣٥ ،٣٣ ،٢٧ ،٢٦ ،
٢٣٢ ،١٦٥ ،١٣٢ ،١١١ ،١٠٦ ،١٠٤ ،٩٤

Dalby, David ٣٢

Daniszewski, John ٥٧

Dante ٦١

Dauenhauer, Nora Marks ١٤٩ ،٨٧ ،٤٥ ،
٢٦٠ ،٢٥٢ ،١٩٩ ،١٩٧ ،١٩٢ ،١٧٨ ،١٥٧

Dauenhauer, Richard ١٥٧ ،١٤٩ ،٨٧ ،٤٥ ،
٢٦٠ ،٢٥٢ ،١٩٩ ،١٩٧ ،١٩٢ ،١٧٨

Dickens, Charles ٧٨

Dimmendaal, Gerrit J. ١٩٨

Dixon, R. M. W. ٨٧ ،٦٣ ،٥٢ ،٣٧ ،٣٣ ،٢٣ ،
١٢٩ ،١٢٣ ،٩٩ ،٩٥ ،٩٣ ،٨٨

Dorian, Nancy C. ١٤٠ ،١٣٧ ،١٠٠ ،٤٥ ،
٢٠٩ ،١٥٥ ،١٦٦

Duffy, J. ١٢٩

Duranti, Alessandro ١٩٦

Ebes, Hank ٩٣

Eco, Umberto ٥٩

Edmonds, Margot ٨٦

Edwards, John ١٦٢ ،١٦١ ،١٥٤ ،١٥١ ،١٢٨

Edwards, V. ٨١

Eliot, T. S. ٨٦

Emerson, Ralph Waldo ٨٤ ،٧٩ ،٧٨

England, Nora C. ٢١٠ ،٢٠٣ ،١٤٠ ،١٢٥ ،
٢٤٨ ،٢٢٦

Evans, Gwynfor ١٥٢

Evans, Nicholas ٩١ ،٢٥

Fishman, J.A. ٢١٩ ،٢١١ ،١٤٦ ،١٤٥

Furbee, N. Louanna ٢٥١ ،١٤٠ ،٤٥

Geary, James ٨٥

Gerdts, Donna B. ١٦٣، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧

Giles, H. ١٩٧

Golla, Victor ٢١٣

Graddol, David ٦٢

Grenand, Françoise ١٣٠

Grenand, Pierre ١٣٠

Grenoble, Lenore A. ٢٧، ١٣٧، ١٥٩، ١٦٢، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٤

Grimes, Barbara, F. ٢٦

Grin, F ٦٤

Grinevald, Colette ٥٦، ١١٨، ١٥٢، ١٨١، ٢١٠، ٢٢٧، ٢٥١، ٢٥٧

Grosjean, François ٨٥

Gumperz, John J. ١٠٠

Haggett, Peter ٦٧

Haiman, J. ٢٢٨

Hale, Ken ٦٦، ٧٩، ٩٥، ٩٧، ١١٦، ١٥٣، ١٨٤

Harrison, B. ٤٦

Haugen, Einar ١٦١، ١٦٧

Heidegger, Martin ٩٨

Heine, Bernd ١٨٥، ١٩٨

Henze, Hans Werner ٧٥

Hinton, Leanne ١٩٢

Hockett, Charles F. ١٢١

Hoenigswald, Henry M ٥٥

Hollow, Michael ٩٣

Holloway, Charles E. ٧٥

Holmes, Oliver Wendell, Sr ٧٦

Holt, Dennis ١٦٩

Hook, Brian ١٨٢

Hornberger, Nancy ٢٢٧

Hughes, Geoffrey ٧٩

Hugo, Victor ٨٦

Hymes, Dell ٦٣

Iorwerth, Dylan ١٦٨

Ivanov, Vjaceslav ٧٢

Jacobs, Kaia'titahkhe Annette ١٨١، ٢١٠، ٢٦٤

Jahn, Jens-Eberhard ٢٣٨، ٢٣٩

James, Carl ١٩٧، ٢٢١

Jocks, Christopher ١٩٩

Johnson, Jerald Jay ١٣١

Johnson, Samuel ٢٢٣ ،٧٨ ،٥٨

Jones, Ann E. ٥٤

Jones, Iwan Llewellyn ٨٢

Jones, Steve ٦٨

Jones, Sylvia Prys ٨٥

Kaufman, Terrence ٢٤٤ ،٢٨

Kellet, Arnold ٧٣

Kelman, James ٥٨

Kincade, M. Dale ١٤٤ ،١٢٩ ،٥١

King, Kendall ٢٢٧

Kipling, Ruyard ٩٦

Koch, Eddie ١٤٤ ،٩٢ ،٥٧

Kouyaté, Mamdou ٨٣ ،٨١

Krauss, Michael ٢٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٦٦، ٧٢، ١٢٣، ١٣٨، ١٥١، ١٥٦

Kroskrity, Paul V. ٢٠٧

Labillos, Romeo ٦٩

Ladefoged, Peter ١٧٦ ،١٧٣ ،٦٩

Landaburu, Jon ١٣٦

Landweer, M. Lynn ٢٦٤ ،٢٣٢ ،١٣٤

Langgaard, Per ٢١٩

Levinson, Stephen C. ١٠٠

Lord, A. B. ٨١

McArthur, Tom ٣٥

McDaniel, Mathew ١٧٥

MacDougall, R. C. ١٩٩

MacKay, Graham ١٨١

MacNeice, Louis ١٩١ ،٦٧

McNeill, W. H. ١٢٩

Maddieson, Ian ١٠٤

Maguire, Gabrielle ٢٠٩

Malouf, David ١٦٩ ،٥٨

Mann, Thomas ٧٥

Markey, Thomas L. ٢١٥

Martin, Laura ١١٢

Martin, Robert ٦٨

Maslamoney, Siven ١٤٤ ،٩٢ ،٥٧

Maslow, Abraham ١٧٦

Matisoff, James A. ٢٠٦ ،١٦٠

Maurais, J. ٦٩

Mellanby, Kenneth ٦٧

Menn, Lise ٥٥

Mikhalchenko, V. Y. ١٥٩

Mithun, Marianne ٧٥، ١٠١، ١٤٩، ١٩٩، ٢٠٧

Moliere ٨٦

Mosely, Christopher ٢٧

Mühlhäusler, Peter ٢٢٥

Newman, Paul ٢٤٥

Ngugi wa Thiong'o ١٤٨

Nichols, J. ١٠٨

Norris, Mary Jane ٣٩، ٤٥

Odum, Eugene P. ٦٨

Ostler, Nicholas ٥٦، ١٥٨، ١٧٦، ١٧٧

Pagel, Mark ٣٧

Palmer, F. R. ١٠٨

Paul, D. A. ١٤٤

Peat, F. David ٨٨، ١٢٩

Pei Mario ٢٦

Pilbeam, David ٦٨

Pinter, Harold ١٥٠، ١٦٩

Pittman, Richard S. ٢٦

Pogson, Geoff ٧٠

Posey, Darrell ٩٤

Pound, Ezra ٩٧

Price, Glanville ٤٠، ٢١٥

Pullum, G. K. ١١٢

Quesada, J. Diego ١٨١

Rabben, Linda ١٣٣

Reyhner, Jon ٢٢٠

Rhydwen, Mari ٦٦، ١٦٦، ١٧٥، ٢٣٨

Rizkalla, George ٥٧

Rodrigues, Aryon Dall'Igna ١٢٥

Romaine, Suzanne ٥٥

Rosen, Barbara ٣٥

Rubin, Joan ٢١٩

Ruhlen, Merritt ٢٧

Sapir, Edward ٧٨، ١٠٠

Sawai, harumi ١٤٩

Schiller, Herbert I. ١٣٨

Sealy, Alison ١٦٥

Seifart, Frank ١٣٥، ١٣٦، ١٤٤، ١٥٤، ٢٠٤

Shakespeare, William ٧٣، ٨٦، ١٢٠

Sherzer, Joel ٩٤

Sienkewicz, T. J. ٨١

Silverstein, M. ٢٦

Singer, Isaac ٨٧

Skutnabb-Kangas, Tove ٢١٨

Sloboda, John A. ٨٢

Sommer, Gabriele ١٨٥، ١٩٨

Stallybrass, Oliver ٦٨

Stanley, Lori A. ٤٥، ١٤٠، ٢٥١

Stearn, A. E. ١٢٩

Stearn, E. W. ١٢٩

Steiner, George ٧١، ٩٨

Stuurman, Hendrik ٥٧

Swann, B. ٨١

Tajfel, H. ١٩٧

Tevfik Esenç ٢٤

Thomas, Lewis ٢٣٥

Todd, Loreto ١٠٧

Tosco, Mauro ٥٦

Trager, George ٧٦

Trombley, Stephen ٦٧

Trosterud, Trond ٢١٠، ٢١١، ٢٢٦

Trudgill, Peter ٣٣، ٧٠، ١٧٩

Valiquette, Hilaire Paul ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٤٨

Van Deusen-Scholl, Nelleke ٢٠١

Van Hoorde, Johan ٥٣، ٨٠

Voegelin, C. F ٢٦، ١٢٣

Voegelin, F. M. ٢٦، ١٢٣

Voltaire ٦١

von Humbolt, Alexander ١٦٩

Vydrine, Valentin ٤٠

Walker, Ronald ١٧٦

Wardhaugh, Ronald ٢٧

Watson, Seosamh ١٥٤

Weinreich, Max ٧٥

Whaley, Lindsay I. ٢٧، ١٥٩، ١٦٢، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٤

Whatmough, Joshua ٢٦

Wheeler, Rebecca ١٧٩

Whitney, William Dwight ٢٦

Whorf, Benjamin Lee ١٠٠

Woodbury, Anthony C. ،٤٥ ،٥٦ ،١١٢ ،١٩٩
٢٠٠

Wordsworth, William ٨٦

Wurm Stepehen A. ،٢٤ ،٢٧ ،٥٢ ،١٤٠ ،١٤١
١٨٦، ٢١٠، ٢٤٧، ٢٥٩

Wyman, Thornton ٢٢٧

Yallop, Colin ١١٥ ،١٠٧ ،١٠٤

Yamamoto, Akira Y. ،٣٨ ،٤١ ،١٤٧ ،١٤٨
١٩٣، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٨، ٢٥١

الكتاب: موت اللغة

تعرض العديد من لغات الأقليات في العالم للخطر وموتها بصورة سريعة أصبح مثاراً للاهتمام على نطاق واسع، ليس فقط بين اللسانيين وعلماء الإنسان، بل وبين المهتمين بقضايا الهوية الثقافية وسط ثقافة عالمية متزايدة. ديفيد كريستال David Crystal، وهو كاتب له شعبية واسعة، ومعلق رائد على قضايا اللغة، يطرح السؤال الجوهري التالي: "لماذا يكون موضوع موت اللغة من الموضوعات ذات الأهمية البالغة؟" ويسرد أسباب هذه الأزمة ويحقق فيما يمكن عمله لتقليل عواقبها.

المؤلف: البرفسور ديفيد كريستال

ديفيد كريستال أحد أهم علماء اللغة في العالم، وهو مؤلف أحد الموسوعات الناجحة جداً في اللغة: *Cambridge Encyclopedia of Language* "موسوعة كامبردج للغة" (١٩٨٧م، والطبعة الثانية ١٩٩٧م)، و *Cambridge Encyclopedia of the English Language* "موسوعة كامبردج للغة الإنجليزية" (١٩٩٥م)، و *English as a global Language* "اللغة الإنجليزية بوصفها لغة عالمية" (١٩٩٧م). البروفسور ديفيد كريستال من خلال شهرته العالمية كونه كاتباً مشهوراً، ومحرر مجلات، ومحاضراً إذاعياً، نال رتبة الإمبراطورية البريطانية OBE عام ١٩٩٥م؛ تقديراً لخدمته للغة وتعليمها.

المترجم: د. فهد بن مسعد اللهيبي

دكتوراة الفلسفة جامعة درم البريطانية عام ٢٠٠٠م، أستاذ مشارك بجامعة الملك عبدالعزيز، عميد شؤون المكتبات بجامعة جازان، عميد البحث العلمي بجامعة تبوك. أنجز عدداً من البحوث المحكمة في مجالات: التراث اللغوي، واللسانيات الاجتماعية، والتداولية، واللسانيات المعرفية "الذهنية"، واللغة والمعلوماتية، والترجمة.